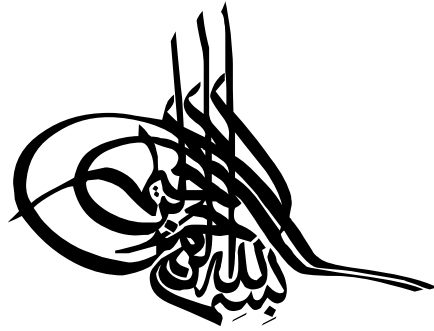


١

العباس
ابن الإمام أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام

٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ



العباس

ابن الإمام أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام

تأليف عبد الرزاق الموسوي المقرم

٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

إن لعمي العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام

عند الله تعالى منزلة يغطه عليها جميع الشهداء
والصديقين يوم القيامة.

(الإمام زين العابدين)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لك اللهم وصلاة على خاتم أنبيائك وخلفائه
المعصومين ورضي بقضائك وتقديرك بأوليائك الذين تحملوا
المشاق في إحياء شرعك الأقدس فقابلوا الأخطار بكل طلاقة
وبشاشة حتى كرعوا حياض المنون وانتهلت من دمائهم الزاكية
بيض الصفاح وأمسوا بجوارك متلفعين بالبرود القانية فسلاماً على
أرواحهم الطاهرة وأشلائهم المقطعة في سبيل مرضاتك يا رب
العالمين .

مقدمة

إن للنسب مكانة كبرى في شتى النواحي ، فليس من المستنكر دخله في تهذيب الأخلاق فإن الإنسان مهما كان مولعاً بالشهوات مستهتراً ما جنأ إذا عرف أن له سلفاً مجيداً وأن من ينتمي إليهم أناس مبجلون كما هو الشأن في جل البشر - إن لم نقل كلهم - لا يروقه أن يرتكب ما يشوه سمعتهم . وإنما يكون جل مسعاه أن يكون خلفاً صالحاً لهم يحدد ذكرياتهم ويخلد ذكرهم الجميل بالتلفع بمكارم الأخلاق .

ولقد جعل الله تعالى أبناء آدم ﷺ شعوباً وقبائل ليتعارفوا . فتشتبك الأواصر وتتواصل الأرحام ويحمى الجوار بالتساند والمؤازرة ، ويعرفهم من عداهم كتلة واحدة ، فيهاب جانبهم ولا تخفر ذمتهم ، فيسود بذلك السلام والوئام ، ومن هنا نشاهد المردة من قوم شعيب قالوا له لما عتوا عن أمره ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ ، فإذاً يكون في مشتبك الأواصر مناخ العز ومأوى الهيبة كما قال أمير المؤمنين ﷺ لابنه الحسن «وأكرم عشيرتك

٨ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

فإنهم جناحك الذي به تطير وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول، ولا يستغني الرجل عن عشيرته وإن كان ذا مال، فإنه يحتاج إلى دفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه وألمهم لشعثه وأعطفهم عليه إن نزلت به نازلة أو حلت به مصيبة، ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما يقبض عنهم يداً واحدة وتقبض عنه أيدٍ كثيرة»^(١).

ولقد جاء في الشريعة المقدسة أحكام منوطة بمعرفة الأنساب خاصة أو عامة كالمواريث والأخماس وصلة الأرحام ودية قتل الخطأ، إلى غيرها من فوائد النسب التي جعلته في الغارب والسنام من بين العلوم الفاضلة، وأكسبته الأهمية الكبرى.

وجعلت منصة النسابة في المحل الأسمى عند الديني والاجتماعي والأخلاقي وهو أحد العلماء الذين لكل منهم اختصاص في فن من الفنون يرجع إليه في فنه ويستفتى كما يراجع غيره من العلماء في ما اختص به من الفنون.

ولقد كان عقيل بن أبي طالب عليه السلام على شرف أصله وقداسته منبته ومجده الهاشمي الأثيل، نسابة عصره، يعرف أنساب العرب وقبائلها، ويميز بين منابت المجد والخطر ومناخ السوأة والخزاية، وينوه بوسع علمه بما تتحلى به الفصائل والعمائر من

(١) نهج البلاغة: ج ٢، ص ٥٩، مصر رحمانية.

المآثر وما ترتديه البطون والأفخاذ من شية العار، فكان يخشى ويرجى من هاتين الناحيتين، ويراجع للوقوف على لوازم الكفاية عند المصاهرة تحريماً للحصول على الدعة في العشرة بين الزوجين وكرائم الأخلاق المكتسبة من إرضاع الحرائر الكريمات وعروق الأخوال الأكارم والشريعة المطهرة تقول في نصها على ذلك: اختاروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين^(١) كما حذرت عن إخلافه: إياكم وخضراء الدمن، وفسره صاحب الشريعة بأنها المرأة الحسنة في منبت السوء^(٢).

فكان عقيل كما وصفه الصفدي أحد الذين يتحاكم إليهم ويوقف عند قولهم في علم النسب لكونه العليم به وبأيام العرب وكانت تبسط له طنفسة تطرح في مسجد رسول الله ﷺ يصلي عليها ويجتمع إليه في معرفة الأنساب وأيام العرب وأخبارهم مع ما له من السرعة في الجواب والمراجعة في القول^(٣).

ومن هنا قال له أمير المؤمنين: انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً فقال له تزوج بأم البنين الكلابية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها^(٤).

(١) الكافي للكليني.

(٢) المقنعة للشيخ المفيد، ص ٧٩، والمجازات النبوية: ص ٦١، طبع مصر.

(٣) نكت الهميان: ص ٢٠٠.

(٤) عمدة الطالب وسر السلسلة لأبي النصر.

١٠.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

هكذا جاء الحديث ولكن لا يفوت القارئ أنا نعتقد في جملة أعباء الإمامة شمول علمهم كل ما ذرأ الله سبحانه وبرأ وما جاءت به الأم من فضائل ومخازٍ وأوصاف وعادات في كل حال، وللبهنة على هذه الدعوى مجال في غير هذا المختصر.

إذن فأين يقع علم عقيل وغير عقيل من واسع علم أمير المؤمنين المتدفق بأحوال قبائل العرب وبمعرفة الشجعان منهم حتى يحتاج إلى نظر عقيل، وهل يخفى علم ذلك على من كان يعلم الذكر والأنثى من النمل كما في حديث أبي ذر الغفاري: دخلت أنا وأمير المؤمنين عليه السلام وادياً فيه نمل كثير فقلت سبحان الله محصيه فقال عليه السلام لا تقل ذلك وقل سبحان الله باريه فوالله إني لأحصيه وأعرف الذكر منه والأنثى^(١).

ويقول عليه السلام: إن شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يخلق آدم لا يشذ منها شاذ ولا يدخل فيها داخل، وإني لأعرفهم حينما أنظر إليهم وأعرف عدوي من صديقي، وإنهم لمكتوبون عندنا بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائهم وأنسابهم^(٢).

فمن كان هذا علمه لا يحتاج إلى تعرف القبائل والبطون من عقيل مهما بلغ من العلم والمعرفة إلى ذرى عالية.

(١) مدينة المعاجز: ص ١١٥.

(٢) الاختصاص للشيخ المفيد، وبصائر الدرجات.

نعم! (وكم سائل عن أمره وهو عالم!) فإنه جرى صلوات الله عليه مجرى العادة في أمثاله وكم لهم من ضرائب في أعمالهم ﷺ لحكم ومصالح لعلنا ندرك بعضها والبعض الآخر منها مطوي لديهم مع أمثالها من غوامض أسرارهم.

فهذا الرسول الأعظم، وهو المسدّد بالفيض الأقدس والإرادة الإلهية المستغنى بهما عن الاستعانة بأي رأي يمشي وراء العادة فيشاور أصحابه إذا أراد المضي في أمر، ولعل النكته فيه مضافاً إلى ذلك تعريف خطأ الاستبداد وإن بلغ الرجل أعلا مراتب العقل فكانت الصحابة تبصر من أشعة حكمه فوائد الاستشارة كالاستخارة وتمضي على قوله ﷺ: من أعجب برأيه ضلّ ومن استغنى بعقله زلّ، ولا يندم من استشار، ولا خاب من استخار^(١).

ولما خرج ﷺ من المدينة طالباً عير أبي سفيان وبلغه في (ذفران) أن قريشاً خرجت على كل صعب وذلول، شاور أصحابه فقال: ما تقولون العير أحب إليكم أم النفير؟ فقال بعضهم العير وقال (رجلان): يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها ما ذلت منذ عزت وما آمنت منذ كفرت فساءه كلامهما وتغير وجهه فقام المقداد بن الأسود الكندي وقال امض يا رسول الله لما أمرك به

(١) المستظرف: ج ١، ص ٦١ - ٧٠.

١٢.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الله ونحن معك فوالله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى ابن عمران: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دام منا عين تطرف، نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن خلفك، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغمام (بلاد الحبشة) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فضحك رسول الله وأشرق وجهه وسر بكلامه^(١).

ولما نزل في بدر بأقرب ماء هناك قال له الحباب بن المنذر: رأيت يا رسول الله هذا المنزل منزل أنزلك الله به أم هو الرأي والمكيدة والحرب؟ فقال هو الرأي والحرب فأشار عليه بأن ينهض ويأتي أدنى منزل من القوم فينزل على الماء ثم يعمل حوضاً يملأه ماءً يشرب منه المسلمون ولا يشرب منه أعداؤهم فأخذ برأيه وارتحل حتى أتى الماء ونزل عليه^(٢).

ولما قصده الأحزاب أراد أن يصلح عتبه بن حصين والحارث بن عوف على ثلث أثمار المدينة ليرجعا بمن معهما من غطفان فشاور في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عباد وسعد بن فزارة فأشاروا عليه ألا يعطيهم شيئاً فعمل بمشورتهم وكان الفتح

(١) الطبري: ج ٢، ص ٢٧٣.

(٢) السيرة الحلبية: غزوة بدر.

له^(١) كل ذلك إيذاناً وتنبيهاً بما هو اللازم من التريث والأخذ بحقائق الأمور.

وسار الأئمة من آل علي هذا النهج فكان الإمام الرضا عليه السلام يذكر أباه موسى بن جعفر ويقول كان عقله لا يوازن به العقول وربما شاور بعض عبيده فيشير عليه من الضيعة والبستان فيعمل به فقليل له أتشاور مثل هذا؟ فقال عليه السلام ربما فتح علي لسانه.

ولما كتب إليه علي بن يقطين بما عزم عليه موسى الهادي من الفتك به وأنه سمعه يقول قتلني الله إن لم أقتل موسى بن جعفر فلما ورد الكتاب عليه شاور أهل بيته وشيعته وأطلعهم على الكتاب وقال لهم ما تشيرون علي؟ قالوا نشير عليك أصلحك الله أن تباعد شخصك من هذا الجبار فلم يتباعد عن مشورتهم ولكنه أوقفهم على غامض أسرار الله من هلاك الطاغية فكان كما قال^(٢).

وكان الأئمة، وهم العالمون بما كان وما يكون يتخذون الوسائل العادية لدفع الأضرار عنهم إذا علموا تأخر القضاء من مراجعة الطبيب أو الشخوص نحو المهيمن جل شأنه أو شكوى إلى جدهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولما سقى الإمام الحسن عليه السلام العسل

(١) الرياض الخزلية، ج ١، ص ٢١٠.

(٢) مهج الدعوات، ص ٤٣ مع بعض الاختلاف في اللفظ.

١٤ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المسموم واعتل تداوى بالحليب فعوفي وحين عادت إليه العلة أخذ يسيراً من تربة النبي ومزجها بالماء فشربه وعوفي^(١).

وقال الإمام الهادي عليه السلام لأبي هاشم الجعفري حين مرض بسامراء ابعثوا رجلاً إلى (الحاير) يدعو الله لي بالشفاء من العلة فقال علي بن بلال ما يصنع بالخير أليس هو الخير فلم يدر أبو هاشم ما يجيبه حتى دخل على الهادي عليه السلام وحكى له قوله فقال عليه السلام: ألا قلت له إن رسول الله ﷺ كان يطوف بالبيت ويقبل الحجر وحرمة النبي والمؤمن أعظم من حرمة البيت وأمره الله تعالى أن يقف بعرفات وإنما هي مواطن يحب الله أن يذكر فيها، وأنا أحب أن يدعى لي حيث أحب الله أن يدعى فيها^(٢).

والغرض من هذا كله التعريف بأنه لم يجب في التكوينيات إلا جري الأمور على مجاريها العادية وأسبابها الطبيعية وأنه لا غناء عنها لأي أحد وأن الأئمة من أهل البيت وإن أمكنهم إعمال ما أقدرهم عليه الله سبحانه من التصرفات حسبما يريدون لكنهم في جميع أدوارهم مقتدى الأمة ومسيروهم إلى ما يراد منهم من أمر الدين والدنيا فعلى نهجهم يسير الناس وبأفعالهم يتأسى البشر وبارشادهم ترفع حجب الأوهام.

(١) كامل البهائي: ص ٤٥٣.

(٢) أصول الكافي.

وعلى هذا الأساس مشى أمير المؤمنين في اختيار الزوجة الصالحة، على أن التأمل في كلامه يفيدنا عدم الاستشارة من أخيه فإنه قال لعقيل: انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب فهو عليه السلام في مقام الطلب من أخيه أن يخطب امرأة تصلح له لا أنه في مقام الاستشارة والاستطلاع منه لكونه عالماً بأنساب العرب وعارفاً ببيوتات الشرف والمنعة والفروسية.

١٦.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ

سلسلة الآباء

هو العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد
المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن
كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن
خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

إلى هنا يقف الباحث عن الإتيان بباقي الآباء الأكارم إلى آدم
بعدهما يقرأ قول النبي ﷺ: إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا^(١).

وكأنه نظر إلى غرابة تلكم الأسماء وتعاصيها على نطق العامة
فكان التصحيف إليها أسرع شيء فيعود وهنا في ساحة جلالتهم
وخفة في مقدارهم وقد ولدوا الرسول الأعظم والوصي المقدم
صلى الله عليهم أجمعين .

وكيف كان فالمهم الذي يجب الهتاف به هو كون كل واحد
من هؤلاء الأنجاب غير مدنس بشيء من رجس الجاهلية ولا

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج ١، ص ١٠٦، وكشف الغمة: ص ٦.

١٨ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

موصوماً بعبادة وثن وهو الذي يرتضيه علماء الحق لكونهم صديقين بين أنبياء وأوصياء.

وقد نزههم الله تعالى في خطابه لنبيّه الأقدس: ﴿وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾. فإنه أثبت لهم جميعاً بلفظ الجمع المحلى باللام السجود الحق الذي يرتضيه لهم.

وإن ما يؤثر عنهم من أشياء مستغربة لا بد أن يكون من الشريعة المشروعة لهم أو يكون له معنى تظهريه الدراية والتنقيب وليس آزر الذي كان ينحت الأصنام وكاهن نمرود أبا ابراهيم الخليل^(١) الذي نزل من ظهره لأن أباه اسمه تارخ وآزر إما أن

(١) اختلفوا في أن الذي قيل له عرق الثرى ابراهيم أم اسماعيل فالذي عليه السهيلي في الروض الأنف: ج ١، ص ٨، أنه ابراهيم وعلمه بأن الثرى لا تأكله النار وإبراهيم لا تأكله النار ويظهر من الصادق عليه السلام لما تخطى النار وقال أنا ابن أعراق الثرى أنا ابن ابراهيم خليل الرحمن الإشارة إليه ونص عليه في البحار: ج ٩، ص ٢٩، في باب نسب أبي طالب قال: وابراهيم عرق الثرى وفي ج ١٠، ص ١٢٤، عند قول الإمام الحسن عليه السلام: أنا ابن أعراق الثرى قال: رأيت في بعض الكتب أنه ابراهيم لكثرة ولده في البادية ولعل عبدالله بن أيوب الخريتي الشاعر في مرثية الإمام الرضا يشير إليه كما في البحار في باب مرثيته:

يابن الذبيح ويابن أعراق الثرى طابت أرومته وطاب عروقه
ولكن في نص الطبري: ج ٢، ص ١٩١، والبداية والنهاية: ج ٢، ص ١٩٤،
والبحار: ج ٩، ص ٢٧، عن أم سلمة أن عرق الثرى اسماعيل وقد جاء =

يكون عمه كما ترتئيه جماعة من المؤرخين وإطلاق الأب على العم شائع على المجاز وجاء به الكتاب المجيد: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ فأطلق على اسماعيل لفظ الأب ولم يكن أبا يعقوب وإنما هو عمه كما أطلق على إبراهيم لفظ الأب وهو جده.

وأما أن يكون أزر جد إبراهيم لأمه كما يراه المنقبون والجد للأم أب في الحقيقة ويؤيد أنه غير أبيه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَزْرٌ﴾.

فميزه باسمه ولو أراد أباه الذي نزل من ظهره لاستغنى بإضافة الأبوة عن التسمية بأزر.

وصرح الرسول بطهارة آبائه عن رجس الجاهلية وسفاح الكفر فقال: لما أراد الله أن يخلقنا صورنا عمود نور في صلب آدم فكان

= ذكر الثرى في شعر امرئ القيس والفرزدق ولم يعلم منه المراد قال امرؤ القيس على ما في أمالي المرتضى: ج ١، ص ١١٩:

فبعض اللوم عاذلتي فإني ستغنيني التجارب وانتسابي
إلى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي

وقال الفرزدق كما في كامل ابن الأثير: ج ٣، ص ١٨٥:

أنا ابن الجبال الشم في عدد الحصى وعرق الثرى عرقي فمن ذا يحاسبه
وفي أخبار الزمان، ص ٨٠: عدنان بن عرق الثرى.

٢٠.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ذلك النور يلمع في جبينه ثم انتقل إلى وصيه شيث وفي ما أوصاه به ألا يضع هذا النور إلا في أرحام المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولاً بها يتناقلها كابر عن كابر فولدنا الأخيار من الرجال والخيرات المطهرات المهذبات من النساء حتى انتهينا إلى صلب عبد المطلب فجعله نصفين نصف في عبدالله فصار إلى آمنة ونصف في أبي طالب فصار إلى فاطمة بنت أسد.

أما عدنان فقد أوضح في خطبه عن ظهور النبي وأنه من ذريته وأوصى باتباعه.

وكان ابنه معد صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل ممن حاد عن التوحيد ولم يحارب أحداً إلا رجح عليه بالنصر والظفر، ولكونه على دين التوحيد ودين ابراهيم الخليل أمر الله أرميا أن يحمله معه على البراق كيلا تصيبه نقمة بختنصر وقال سبحانه لأرميا إني سأخرج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل فحمله إلى أرض الشام إلى أن هدأت الفتن بموت بختنصر^(١).

وكان السبب في التسمية «بنزار» أن أباه لما نظر إلى نور النبوة يشع من جبهته سره ذلك فأطعم الناس لأجله وقال إنه نزر في حقه^(٢).

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ٢٠.

(٢) الروض الأنف: ج ١، ص ٨.

وورد النهي عن سب ربيعة ومضر لأنهما مؤمنان ومن كلام مضر: من يزرع شراً يحصد ندامة.

والياس بن مضر كبير قومه وسيد عشيرته وكان لا يقضى أمر دونه وهو أول من هدى البدن إلى البيت الحرام وأول من ظفر بمقام إبراهيم لما غرق البيت في زمن نوح وكان مؤمناً موحداً ورد النهي عن سبه^(١).

وقد أدرك مدركة بن الياس كل عز وفخر كان لأبائه وكان فيه نور النبي محمد ﷺ.

وكنانة شيخ عظيم القدر حسن المنظر كانت العرب تحج إليه لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو إلى الله وإلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفاً وعزاً إلى عزكم ولا تكذبوا ما جاء به فهو الحق. ومما يؤثر عنه: رب صورة تخالف المخبرة قد غرت بجمالها واختبر قبح فعالها فاحذر الصور واطلب الخبر. وكان يأنف أن يأكل وحده.

وولده النضر «قريش عند الفقهاء» فلا يقال لأولاد من فوقه قرشي وإنما أولاده مثل مالك وفهر فمن ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلد له فليس بقرشي^(٢).

(١) الروض الأنف: ١ / ٨.

(٢) السيرة الحلبية: ١ / ٩.

٢٢.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وأما فھر فقد حارب حسان بن عبد كلال حين جاء من اليمین في حمير لأخذ أحجار الكعبة لیبني بها بيتاً باليمین يزوره الناس فانصرف فھر وأسر حسان وانهزمت حمير وبقي حسان في الأسر ثلاث سنين ثم فدى نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة واليمین فهابت العرب فھراً وأعظموه وعلا أمره خصوصاً مع ما يشاهدون في جبهته من نور النبوة.

ويؤثر عنه قوله لولده غالب: قليل ما في يدك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك وإن صار إليك، وكان موحداً^(١).

ولم يزل كعب بن لؤي يذكر النبي ويعلم قريشاً أنه من ولده ويأمرهم باتباعه ويقول: اسمعوا وعوا وتعلموا تعلموا وتفهموا تفهموا. ليل داج ونهار ساج والأرض مهاد والجبال أوتاد والأولون كالآخرين كل ذلك إلى بلاء فصلوا أرحامكم وأصلحوا أحوالكم فهل رأيتم من هلك رجع أو ميتاً نشر الدار أمامكم والظن خلاف ما تقولون زينوا حرمكم وعظموه وتمسكوا به ولا تفارقوه فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم ثم قال:

نهار وليل واختلاف حوادث سواء علينا حلوها ومريرها
يؤوبان بالأحداث حتى تأوبا وبالنعم الضافي علينا ستورها
على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخباراً صدوقاً خيرها

(١) المصدر.

ثم قال:

يا ليتني شاهد فحواء دعوته حين العشيرة تبغي الحق خذلانا^(١)

ولجلالته وشرفه في قومه أرخوا بموته ثم أرخوا بعام الفيل ثم بموت عبد المطلب وهو أول من سمى يوم الجمعة لاجتماع قريش فيه وكان اسمه في الجاهلية العروبة ولما جاء الإسلام أمضاه^(٢).

وكلاب بن مرة الجد الثالث لآمنة أم النبي والرابع لأبيه عبدالله كان معروفاً بالشجاعة ونور النبي لائح في جبهته.

ولا تسل عن سيد الحرم «قصي» فلقد جمع قومه من منازلهم وأسكنهم أرض مكة وأمرهم بالبناء حول البيت لتهابهم العرب فبنوا حول جوانبه الأربعة وجعلوا لهم أبواباً تخصهم فباب لبني شيبة وباب لبني جمح وباب لبني مخزوم وباب لبني سهم وتركوا قدر الطواف بالبيت وبنى قصي دار الندوة للمشاورة والتفاهم في ما يعرض عليهم من المهمات وتيمنت قريش برأيه وسمي مجمعاً.

وعند مجيء الحاج قال لقريش هذا أوان الحج وقد سمعت العرب بما صنعتهم وهم لكم معظمون ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام فليخرج كل إنسان منكم من ماله خرجاً ففعلوا

(١) صبح الأعشى: ج ١، ص ٢١١.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٩.

٢٤.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وجمع مالاً كثيراً ولما جاء الحاج نحر لهم على كل طريق من طرق مكة جزوراً غير ما نحره بمكة وأوقد النار بالمزدلفة ليراها الناس^(١).

وصنع للناس طعاماً أيام منى وجرى عليه الحال حتى جاء الإسلام فالطعام الذي يصنعه السلطان أيام منى كل عام من آثار قصي^(٢).

ومن هنا خضعت خزاعة لقصي وسلمت له أمر الحرم وسدانة البيت الحرام بعد أن كانت عند حليل وعند قصي ابنته وهي أم أولاده.

تولى قصي سدانة البيت إما بوصاية من حليل عند الموت إليه أو أنها كانت عند ابنته زوج قصي بالوراثة فقام زوجها بتدبير شؤون البيت لعجز المرأة عن القيام بهذه الخدمة أو أن أبا غبشان الخزاعي كان وصي حليل على هذه السدانة فعاوضه عليها قصي بأثواب وأذواد من الإبل.

هذا هو الصحيح المأثور في ولاية قصي سدانة البيت ويتفق مع العقل الحاكم بنزاهة جد الرسول الأقدس خاتم الأنبياء عما تأباه شريعة إبراهيم الخليل من المعاوضة بالخمر المحرم في

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ٩ إلى ص ١٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢، ص ١٨٥.

جميع الأديان أيجوز لجد الرسول أن يجعل للخمر قيمة وثمرتها سحت وهو المانع عنها المحذّر قومه منها فإنه قال لولده وقومه اجتنبوا الخمر فإنها لا تصلح الأبدان وتفسد الأذهان فكيف يعاوض بها بل لا يتحيل إلى مطلوبه بالخمر وهو القائل من استحسن قبيحاً نزل إلى قبحه ومن أكرم لئيماً أشركه في لؤمه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود هو العدو الخفي^(١).

وقد جمع أطراف المجد والشرف «عبد مناف» بن قصي ولبهائه وجمال منظره قيل له «قمر البطحاء» وكان سمحاً جواداً لا يعدم أحداً من ماله حتى في أيام أبيه فقيل له «الفياض» ويسمى مناف لأنه أناف على الناس وعلا أمره حتى ضربت له الركبان من أطراف الأرض^(٢) وكان اسمه عبداً ثم أضيف إلى مناف فقيل له «عبد مناف» وهذا هو الصحيح المأثور وأما ما أثبتته ابن دحلان في السيرة النبوية من أن أمه أخدمته صنماً اسمه مناف بعيد عن الصواب إذ لا شك في نزاهة آباء النبي وأمّهاته في جميع أدوار حياتهم من الخضوع للأصنام كرامة لحبيبه وصفيه الرسول الأعظم فليس بصحيح ما يقال من أن في آباء النبي وأمّهاته من يعبد

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ٩.

(٢) إثبات الوصية: ص ٧٥.

٢٦.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الصنم أو يخضع له لشهادة ما تقدم من الأحاديث عليه وإليه أشار البوصيري:

لم تزل في ضمائر الكون تختار لك الأمهات والآباء على أنه لم يكن من الأصنام صنم اسمه «مناف» وإنما الموجود «مناة» بالتاء المثناة من فوق ومن هنا كان يقول ابن الكلبي في كتاب الأصنام ص ٣٢: لا أدري أين كان هذا الصنم ولمن كان ومن نصبه ومنه نعرف الغلط في قول البرقي والزبير إن أمه أخدمته مناة (بالتاء المثناة من فوق) فسمي عبد مناة ولكن رآه قصي يوافق عبد مناة بن كنانة فحوله عبد مناف^(١).

وكان بيت عبد مناف أشرف بيوتات قريش^(٢) ولسيادته كان عنده قوس اسماعيل ولواء نزار.

ومن وصيته ما وجد مكتوباً في بعض الأحجار أوصى قريشاً بتقوى الله جل جلاله وصلة الرحم^(٣).

وجرى ابنه هاشم على سيرته حتى فاق قريشاً وسائر العرب وأذعنوا له وكان يطعم الحاج كما كان يصنع أبوه وأصاب قريشاً سنة مجدبة فخرج هاشم إلى الشام واشترى الدقيق والكعك فهشم

(١) الروض الأنف: ج ١، ص ٦.

(٢) تاج العروس: ج ٦، ص ٢٦٣.

(٣) السيرة الدحلانية بهامش الحلبية، ج ١، ص ١٧.

الخبز ونحر الجزر وأطعم الناس حتى أشبعهم وكانت مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء وكان يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف وإذا أهلّ هلال ذي الحجة قام في صبيحته وأسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها وخطب الناس فقال:

يا معشر قريش إنكم سادة العرب أحسنها وجوهاً وأعظمها أحلاماً وأوسطها نسباً وإنكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته وخصكم بجواره دون بني إسماعيل وإنه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه وأحق من أكرم أضياف الله أنتم فأكرموا ضيفه وزواره فإنهم يأتونه غبراً من كل بلد على ضوامر كالقداح فورب هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتموه وأنا مخرج من طيب مالي وحلالي ما لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل وأسألکم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم إلا طيباً لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصباً .

فكانوا يجتهدون في ذلك ويخرجون من أموالهم ويضعونه في دار الندوة^(١) .

وكان هاشم يطعم الحاج بمكة ومنى وعرفة وجمع^(٢) وهو أول

(١) شرح النهج الحديدي، ج ٣، ص ٤٥٨ .

(٢) المصدر: ص ٤٥٧ .

من سن لقريش الرحلتين رحلة إلى اليمن ورحلة إلى الشام وأخذ لهم من ملوك الروم وغسان ما يعتصمون به^(١) وذلك أن تجار قريش لم تعد تجارتهم نفس مكة وضواحيها وإنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها حتى رحل هاشم إلى الشام ونزل على قيصر فأعجبه حسن خلقه وجمال هيئته وكرمه المنهمر فلم يحجبه وأذن له بالقدوم عليه بالتجارة وكتب أماناً بينهم فارتقت منزلة هاشم بين الناس فكان يسافر في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن والشام وجعل له معهم ربحاً وساق لهم إبلاً مع إبله وكفاهم مؤنة الأسفار على أن يكفوه مؤنة الأعداء في طريقه ومنصرفه فكان في ذلك صلاح عام للفريقين فكان المقيم رابحاً والمسافر محفوظاً فأخصبت قريش بذلك وأتاها الخير من البلاد العالية والسافلة ببركة هاشم وهذا هو الإيلاف المذكور في القرآن المجيد^(٢).

وكان يقول في خطبته: أيها الناس نحن آل ابراهيم وذرية اسماعيل وبنو النضر بن كنانة وبنو قصي بن كلاب وأرباب مكة وسكان الحرم لنا ذروة الحسب ومعدن المجد ولكل في كل حلف يجب عليه نصرته وإجابة دعوته إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة وقطع رحم يا بني قصي أنتم كغصني شجرة أيهما كسر أو وحش

(١) تاريخ الطبري: ج ٢، ص ١٨٠.

(٢) شرح النهج الحديدي: ج ٣، ص ٤٥٤ وص ٤٥٨.

صاحبه والسيف لا يسان إلا بغمده ورامي العشيرة يصيبه سهمه
ومن أمحكه اللجاج أخرجه إلى البغي .

أيها الناس الحلم شرف والصبر ظفر والمعروف كنز والوجود
سؤدد والجهل سفة والأيام دول والدهر غير والمرء منسوب إلى
فعله ومأخوذ بعمله فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ودعوا
الفضول تجانبكم السفهاء وأكرموا الجليس يعمر ناديكم وحاموا
الخليط يرغب في جواركم وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم
وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة وإياكم والأخلاق الدنية فإنها
تضع الشرف وتهدم المجد وإن نهضة الجاهل أهون من جريرته
ورأس العشيرة يحمل أثقالها ومقام الحليم عظة لمن انتفع به^(١) .

ولنور النبوة الحالّ في جبهته كان وجهه يضيء في الليلة
الظلماء ولم يمر بحجر ولا شجر إلا ناداه أبشريا هاشم سيظهر
من ذريتك أكرم خلق الله محمد خاتم النبيين .

وأوصاه أبوه عبد مناف بما أوصاه به أبوه قصي : أن لا يضع
نور النبوة إلا في الأرحام الطاهرات من النساء وأخذ عليه العهد
بذلك فقبل وقد تقدم أنها موروثه من آدم عليه السلام ومن هنا رغب
الأشراف من الأكاسرة والقيصرة في مصاهرة هاشم وهو يأبى حتى
إذا رأى في المنام قائلاً يقول عليك بسلمى بنت عمرو بن لبيد بن

(١) بلوغ الأرب: ج ١، ص ٣٢٢، طبع بغداد.

٣٠.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

حدث بن زيد بن عامر بن غنم بن مازن من بني النجار فإنها طاهرة مطهرة الأذيال ليس لها مشبه من النساء فادفع المهر الجزيل فإنك ترزق منها ولداً يكون منه النبي فمشى هاشم وأخوه المطلب وبنو عمه إلى المدينة ومعهم لواء نزار وعليهم أفخر الثياب والدروع.

ولما اجتمع القوم خطب المطلب بن عبد مناف فقال: نحن وفد بيت الله الحرام والمشاعر العظام وإلينا سعت الأقدام وأنتم تعلمون شرفنا وسؤددنا وما خصنا به الله من النور الساطع والضياء اللامع ونحن بنو لؤي بن غالب قد انتقل هذا النور إلى عبد مناف ثم إلى أخينا هاشم وهو معنا من آدم عليه السلام وقد ساقه الله إليكم وأقدمه عليكم فنحن لكريمتكم خاطبون وفيكم راغبون.

فأجابه عمرو أبو سلمى بالقبول والإنعام وساقوا المهر كما أرادوا ولما تزوج منها هاشم ودخل بها وحملت بعبد المطلب انتقل إليها النور وما زالت تسمع البشائر بولادة خير البشر فأفزعها ذلك إلا أن هاشماً عرفها أمر النبي ^(١).

فلما ولدت عبد المطلب كان يدعى «شيبة الحمد» لكثرة حمد الناس له لكونه مفرع قريش في النوائب وملجأهم في الأمور فكان شريف قومه وسيدهم كمالاً ورفعة غير مدافع عن ذلك وهو من حلماة قريش وحكمائها.

(١) البحار: ٦ / ١٤.

وقد سن أشياء أمضاها له الإسلام: حرّم نساء الآباء على الأبناء ووجد كنزاً أخرج خمسه وتصدق به وسنّ في القتل مائة من الإبل ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسنّه سبعة أشواط وقطع يد السارق وحرّم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان ولا يستقسم بالأزلام ولا يؤكل ما ذبح على النصب^(١).

ومما يؤثر عنه: الظلوم لن يخرج من الدنيا حتى ينتقم منه وإن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وإذا لم تصب الظلوم في الدنيا عقوبة فهي معدة له في الآخرة^(٢).

وقيل له الفياض لكثرة جوده ونائله حتى إن مائدته يأكل منها الراكب ثم ترفع إلى جبل أبي قبيس لتأكل منها الطير والوحوش^(٣) ولعزه المنيع وشرفه الباذخ كان يفرش له بإزاء الكعبة ولم يفرش لأي أحد غيره ولا يجالسه على بساط الأبهة إلا نبي العظمة^(٤) وإذا أراد أحد أعمامه أن ينحيه صاح به عبد المطلب وقال إن له لشأناً وملكاً عظيماً^(٥).

(١) الخصال للصدوق، والسيرة الحلبية: ج ١، ص ٥.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٢.

(٣) المصدر: ص ٤.

(٤) اليعقوبي: ج ٢، ص ١١، وتاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٧٠.

(٥) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٢٩.

٣٢.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ولا غرو في ذلك بعد أن كان وصياً من الأوصياء وقارئاً
للكتب السماوية ولقد أخبر أبو طالب رسول الله ﷺ فقال: كان
أبي يقرأ الكتب جميعاً وقال إن من صلي نبياً لوددت أني أدركت
ذلك الزمان فآمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به ^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما عبد أبي ولا جدي عبد
المطلب ولا عبد مناف ولا هاشم صنماً وإنما كانوا يعبدون الله
ويصلون إلى البيت على دين ابراهيم متمسكين به ^(٢).

وكان أبو طالب سيد البطحاء شبيهاً بأبيه شيبة الحمد عالماً بما
جاء به الأنبياء وأخبرت به أمهم من حوادث وملاحم لأنه وصي
من الأوصياء وأمين على وصايا الأنبياء حتى سلمها إلى النبي ^(٣).

قال درست بن أبي منصور قلت لأبي الحسن الأول أكان
رسول الله ﷺ محجوجاً بأبي طالب قال لا ولكن كان مستودع
الوصايا فدفعها إلى النبي ﷺ قلت دفعها إليه على أنه محجوج به
قال عليه السلام: لو كان محجوجاً به ما دفعها إليه قلت: فما كان حال
أبي طالب؟ قال: اقر بالنبي وبما جاء به حتى مات ^(٤).

(١) البحار: ج ٩، ص ٣١.

(٢) إكمال الدين للصدوق، ص ١٠٤.

(٣) مرآة العقول: ج ١، ص ٣٦٢.

(٤) البحار: ج ٩، ص ٢٩.

وقال المجلسي : أجمعت الشيعة على أن أبا طالب لم يعبد صنماً قط وأنه كان من أوصياء ابراهيم الخليل عليه السلام وحكى الطبرسي إجماع أهل البيت على ذلك ووافقه ابن بطريق في كتاب المستدرک وقال الصدوق كان عبد المطلب وأبو طالب من أعرف العلماء وأعلمهم بشأن النبي وكانا يكتمان ذلك عن الجهال والكفرة^(١).

ومما يشهد على أنه كان على دين التوحيد وملة ابراهيم ، أن قريشاً لما أبصرت العجائب ليلة ولادة أمير المؤمنين خصوصاً لما أتوا بالآلهة إلى جبل أبي قبيس ليسكن بهم ما شاهدوه ارتج الجبل وتساقطت الأصنام ففزعوا إلى أبي طالب لأنه مفرع اللاجئ وعصمة المستجير وسألوه عن ذلك فرفع يديه مبتهلاً إلى المولى جل شأنه قائلاً : إلهي أسألك بالمحمدية المحمودة والعلوية العالية والفاطمية البيضاء إلا تفضلت على تهامة بالرأفة والرحمة فسكن ما حل بهم وعرفت قريش هذه الأسماء قبل ظهورها فكانت العرب تكتب هذه الأسماء وتدعو بها عند المهمات وهي لا تعرف حقيقتها^(٢).

ومن هنا اعتمد عليه عبد المطلب في كفالة الرسول وخصه به دون بنيه وقال :

(١) إكمال الدين : ص ١٠٢ .

(٢) روضة الواعظين .

٣٤.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وصيت من كنيته بطالب عبد مناف وهو ذو تجارب
يابن الحبيب أكرم الأقارب بابن الذي قد غاب غير آتب
فقال أبو طالب:

لا توصني بلازم وواجب إني سمعت أعجب العجائب
من كل حبر عالم وكاتب بان بحمد الله قول الراهب^(١).
فقال عبد المطلب:

انظر يا أبا طالب أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم
رائحة أبيه ولم يذق شفقة أمه. انظر أن يكون من جسدك بمنزلة
كبدك فإني قد تركت بنيّ كلهم وخصصتك به لأنك من أم أبيه
واعلم فإن استطعت أن تتبعه فافعل وانصره بلسانك ويدك ومالك
فإنه والله سيسودكم ويملك ما لا يملك أحد من آبائي هل قبلت
وصيتي؟ قال نعم قد قبلت والله على ذلك شاهد.

فقال عبد المطلب: مد يدك فمد يده فضرب بيده على يد أبي
طالب ثم قال عبد المطلب: الآن خفف عليّ الموت ولم يزل
يقبله ويقول: أشهد أنني لم أر أحداً في ولدي أطيب ريحاً منك
ولا أحسن وجهاً^(٢).

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج ١، ص ٢٥.

(٢) مرآة العقول: ج ١، ص ٣٦٨.

وفرّح أبو طالب بهذه الحظوة من أبيه العطوف وراح يدخر لنفسه السعادة الخالدة بكفالة نبي الرحمة فقام بأمره وحمّاه في صغره بماله وجاهه من اليهود والعرب وقريش وكان يؤثّره على أهله ونفسه وكيف لا يؤثّره وهو يشاهد من ابن أخيه ولما يبلغ التاسعة من عمره هيكل القدس يملأ الدست هيبةً ورجاحة أكثر ضحكته الابتسام ويأنس بالوحدة أكثر من الاجتماع.

وإذا وضع له الطعام والشراب لا يتناول منه شيئاً إلا قال بسم الله الأحد وإذا فرغ من الطعام حمد الله وأثنى عليه وإن رصده في نومه شاهد النور يسطع من رأسه إلى عنان السماء^(١).

وكان يوماً معه بذي المجاز فعطش أبو طالب ولم يجد الماء فجاء النبي إلى صخرة هناك، وركلها برجله فنبع من تحتها الماء العذب^(٢) وزاد على ذلك توفر الطعام القليل في بيته حتى إنه يكفي الجمع الكثير إذا تناول النبي منه شيئاً^(٣).

وهذا وحده كافٍ في الإذعان بأن أبا طالب كان على يقين من نبوة ابن أخيه «محمد» ﷺ، أضف إلى ذلك قوله في خطبته لما أراد أن يزوجه من خديجة «وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم

(١) مناقب ابن شهر آشوب.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٣٩.

(٣) المصدر: ص ١٣٧.

٣٦.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وخطر جليل»^(١). وفي وصيته لقريش «إني أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش والصدّيق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به وقد جاءكم بأمر قبله الجنان»^(٢).

ولما جاء العباس بن عبد المطلب يخبره بتألب قريش على معاداة الرسول قال له: إن أبي أخبرني أن الرسول على حق ولا يضره ما عليه قريش من المعاداة له وإن أبي كان يقرأ الكتب جميعاً وقال إن من صلبني نبياً لوددت أني أدركته فأمنت به فمن أدركه فليؤمن به^(٣).

واستشهاده بكلمة أبيه القارئ للكتب مع أنه كان يقرأها مثله يدلنا على تفننه في تنسيق القياس وإقامة البرهان على صحة النبوة وأن الواجب اعتناق شريعته الحقّة.

أما هو نفسه فعلى يقين من أن رسالة ابن أخيه خاتمة الرسل وهو أفضل من تقدمه قبل أن يشرق نور النبوة على وجه البسيطة. ولم تجهل لديه صفات النبي المبعوث وعلى هذا الأساس أخبر بعض أهل العلم من الأحبار حينما أسرّ إليه بأن ابن أخيه محمد

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٦٥.

(٢) تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣٣٩ وطراز المجالس للخفاجي: ص ٢١٧، وثمرات الأوراق لابن حجة الحموي بهامش المستطرف: ج ٢، ص ١٠، وبلوغ الأرب: ج ١، ص ٣٢٧، وأسنى المطالب لزيني دحلان: ص ٥، وروضة الواعظين: ص ١٥٦.

(٣) الحجّة على الذهاب: ص ٦٥.

الروح الطيبة والنبى المطهر على لسان التوراة والإنجيل فاستكتمه أبو طالب الحديث كيلا يفشو الخبر ثم قال له : «إن أبي أخبرني أنه النبى المبعوث وأمر أن أستر ذلك لئلا يغري به الأعادي» .

ولو لم يكن معتقداً صدق الدعوة لما قال لأخيه حمزة لَمَّا أظهر الإسلام^(١) :

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهراً للدين وفقت صابرا
وحط من أتى بالدين من عند ربه بصدق وحق لا تكن حمز كافرا
فقد سرنى إذ قلت إنك مؤمن فكن لرسول الله في الله ناصرا
وناد قريشاً بالذي قد أتيته جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا
وقال راداً على قريش^(٢) :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب
وقال :^(٣)

وأمسى ابن عبدالله فينا مصدقا على سخط من قومنا غير معتب
وقال^(٤) :

أمين محب في العباد مسوم بخاتم رب قاهر للخواتم

(١) الحجة على الذهاب : ص ٧١ .

(٢) خزانة الأدب للبغدادى ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

(٣) الحجة على الذهاب : ص ٤٥ .

(٤) شرح النهج الحديدى : ج ٣ ، ص ٣١٣ .

٣٨.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

يرى الناس برهاناً عليه وهيبة وما جاهل في فعله مثل عالم
نبي أتاه الوحي من عند ربه فمن قال لا يقرع بها سن نادم
ومما خاطب به النجاشي :

تعلم خيار الناس أن محمداً وزير لموسى والمسيح بن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به فكلُّ بأمر الله يهدي ويعصم
وإنكم تتلونونه في كتابكم بصدق حديث لا حديث المترجم
فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا فإن طريق الحق ليس بمظلم
وقال^(١) :

اذهب بني فما عليك غضاضة اذهب وقرَّ بذاك منك عيونا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أُوسد في التراب دفينا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
وذكرت ديناً لا محالة أنه من خير أديان البرية دينا

وبعد هذه المصارحة هل يخالج أحداً الريب في إيمان أبي
طالب وهل يجوز على من يقول: «إننا وجدنا محمداً نبياً كموسى»
إلا الاعتراف بنبوته والإقرار برسالته كالأنبياء المتقدمين؟ وهل
يكون إقرار بالنبوة أبلغ من قوله: «فأمسى ابن عبدالله فينا

(١) وذكرها جماعة كثيرة: انظر ص ٦٩ من الحجة على الذاهب.

مصدقاً؟ وهل فرق بين أن يقول المسلم أشهد أن لا إله إلا الله وبين أن يقول^(١):

وان كان أحمد قد جاءهم بصدق ولم يتهم بالكذب أو يعترف الرجل بأن محمداً كموسى وعيسى جاء بالهدى والرشاد مثل ما أتيا به ثم يحكم عليه بالكفر؟!!

وهل هناك جملة يعبر بها عن الإسلام أصرح من قول المسلم:

«وذكرت ديناً لا محالة أنه من خير أديان البرية ديناً»

كلا! ولو لم يعرف أبو طالب من ابن أخيه الصدق في ما أخبر به لما قال له بمحضر قريش ليريهم من فضله وهو به خبير وجنانه طامن: يا ابن أخي الله أرسلك؟ قال: نعم قال إن للأنبياء معجزة وخرق عادة فأرنا آية قال ﷺ: يا عم ادع تلك الشجرة وقل لها يقول لك محمد بن عبدالله أقبلي بإذن الله فدعاها أبو طالب فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثم أمرها بالانصراف فانصرفت. فقال أبو طالب: أشهد أنك صادق ثم قال لابنه عليّ عليه السلام: يا بني الزمه^(٢).

(١) شرح النهج: ج ٣، ص ٣٠٩.

(٢) الحجة على الزاهب: ص ٢٥.

٤٠.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وقال يوماً لعلي ما هذا الذي أنت عليه؟ قال يا أبة آمنت بالله ورسوله وصدقت بما جاء به ودخلت معه واتبعته. فقال أبو طالب: أما إنه لا يدعوك إلا إلى خير فالزمه^(١).

وهل يجد الباحث بعد هذا كله ملتحداً عن الجزم بأن شيخ الأبطح كان معتقاً للدين الحنيف ويكافح طواغيت قريش حتى بالالتتمام مع النبي في صلواته وإن أهمله فريق من المؤرخين رعاية لما هم عليه من حب الواقعة في أبي طالب ورميه بالقذائف حنقاً على ولده (الإمام) الذي لم يتسن لهم أي غميمة فيه فتحاملوا على أمه وأبيه إيذاءً له وإكثاراً لنظائر من يرومون إكباره وإجلاله ممن سبق منهم الكفر وحيث لم يسعهم الحط من كرامة النبي أو الوصي عمدوا إلى أبويهما الكريمين فعزوا إليهما الطامات، وربما ستروا ما يؤثر عنهما من الفضائل إيثاراً لما يروقههم إثباته.

ويشهد لذلك ما ذكره بعض الكتاب عند ذكر أسرى بدر فقال:

وكان من الأسرى عم النبي وعقيل ابن عمه (أخو علي)^(٢)

ا.هـ.

فإنه لو كان غرضه تعريف المأسور لكان في تعريف عقيل بأنه ابن عم النبي كفاية كما اكتفى في تعريف العباس بأنه عم النبي

(١) تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٢١٤، والسيرة الحلبية: ج ١، ص ٣٠٦.

(٢) تاريخ الأمة العربية: ص ٨٤، مطبعة الحكومة: بغداد ١٩٣٩.

ولم يحتج أن يكتب بين قوسين (أخو علي) وأنت تعرف المراد من ذكر هذه الكلمة بين قوسين وإلى أي شيء يرمز بها الكاتب ولكن فاتته الغرض وهيئات الذي أراد ففشل.

ثم جاء فريق آخر من المؤرخين يحسبون حصر المصادر في ذوي الأغراض المستهدفة وأن ما جاؤوا به حقائق راهنة فاقصر على مروياتهم مما دب ودرج وفيها الخرافات وما أوحته إليهم الأهواء والنوايا السيئة ومن هنا أهملت حقائق ورويت أباطيل.

فعزوا إلى أبي طالب قوله «إني لا أحب أن تعلقوني استي»^(١).

ثم رووا عنه أنه قال لرسول الله «ما هذا الدين؟» قال رسول الله: «دين الله ودين ملائكته ورسوله ودين أبينا إبراهيم بعثني الله به إلى العباد وأنت أحق من دعوته إلى الهدى وأحق من أجابني».

فقال أبو طالب: «إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي والله لا يخلص إليك من قريش شيء يكرهه ما حيت»^(٢).

فحسبوا من هذا الكلام أن أبا طالب ممن يعبد الأوثان، كيف وهو على التوحيد أدل. وجوابه هذا من أنفس التورية وأبلغ

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ٣٠٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٢١٣، وابن الأثير: ج ٢، ص ٢١.

٤٢.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المحاورة فإن مراده من قوله لرسول الله ﷺ عقيب قوله: أنت أحق من دعوته: «إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي» الاعتراف بإيمانه وأنه باقٍ على الملة البيضاء وحنيفية ابراهيم الخليل الذي هو دين الحق والهدى وهو دينه ودين آبائه ثم زاد أبو طالب في تطمين النبي بالمدافعة عنه مهما كان باقياً في الدنيا.

نعم من لا خبرة له بأساليب الكلام وخواص التورية يحسب أن أبا طالب أراد بقوله إني لا أفارق ديني إلخ.. الخضوع للأصنام فصفق طرباً واختال مرحاً.

وجاء الآخر يعتذر عنه بأنه كان يراعي بقوله هذا الموافقة لقريش ليتمكن من كلاءة النبي وتمشية دعوته.

نحن لا ننكر أن شيخ الأبطح كان يلاحظ شيئاً من ذلك ويروقه مداراة القوم في ما يمس بكرامة الرسول للحصول على غايته الثمينة لكنا لا نصافقهم في كل ما يقولون من انسلاله عن الدين الحنيف انسلالاً باتاً فإنه خلاف الثابت من سيرته حتى عند رواة تلکم المخزيات ومهملي الحقائق الناصعة حذراً عما لا يلائم خطتهم فلقد كان يراغم أولئك الطواغيت بما هو أعظم من التظاهر بالإيمان والائتمام بالصلاة مع النبي.

وإن شعره الطافح بذكر النبوة والتصديق بها سرت به الركبان

وكذلك أعماله الناجعة حول دعوة الرسالة :

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب جس الحماما
تكفل عبد مناف بأمر وأودى فكان علي تاما
فلله ذا فاتح للهدى والله ذا للمعالي ختما
وما ضر مجد أبي طالب عدو لغا أو جهول تعامى

وأما أمير المؤمنين فيخرس البليغ عن أن يأتي على صفاته
ويقف الكاتب متردداً وما عساه أن يقول في من قال فيه أبوه أبو
طالب لما فزعت قريش إليه ليلة ولادة أمير المؤمنين إذ أبصروا
عجائب لم يروها ولم يسمعوها بها :

«أيها الناس سيظهر في هذه الليلة وليّ من أولياء الله يكمل
فيه خصال الخير ويتم به الوصيين وهو إمام المتقين وناصر الدين
وقامع المشركين وغيظ المنافقين وزين العابدين ووصي رسول
رب العالمين إمام هدىً ونجم علاً ومصباح دجىً ومبيد الشرك
والشبهات وهو نفس اليقين».

ولم يزل يكرر هذا القول وهو يتخلل سكك مكة وأسواقها
حتى أصبح^(١)؟

(١) روضة الواعظين : ص ٦٩ ، مجلس في ذكر مولد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام .

٤٤.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ويقول رسول الله ﷺ : ضربة علي لعمر بن عبد ود تعدل عبادة الثقلين . وقال يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح فأعطاهما لعلي عليه السلام وكان الفتح على يده^(١) .

وبعد هذا فلنقف عن الإتيان بما أودع الله فيه من نفسيات وغرائز شكرها له الإسلام نعم يجب أن نلفت القارئ إلى شيء أكثر البحث فيه رواة الحديث وهو الإسلام حال الصغر وترددت الكلمة في الجوامع وتضاربت فيها الأقوال ولا يهمننا إطالة القول فيها .

«١» فإننا لا نقول إن أمير المؤمنين أول من آمن وإن كان هو أول من وافق الرسول على مبدأ الإسلام لما صدع بالأمر ولكننا نقول متى «كفر» علي حتى يؤمن وإنما كان هو وصاحب الدعوة الإلهية عارفين بالدين وتعاليمه معتنقين له منذ كيانهما في عالم الأنوار قبل خلق الخلق غير أن ذلك العالم مبدأ الفيض الأقدس ووجودهما الخارجي مجراه فمحمد نبي وعلي وصي وآدم بين الماء والطين صلى الله عليهم أجمعين .

«٢» على أن نبي الإسلام وهو العارف بأحكامه والذي خطط لنا التكاليف قبل إسلام ابن عمه وأنجز له جميع ما وعده به من الأخوة

(١) الطبري: ج ٣، ص ٩٣، وابن الأثير: ج ٢، ص ٨٣.

والوصاية والخلافة يوم أجاب دعوته ووازره على هذا الأمر وقد أحجم عنه عندما نزلت آية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢٤) (١).

وهل ترى أن النبي كان يومئذ يجد في شريعته عدم الجدوى بإسلام مثل علي لصغره إلا أنه حاباه، كلا وحاشا...! وإنما قابله بكل ترحيب وخوله ما لا يخول أحداً لصحة إسلامه عنده بحيث كان على أساس رصين فاتخذه رداءً كمن اعتنق الدين عن قلب شاعر ولب راجح وعقلية ناضجة يغتنم بذلك محاماته ومرضاة أبيه في المستقبل:

وإذا أكبرنا النبي الأعظم عن كل مDAHنة ومصانعة فلا نجد مسرحاً في المقام لأي مقال إلا أن نقول إن إسلام علي كان عن بصيرة وثبات مقبول عند الله ورسوله وكان ممدوحاً منهما عليه.

كما تمدح بذلك أمير المؤمنين غير مرة وهو أعرف الأمة بتعاليم الدين بعد النبي الكريم فقال: أنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفترٍ، صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين (٢).

(١) نص الرسول على الخلافة ذكره الطبري في تاريخه: ج ٢، ص ٢١٦، وابن الأثير في الكامل: ج ٢، ص ٢٤ وأبو الفدا في المختصر: ج ١، ص ١١٦، وفي شرح النهج: ج ٣، ص ٢٥٤، وفي تاريخ التمدن الإسلامي: ج ١، ص ٣١، وفي حياة محمد: ص ١٠٤، ط أول.

(٢) الطبري: ج ٢، ص ٢١٢.

٤٦.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وقال له رسول الله أنت أول المؤمنين إيماناً وإسلاماً، كما مدحته الصحابة بذلك وهم أبصر من غيرهم يوم كانوا يغترفون من مستقى العلم ومنبع الدين.

وعلى هذا الأساس تظافر الثناء عليه من العلماء والمؤلفين والشعراء وسائر طبقات الأمة بأنه أول من أسلم، لكن هناك ظالع في سيره حسب شيئاً فخانته هاجسته وهوى إلى مدحرة الباطل فقال إن علياً أسلم وهو صغير، يريد بذلك الحط من مقامه وليس هناك.

«٣» ولو تنازلنا عن جميع ذلك فمن أين علمنا أن اشتراط البلوغ في التكليف كان مشروعاً في أول البعثة فلعله كبقية الأحكام التدريجية نزل به الوحي فيما بعد ولقد حكى الخفاجي في شرح الشفا ج٣، ص ١٢٥، في باب دعاء النبي على صبي عن البرهان الحلبي والسبكي أن اشتراط الأحكام بالبلوغ إنما كان بعد واقعة أحد وعن غيرهما أنه بعد الهجرة وفي السيرة الحلبية، ج١، ص ٣٠٤، أن الصبيان يومئذ مكلفون وإنما رفع القلم عن الصبي عام خبير وعن البيهقي أن الأحكام إنما تعلق بالبلوغ في عام الخندق أو الحديبية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز.

«٤» على أنا معاشر الإمامية نعتقد في أئمة الدين بأنهم

حاملون أعباء الحجة متحلون بحلى الفضائل كلها منذ الولادة كما بعث عيسى في المهد نبياً وأوتي الحكم يحيى صبياً غير أنهم بين مأمور بالكلام أو مأمور بالسكوت حتى يأتي أوانه فلهم أحكام خاصة غير أحكام الرعية ومن أقلها قبول إجابة الدعوة ونحوها فإذن لا مساغ لأي أحد البحث في المسألة.

هذه هي السلسلة الذهبية التي تحلى بها أبو الفضل وهي «آباؤه الأكارم» وقد اتحد مع كل حلقة منها الجوهر الفرد لأثارة الفضائل فما منهم إلا من أخذ بعضادتي الشرف وملك أزمة المجد والخطر قد ضم إلى طيب المحتد عظمة الزعامة وإلى طهارة العنصر نزاهة الإيمان فلا ترى أياً منهم إلا منار هدىً وبحر ندىً ومثال تقىً وداعية إلى التوحيد وإلى بسالة وبطولة وإباء وشمم وهم الذين عرقوا في سيدنا العباس عليه السلام هذه الفضائل كلها وإن كان القلم يقف عند انتهاء السلسلة إلى أمير المؤمنين فلا يدري اليراع ما يخط من صفات الجلال والجمال وأنه كيف عرقها في ولده المحبوب «قمر الهاشميين».

٤٨.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الأعمام

هلم معي أيها القارئ لنقرأ صحيفة بيضاء مختصرة من حياة أعمام أبي الفضل الذين هم أغصان تلك الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء فإن للعمومة عرقاً يضرب في نفسيات المولود من فضائل وفواضل وقد جاء في الحديث: الولد كما يشبه أخواله يشبه أعمامه وقبل الإتيان على ما جباهم به المولى من الآلاء نستعرض اليسير من حياة عم الرسول ﷺ الذي لم يزل يفتخر به في مواطن شتى ألا وهو الحمزة بن عبد المطلب.

وما أدراك ما حمزة وما هو وهل تعلم ماذا عنى نبي العظمى من وصفه «بأسد الله وأسد رسوله» وهل أنه أراد الشدة والبسالة فحسب؟ لا!

لأنه ﷺ أفصح من نطق بالضاد وكلامه فوق كلام البلغاء فلو كان يريد خصوص الشجاعة لكان حق التعبير أن يأتي بلفظ «الأسد» مجرداً عن الإضافة إلى الله سبحانه وإلى رسوله كما هو المطرد في التشبيه به نظماً ونثراً.

٥٠.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وحيث إضافة الرسول إلى ذات الجلالة والرسالة فلا بد أن يكون لغاية هناك أخرى وليست هي إلا إفادة أن ما فيه من كر وإقدام وبطش وتنمر مخصوص في نصرة كلمة الله العليا ودعوة الرسول ﷺ وهذا أربى من غيره وأرقى فكان سلام الله عليه من عمد الدين وأعلام الهداية ولذلك وجب عليه الاعتراف بفضله وبما حباه المولى سبحانه من النزاهة التي لا ينالها أحد من الشهداء وكان ذلك من مكملات الإيمان ومتممات العقائد الحقة .

يشهد له ما في كتاب «الطرف» للسيد ابن طاووس أن رسول الله قال لحمزة في الليلة التي أُصيب في يومها إنك ستغيب غيبة بعيدة فما تقول لو سألك الله عن شرائع الإسلام وشروط الإيمان .

فبكى حمزة وقال : أرشدني وفهمني .

فقال النبي : تشهد لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة ولعلي بالولاية وأن الأئمة من ذرية الحسين وأن فاطمة سيدة نساء العالمين وأن جعفرًا الطيار مع الملائكة في الجنة ابن أخيك وأن محمداً وآله خير البرية .

قال حمزة آمنت وصدقت .

ثم قال رسول الله : وتشهد بأنك سيد الشهداء وأسد الله وأسد

رسوله فلما سمع ذلك حمزة أدهش وسقط لوجهه ثم قبل عيني رسول الله وقال أشهدك على ذلك وأشهد الله وكفى بالله شهيداً .

وإن التأمل في الحديث يفيدنا منزلة كبرى لحمزة من الدين والإيمان لا تحدّ وإلا فما الفائدة في هذه البيعة والاعتراف بعد ما صدر منه بمكة من الشهادة لله بالوحدانية ورسوله بالنبوة ولكنه ﷺ أراد لهذه الذات الطاهرة التي حلقت بصاحبها إلى ذروة اليقين التحلي بأفضل صفات الكمال وهو التسليم لأمير المؤمنين بالولاية العامة ولأبنائه المعصومين بالخلافة عن جدهم الأمين .

وهناك مرتبة أخرى لا يبلغ مداها أحد وهي اعتراف حمزة وشهادته بأنه سيد الشهداء وأنه أسد الله وأسد رسوله وأن ابن أخيه الطيار مع الملائكة في الجنة وهذه خاصة لم يكلف بها العباد فوق ما عرفوه من منازل أهل البيت المعصومين وإنما هي من مراتب السلوك والكشف واليقين .

وإذا نظرنا إلى إكبار الأئمة لمقامه وهم أعرف بنفسيات الرجال حتى إنهم احتجوا على خصومهم بعمومته وشهادته دون الدين كما احتجوا بنسبتهم إلى الرسول الأقدس مع أن هناك رجالاً بذلوا أنفسهم دون مرضاة الله تعالى .

استفدنا درجة عالية تقرب من درجاتهم ﷺ فهذا أمير المؤمنين يقول إن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين

٥٢.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ولكلّ فضل حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء وخصه رسول الله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه .

وفي يوم الشورى احتج عليهم به فقال أنشدكم بالله هل فيكم أحد له مثل عمي حمزة أسد الله وأسد رسوله ^(١) .

وقال الإمام المجتبي في بعض خطبه : وكان ممن استجاب لرسول الله عمه حمزة وابن عمه جعفر فقتلا شهيدين في قتلى كثيرة معهما من أصحاب رسول الله فجعل حمزة سيد الشهداء .

وقال سيد الشهداء أبو عبدالله يوم الطف : أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي .

إلى غير ذلك مما جاء عنهم في الإشادة بذكره حتى إن رسول الله لم يزل يكرر الهتاف بفضله ويعرّف المهاجرين والأنصار بما امتاز به أسد الله وأسد رسوله من بينهم كيلا يقول قائل ولا يتردد مسلم عن الإذعان بما حبا الله تعالى سيد الشهداء من الكرامة فيقول عليه السلام :

يا معشر الأنصار يا معشر بني هاشم يا معشر بني عبد المطلب أنا محمد رسول الله ألا إني خلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي أنا وعلي وحمزة وجعفر ^(٢) .

(١) أمالي الشيخ الطوسي، المجلس العشرون، ح ١١٦٩ .

(٢) مجالس الصدوق .

والغرض من هذا ليس إلا التعريف بخصوص فضل عمه وابن عمه فلذلك لم يتعرض لخلق الأئمة بل ولا شيعتهم المخلوقين من فاضل طينتهم كما في صحيح الآثار وإنما ذكر نفسه ووصيه لكونهما من أصول الإسلام والإيمان.

كما أن أمير المؤمنين يوم فتح البصرة لما صرح بفضل سبعة من ولد عبد المطلب قال لا ينكر فضلهم إلا كافر ولا يجحده إلا جاحد وهم النبي محمد ووصيه والسبطان والمهدي وسيد الشهداء حمزة والطيّار في الجنان جعفر لم يقصد بذلك إلا التنويه بفضل عمه وأخيه فقرن شهادتهما بمن نهض في سبيل الدعوة الإلهية وهم أركان الإسلام والإيمان.

ولو لم تكن لسيد الشهداء حمزة وابن أخيه الطيّار كل فضيلة سوى شهادتهما للأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة لكفى أن لا يتطلب الإنسان غيرها.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق كان نوح أول من يدعى به فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال له من يشهد لك فيقول محمد بن عبد الله عليه السلام ثم يخرج نوح ويتخطى الناس حتى يأتي إلى محمد وهو على كتيب المسك ومعه علي عليه السلام فيقول نوح لمحمد إن الله سألني هل بلغت فقلت نعم. فقال: من يشهد لك قلت محمد فيقول محمد يا جعفر ويا حمزة اذهبا فاشهدا أنه قد بلغ. قال أبو عبد الله فحمزة وجعفر

٥٤.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

هما الشاهدان للأنبياء بما بلغوا فقال الراوي فأين علي قال إنه أعظم منزلة من ذلك^(١).

وهذه الشهادة لا بد أن تكون حقيقية بمعنى أنها تكون عن وقوف بمعالم دين نوح عليه السلام وأديان الأنبياء الذين هما الشاهدان لهم بنص الحديث وإحاطة شهودية بها وبمعارفها وبمواقعها وبوضعها في الموضع المقرر له وإلا لما صحت الشهادة وهذا المعنى هو المتبادر إلى الذهن من الشهادة عند إطلاقها فهي ليست شهادة علمية بمعنى حصول العلم لهما من عصمة الأنبياء بأنهم وضعوا ودائع نبواتهم في مواضعها ولو كان ذلك كافياً لما طولبوا بمن يشهد لهم فإن جاعل العصمة فيهم جل شأنه أعرف بأمانتهم لكنه لضرب من الحكمة أراد سبحانه وتعالى أن يجري الأمر على أصول الحكم يوم فصل القضاء.

ثم إن هذه الشهادة ليست فرعية بمعنى أنهما يشهدان عن شهادة رسول الله فإن المطلوب في المحاكم هي الشهادة الوجدانية فحسب.

فإذا تقرر ذلك فحسب حمزة وجعفر من العلم المتدفق خبرتهما بنواميس الأديان كلها والنواميس الإلهية جمعاء أو وقوفهما بحق اليقين أو بالمعاينة في عالم الأنوار أو المشاهدة في

(١) سفينة البحار، للشيخ عباس القمي: ج ١، ص ١٥٨، عن الكافي.

عالم الأظلة والذكر لها في عالم الشهود والوجود ومن المستحيل بعد تلك الإحاطة أن يكونا جاهلين بشيء من نواميس الإسلام.

طالب

إن الثابت عند المحققين إسلام طالب بن أبي طالب من أول الدعوة فإن المتأمل إذا نظر بعين البصيرة إلى أبي طالب وقد ضم أولاده أجمع والنبي ﷺ معهم لا يفارقونه في جميع الأحوال مع ما يشاهدونه منه ﷺ من الآيات الباهرات لا يرتاب في صدق الدعوى وقد أفصح عنه شعره^(١):

إذا قيل من خير هذا الورى قبلاً وأكرمهم أسرة
أناف بعبد مناف أب وفضله هاشم الغرة
لقد حل مجد بني هاشم مكان النعائم والنثرة
وخير بني هاشم أحمد رسول الإله على فترة

وإن في حديث جابر الأنصاري ما يفيد منزلة أرقى من مجرد الإسلام يقول قلت لرسول الله أكثر الناس يقولون إن أبا طالب مات كافراً قال يا جابر ربك أعلم بالغيب إنه لما كانت الليلة التي أسري بي فيها إلى السماء انتهت إلى العرش فرأيت أربعة أنوار فقلت إلهي ما هذه الأنوار فقال يا محمد هذا عبد المطلب وهذا

(١) البحار: ج ٩، ص ٣٩، وذكر السيد علي خان في الدرجات الرفيعة بترجمته الثالث والرابع فقط.

٥٦.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

أبو طالب وهذا أبوك عبدالله وهذا أخوك طالب فقلت إلهي وسيدي فيم نالوا هذه الدرجة قال بكتمانهم الإيمان والصبر على ذلك حتى ماتوا^(١).

وروى الكليني في روضة الكافي عن الصادق عليه السلام كان طالب مسلماً قبل بدر وإنما أخرجته قريش كرهاً فنزل رجاز وهم يرتجزون ونزل طالب يرتجز:

يا رب اما يغزون بطالب في مقنب من هذه المقانب
في مقنب المحارب المغالب يجعله المسلوب غير السالب

وروى محمد بن المثنى الحضرمي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لقي أبا رافع مولى العباس بن عبد المطلب يوم بدر فسأله عن قومه فأخبره أن قريشاً أخرجوهم مكرهين^(٢).

ويشهد له ما رواه ابن جرير أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم بدر إني لأعرف رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحداً منهم فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله إنما خرج مستكراً^(٣).

وقد اختلف في موت طالب فقيل إنه لما خرج إلى بدر فُقد

(١) روضة الواعظين: ص ٧١.

(٢) في كتابه وهو من أصحاب الأئمة عليهم السلام.

(٣) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٨٢.

ولم يعرف خبره وقيل أقحمه فرسه في البحر فغرق وليس من البعيد أن قريشاً قتلته حينما عرفت منه الإسلام وعرفت مصارحته بالتفؤل بمغلوبيتهم وكان حاله كحال سعد بن عبادة لما رماه الجنّ «لو صدقت الأوهام».

عقيل

كان عقيل بن أبي طالب أحد أغصان الشجرة الطيبة وممن رضي عنهم الرسول فإن النظرة الصحيحة في التاريخ تفيدنا اعتناقه الإسلام أول الدعوة وكان هذا مجلبة للحب النبوي حيث اجتمعت فيه شرائط الولاء من رسوخ الإيمان في جوانحه وعمل الخيرات بجوارحه ولزوم الطاعة في أعماله واقتفاء الصدق في أقواله فقول النبي له: «إني أحبك حين حباً لك وحباً لحب أبي طالب إياك»^(١) إنما هو لأجل هاتيك المآثر وليس من المعقول كون حبه لغاية شهوية أو لشيء من عرض الدنيا.

(١) نكت الهميان: ص ٢٠٠، والسيرة الحلبية: ج ١، ص ٣٠٤، وتذكرة الخواص: ص ٧، والخصال: ج ١، ص ٣٨، للصدوق ولكنه في المجالس: ص ٧٨، مجلس ٢٧، روى عن ابن عباس أن علياً قال لرسول الله ﷺ أتحب عقيلاً قال أي والله إني أحبه حين حباً له وحباً لحب أبي طالب له وإن ولده لمقتول في محبة ولدك فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون ثم بكى رسول الله حتى جرت دموعه على صدره وقال إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي.

٥٨.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

إذن فحسب عقيل من العظمة هذه المكانة الشامخة وقد حدثه قوة الإيمان إلى أن يسلق أعداء أخيه أمير المؤمنين بلسان حديد خلده عاراً عليهم مدى الحقب والأعوام.

على أن حب أبي طالب له لم يكن لمحض البنوة فإنه لم يكن ولده البكر ولا كان أشجع ولده ولا أوفاهم ذمة ولا ولده الوحيد وقد كان في ولده مثل أمير المؤمنين وأبي المساكين جعفر الطيار وهو أكبرهم سناً وإنما كان «شيخ الأبطح» يظهر مرتبة من الحب له مع وجود ولده (الإمام) وأخيه الطيار لجمعه الفضائل والفواضل موروثاً ومكتسبة.

وبعد أن فرضنا أن أبا طالب حجة وقته وأنه وصي من الأوصياء لم يكن يحابي أحداً بالمحبة وإن كان أعز ولده إلا أن يجده ذلك الإنسان الكامل الذي يجب في شريعة الحق ولاؤه.

ولا شك أن عقيلاً لم يكن على غير الطريقة التي عليها أهل بيته أجمع من الإيمان والوحدانية لله تعالى وكيف يشذ عن خاصته وأهله وهو وإياهم في بيت واحد وأبو طالب هو المتكفل تربيته وإعاشته فلا هو بطارده عن حوزته ولا بمبعده عن حومته ولا بمتضرر منه على الأقل وكيف يتظاهر بحبه ويدنيه منه كما يعلمنا النص النبوي السابق لو لم يتوثق من إيمانه ويتيقن من إسلامه غير أنه كان مبطناً له كما كان أبوه من قبل وأخوه طالب وإن كنا لا

نشك في تفاوت الإيمان فيه وفي أخويه الطيار وأمير المؤمنين .
وحيئنذ لم يكن عقيل بدعاً من هذا البيت الطاهر الذي بني
الإسلام على علاليه فهو مؤمن بما صدع به الرسول منذ هتف
داعية الهدى .

كما لبت هذا الهتاف أختهم أم هاني فكانت من السابقات
إلى الإيمان كما عليه صحيح الأثر وفي بيتها نزل النبي عن
معراجيه وهو في السنة الثالثة من البعثة وحدثها بأمره قبل أن
يخرج إلى الناس وكانت مصدقة له غير أنها خشيت تكذيب قريش
إياه وعليه فلا يعبأ بما زعم من تأخر إسلامها إلى عام الفتح سنة
ثمان من الهجرة^(١) .

وما عسى أن يقول القائل في أمهم زوج شيخ الأبطح بعد
شهادة الرسول الأمين بأنها من الطاهرات الطيبات المؤمنات في
جميع أدوار حياتها .

والعجب ممّن اغتر بتمويه المبطلين فدوّن تلك الفرية زعماً

(١) في مناقب ابن شهر آشوب: ج ١، ص ١١٠، أنها ماتت في أيام النبي ﷺ
ولكن ابن حجر في تقريب التهذيب نص على وفاتها في خلافة معاوية
وعليه فليست هي المعنية بما في كامل الزيارة: ص ٩٦: وأقبلت إليه بعض
عماته تقول أشهد يا حسين لقد سمعت قائلاً يقول:

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاباً من قريش فذلت

٦٠.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

منه أنها من فضائل سيد الأوصياء وهي أن فاطمة بنت أسد دخلت البيت الحرام وهي حاملة بعلي عليه السلام فأرادت أن تسجد لهبل فمنعها علي وهو في بطنها .

وقد فات المسكين أن في هذه الكرامة طعناً بتلك الذات المبرأة من رجس الجاهلية وذنس الشرك وكيف يكون أشرف المخلوقات بعد خاتم الأنبياء المتكون من النور الإلهي مودعاً في وعاء الكفر والجحود.

كما أنهم أبعدها كثيراً عن مستوى التعاليم الإلهية ودروس خاتم الأنبياء الملقاة عليها كل صباح ومساء وفيها ما فرضه المهيمن جل شأنه على الأمة جمعاء من الإيمان بما حبي به ولدها الوصي من الولاية على المؤمنين حتى اختص بها دون الأئمة من أبنائه وإن كانوا نوراً واحداً وطينة واحدة ولقد غضب الإمام الصادق عليه السلام على من سماه أمير المؤمنين وقال مه لا يصلح هذا الاسم إلا لجدي أمير المؤمنين .

فرووا أن النبي صلى الله عليه وآله وقف على قبرها وصاح ابنك علي لا جعفر ولا عقيل ولما سئل عنه أجاب أن الملك سألها عمّن تدين بولايته بعد الرسول فخرجت أن تقول ولدي .

أمن المعقول أن تكون تلك الذات الطاهرة الحاملة لأشرف الخلق بعد النبوة بعيدة عن تلك التعاليم المقدسة وهل في الدين

الأعمام ٦١

حياء؟ نعم أرادوا أن يزحزحوها عن الصراط السوي ولكن فاتهم الغرض وأخطأوا الرمية .

فإن الصحيح من الآثار ينص على أن النبي لما أنزلها في لحدّها ناداها بصوت رفيع يا فاطمة أنا محمد سيد ولد آدم ولا فخر فإذا أتاك منكر ونكير فسألاك من ربك فقولي الله ربي ومحمد نبيّ والإسلام ديني والقرآن كتابي وابني إمامي ووليّي ثم خرج من القبر وأهال عليها التراب^(١) .

ولعل هذا خاص بها ومن جرى مجراها من الزاكين الطيبين وإلا فلم يعهد في زمن الرسالة تلقين الأموات بمعرفة الولي بعده فإنه كتخصيصها بالتكبير أربعين مع أن التكبير على الأموات خمس .

وبالرغم من هاتيك السفاسف التي أرادوا بها الحط من مقام والدة الإمام أظهر الرسول إمام الأمة ما أعرب عن مكانتها من الدين وأنها بعين فاطر السماء حين كنفها بقميصه الذي لا يبلى لتكون مستورة يوم يعرى الخلق وكان الاضطجاع في قبرها إجابة لرغبتها فيه عندما حدثها عن أهوال القبر وما يكون فيه من ضغطة ابن آدم .

(١) مجالس الصدوق: ص ١٨٩، مجلس ٥١ .

٦٢.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

فتحصل أنّ هذا البيت الطاهر بيت أبي طالب بيت توحيد وإيمان وهدى ورشاد وأنّ من حواه البيت رجالاً ونساءً كلهم على دين واحد منذ هتف داعية الهدى وصدع بأمر الرسالة غير أنهم بين من جاهر باتباع الدعوة وبين من كتم الإيمان لضرب من المصلحة.

السفر إلى الشام

لقد كانت الروايات في سفر عقيل إلى الشام في أنه على عهد أخيه الإمام أو بعده متضاربة واستظهر ابن أبي الحديد في شرح النهج، ج ٣، ص ٨٢، أنه بعد شهادة أمير المؤمنين وجزم به العلامة الجليل السيد علي خان في الدرجات الرفيعة وهو الذي يقوى في النظر بعد ملاحظة مجموع ما يؤثر في هذا الباب.

وعليه تكون وفادته كوفود غيره من الرجال المرضيين عند أهل البيت إلى معاوية في تلك الظروف القاسية بعد أن اضطرتهم إليه الحاجة وساقهم وجه الحيلة في الإبقاء على النفس والكف من بوادر الرجل فلا هم بملومين بشيء من ذلك ولا يحط من كرامتهم عند الملأ الديني فإن للتقية أحكاماً لا تنقض ولا يلام المضطر على أمر اضطر إليه.

على أن عقيلاً لم يؤثر عنه يوم وفادته على معاوية إقرار له بإمامة ولا خضوع له عند كرامة وإنما المأثور عنه الواقعة فيه

والطعن في حسبه ونسبه والخط من كرامته والإصهار بمطاعنه مشفوعة بالإشارة إلى فضل أخيه أمير المؤمنين .

من ذلك أن معاوية قال له يا أبا يزيد أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك فقال عقيل لقد مررت بعسكر أخي فإذا ليل كليل رسول الله ونهار كنهاره إلا أن رسول الله ليس فيهم وما رأيت فيهم إلا مصلياً ولا سمعت إلا قارئاً ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نَفَر برسول الله ليلة العقبة^(١) .

وقال له معاوية إن علياً قطع قرابتك ولم يصلك فقال عقيل : والله لقد أجزل أخي العطية وأعظمها ووصل القرابة وحفظها وحسن ظنه بالله إذ ساء به مثلك وحفظ أمانته وأصلح رعيته إذ خنتم وأفسدتم فاكفف لا أبا لك فإنه عما تقول بمعزل^(٢) .

ثم صاح يا أهل الشام لقد وجدت أخي قد جعل دينه دون دنياه وخشي الله على نفسه ولم تأخذه في الله لومة لائم ووجدت معاوية قد جعل دنياه دون دينه وركب الضلالة واتبع الهوى فأعطاني ما لم يعرق فيه جبينه ، ولم تكدح فيه يمينه رزقاً أجراه الله على يديه وهو المحاسب عليه دوني لا محموداً ولا مشكوراً ثم التفت إلى معاوية وقال أما والله يا بن هند ما تزال منك سوائف

(١) الدرجات الرفيعة .

(٢) العقد الفريد : ج ٢ ، ص ١٣٤ ، في باب الأجوبة المسكتة .

٦٤.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

يمرها منك قول وفعل فكأنني بك وقد أحاط بك ما الذي منه
تحاذر.

فأطرق معاوية ثم قال ما الذي يعذرني من بني هاشم وأنشأ:

أزيدهم الإكرام كي يشعبوا العصا فيأبوا لدى الإكرام أن لا يكرموا
وإذا عطفتني رقتان عليهم نأوا حسداً عني فكانوا هم هم
وأعطيهم صفو الإخا فكأنني معاً وعطاياي المباحة علقم
وأغضي عن الذنب الذي لا يقيله من القوم إلا الهزبري المقمم
حباً واصطباراً وانعطافاً ورقة وأكظم غيظ القلب إذ ليس يكظم

أما والله يا بن أبي طالب لولا أن يقال عجل معاوية لحرق
ونكل عن جوابك لتركت هامتك أخف على أيدي الرجال من
حوى الحنظل.

فأجابه عقيل:

عذيرك منهم من يلوم عليهم ومن هو منهم في المقالة أظلم
لعمرك ما أعطيتهم منك رافة ولكن لأسباب وحولك علقم
أبى لهم أن ينزل الذل دارهم بنو حرة زهر وعقل مسلم
وإنهم لم يقبلوا الذل عنوة إذا ما طغا الجبار كانوا هم هم
فدونك ما أسديت فاشدد يداً به وخيركم المبسوط والشرفالزموا

ثم رمى عقيل عليه بالمائة ألف درهم وقام من مجلسه فكتب
إليه معاوية أما بعد يا بني عبد المطلب أنتم والله فروع قصي

ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فإن أحلامكم لراسخة وعقولكم
لكاسية وحفظكم الأوامر وحبكم العشائر ولكم الصفح الجميل
والعفو الجزيل مقرونان بشرف النبوة وعز الرسالة وقد والله ساءني
ما كان جرى ولن أعود لمثله إلى أن أُغَيَّب في الثرى .

فكتب إليه عقيل :

صدقت وقلت حقاً غير أنني أرى ألا أراك ولا تراني
ولست أقول سوءاً في صديقي ولكنني أصد إذا جفاني

فكتب إليه معاوية يستعطفه ويناشده الصفح وألح عليه في
ذلك فرجع إليه^(١) .

فقال له معاوية لم جفوتنا يا أبا يزيد فأنشأ عقيل :

وإني امرؤ مني التكرم شيمة إذا صاحبي يوماً على الهون أضمرنا
وقال يا معاوية لئن كانت الدنيا أفرشتك مهادها وأظلتك
بسرادقها ومدت عليك أطناب سلطانها ما ذاك بالذي يزيدك مني
رغبة وتخشعاً لرهبة .

فقال معاوية لقد نعتها أبو يزيد نعتاً هش له قلبي ثم قال له
لقد أصبحت يا أبا يزيد علينا كريماً وإلينا حبيباً وما أصبحت
أضمر لك إساءة^(٢) .

(١) ربيع الأبرار للزمخشري .

(٢) العقد الفريد: ج ١، ص ١٣٥ .

٦٦.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

هذا حال عقيل مع معاوية وحينئذ فأني نقص يلم به والحالة هذه وعلى الوصف الذي أتينا به تعرف أنه لا صحة لما رواه المتساهلون في النقل من كونه مع معاوية بصفين فإنه مما لم يتأكد إسناده ولا عرف متنه ويضاده جميع ما ذكرناه كما يبعده كتابه من مكة إلى أمير المؤمنين حين أغار الضحاك على الحيرة وما والاها وذلك بعد حادثة صفين وهذه صورة الكتاب:

لعبدالله أمير المؤمنين من عقيل بن أبي طالب سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله حارسك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه وعلى كل حال فإني خرجت إلى مكة معتمراً فلقيت عبدالله بن أبي سرح مقبلاً من «قديد» في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء فعرفت المنكر في وجوههم فقلت إلى أين يا أبناء الشانئين أبعواوية لاحقون عداوة لله منكم غير مستنكرة تريدون إطفاء نور الله وتبديل أمره.

فأسمعني القوم وأسمعتهم فلما قدمت مكة سمعت أهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموالها ما شاء ثم انكفاً راجعاً سالماً وإن الحياة في دهر جرراً عليك الضحاك لذميمة وما الضحاك إلا فقع بقرقر وقد توهمت حيث بلغني ذلك أن شيعتك وأنصارك خذلك فاكذب إلي يا بن أبي برأيك فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أخيك وولد أبيك فعشنا معك ما عشت وامتنا معك إذا مت فوالله ما أحب أن

أبقى في الدنيا بعدك فواق ناقة وأقسم بالأعز الأجل إن عيشاً
نعيشه بعدك لا هنيء ولا مريء ولا نجيع والسلام.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

من عبدالله أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب سلام عليك
فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد كلاًنا الله وإياك
كلاءة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد.

وقد وصل إلي كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي تذكر
فيه أنك لقيت عبدالله بن أبي سرح مقبلاً من «قديد» في نحو من
أربعين فارساً من أبناء الطلقاء متوجهين إلى جهة المغرب وإن ابن
أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه وصد عن سبيله وبغاهها
عوجاً فدع عنك ابن أبي سرح ودع عنك قريشاً وتركاضهم في
الضلال وتجوالمهم في الشقاق ألا وإن العرب قد أجمعت على
حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب النبي قبل اليوم فأصبحوا
قد جهلوا حقه وجحدوا فضله وبادروه بالعداوة ونصبوا له الحرب
وجهدوا عليه الجهد وجروا إليه جيش الأحزاب اللهم فاجز قريشاً
عني الجوازي فقد قطعت رحمي وتظاهرت علي ودفعتني عن
حقي وسلبتني سلطان ابن أمي وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي
في قرابتي من الرسول وسابقتي في الإسلام إلا أن يدعي مدع ما
لا أعرفه ولا أظن الله يعرفه والحمد لله على كل حال.

وأما ما ذكرت من غارة الضحاك على أهل الحيرة فهو أقل

٦٨.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وأزلّ من أن يلمّ بها أو يدنو منها ولكنه قد أقبل في جريدة خيل فأخذ على السماوة حتى قربوا من واقصة وشراف والقطقطانة وما والى ذلك الصقع فوجهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين فلما بلغه ذلك فر هارباً فاتبعوه ولحقوه ببعض الطريق وقد أمعن وكان ذلك حين طفلت الشمس للإياب فتناوشوا القتال قليلاً فلم يبصر إلا بوقع المشرفية وولى هارباً وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ونجا مريضاً بعد ما أخذ منه بالمخنق فلاياً بلأبي ما نجا .

وأما ما سألتني أن أكتب إليك برأيي في ما أنا فيه فإن رأيي جهاد المحلين حتى ألقى الله لا تزيدني كثرة الناس عزة ولا تفرقهم عني وحشة لأنني محق والله مع المحق ووالله ما أكره الموت على الحق وما الخير كله إلا بعد الموت لمن كان محقاً .

وأما ما عرضت به من مسيرك إلى بنيك وبني أبيك فلا حاجة لي في ذلك فأقم راشداً محموداً فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت ولا تحسبن ابن أبيك لو أسلمه الناس متخشعاً ولا متضرعاً إنه لكما قال أخو بني سليم :

فإن تسأليني كيف أنت فإنني صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي أن ترى بي كآبة فيشمت باغٍ أو يساء حبيب
وهذا الكتاب من عقيل المروي بطرق متعددة^(١) يدلنا على أنه

(١) روى الكتابين أبو الفرج في الأغاني : ج ١٥ ، ص ٤٤ ، وابن أبي الحديد =

الأعمام ٦٩

كان مع أخيه الإمام في حياته غير مفارق له فإن الكتاب الذي كتبه إليه كان بعد غارة الضحاك على أطراف أعماله وذلك قرب شهادة أمير المؤمنين .

إذاً فالقول بأن وفادة عقيل على معاوية بعد أخيه متعين كما اختاره السيد المحقق في الدرجات الرفيعة وجعله ابن أبي الحديد الأظهر عنده وقد وضع من ذلك أنه لم يكن مع معاوية بصفين .

الحديدة

أما حديث الحديدة المحممة التي أدناها منه أمير المؤمنين فليس فيها ما يدل على اقترافه إثمًا أو خروجًا عن طاعة فإن أمير المؤمنين أراد بذلك تهذيبه بأكثر مما تتهدب به العامة كما هو المطلوب من مثل عقيل والمناسب لمقامه فعرفه «سيد الأوصياء» أن إنساناً بلغ من الضعف إلى أن يئن من قرب الحديدة المحممة بنار الدنيا من دون أن تمسه، كيف يتحمل نار الآخرة في لظى نزاعة للشوى وهو مضطرم بين أوارها فمن واجب الإنسان الكامل التباعد منها بكبح النهمة وكسر سورة الجشع والمكابدة للملمات القاسية فهي مجلبة لمرضاة الرب ومكسبة لغفرانه وإن

= في شرح النهج: ج ١، ص ١٥٥، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ج ١، ص ٤٥. والسيد علي خان في الدرجات الرفيعة ترجمة عقيل. وفي جمهرة رسائل العرب: ج ١، ص ٥٩٦.

٧٠.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

كان غيره من أفراد الرعية يتبعَد عنها بترك المحرمات فحقيق بمثله وهو ابن بيت الوحي ورجالات عصبة الخلافة التجنب حتى عن المكروهات وما لا يلائم مقامه من المباحات ويروض نفسه بترك ذلك كله حتى تقتدي به الطبقات الواطئة بما يسعهم أو يسألون أنفسهم بمقاساة مثل عقيل الشدائد في دنياه فلا يبھظهم الفقر الملم والكرب المدلهم فرب مباح ينقم عليه من مثله ولا يلام من هو دونه بارتكابه فإن «حسنت الأبرار سيئات المقربين».

وأمير المؤمنين أراد أن يوقف أخاه على هذا الخطر الممنوع الذي حواه وقد ذهل عنه في ساعته تلك.

افتراء

قال الصفدي لقد بغض عقيل إلى الناس ذكره مثالب قريش وما أُوتي من فضل وعلم بالنسب والسرعة في الجواب حتى قالوا فيه الباطل ونسبوه إلى الحمق^(١) واختلقوا عليه أحاديث كان بعيداً عنها فوضعوا على لسان أمير المؤمنين ما ينقص من قدره ويحط من كرامته زعماً منهم أن في ذلك تشويهاً لأهل هذا البيت الطاهر بيت أبي طالب بإخراجهم عن مستوى الإنسانية فضلاً عن الدين بعد أن أعوزتهم الوقية في سيد الأوصياء بشيء من تلك المفتريات فطفقوا يشوهون مقام أبيه وحامته ولكن لا ينطلي ذلك

(١) نكت الهميان: ص ٢٠٠.

على الجيل المنقب حتى كشف عن تلك النوايا السيئة وعرف
الملا افتعال الحديث وبعده عن الصواب .

قالوا في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام : ما زلت مظلوماً منذ
كنت صغيراً إن عقيل ليرمد فيقول لا تذرني حتى تذرنا علياً
فأضجع وأذرى وما بي رمد .

لا أقرأ هذا الحديث إلا ويأخذني العجب كيف رضي
المفتعل بهذه الفرية البينة فإن أمير المؤمنين ولد ولعقيل عشرون
سنة وهل يعتقد أحد أو يظن أن إنساناً له من العمر ذلك المقدار
إذا اقتضى صلاحه شرب الدواء يمتنع منه إلا إذا شرب مثله أخوه
البالغ سنة واحدة أو سنتين كلا لا يفعله أي أحد وإن بلغ الغاية
في الخسة والضعف فكيف بمثل عقيل المتربي بحجر أبي طالب
والمرتضع در المعرفة خصوصاً مع ما يشاهد من الآيات الباهرة
من أخيه الإمام منذ ولادته . نعم الضغائن والأحقاد حبذت لمن
تخلق بها التردد في العمى والخبط في الضلال من دون روية أو
تفكير ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

نعم كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول غير مرة : «ما زلت
مظلوماً»^(١) من دون تلك الزيادة يعني بذلك دفعه عن حقه

(١) الشافي : للسيد المرتضى ، ص ٢٠٣ .

٧٢.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الواجب على الأمة القيام به والميل عنه وتعطيل أحكام الله بالأخذ من غيره وتقديم من ليس له قدم ثابت في كل مكرمة ولا نص من صاحب الشريعة ولا فقه ناجع ولا إقدام في الحروب.

وحيث إن في هذه الكلمة خطأ بمن ناوأه زحزحوها عنهم وألصقوها بذلك السيد الكريم وما أسرع أن عاد إليهم فكان كالباحث عن حتفه بظلفه.

الخلف عن عقيل

الخلف الصالح يخلد ذكر سلفه فلا يزال ذكره حياً بعمره الثاني من ذكر جميل وثناء جليل وترحم متواصل واستغفار له منه وممن تعرف به وفي الحديث إن ابن آدم إذا مات انقطع عمله من الدنيا إلا من ثلاث وعدّ منها الولد الصالح ومن أجلى الواضحات أنّ هذا التذكير يختلف حسب تدرج الأولاد في المآثر فمهما كان قسطهم منها أكثر فهم لمجد آبائهم أخلد وكذلك الأسلاف فكلما كانوا من الشرف والسؤدد أقرب فانتشار فضلهم بصالحي خلفهم أسرع.

إذاً فما ظنك بمثل عقيل بن أبي طالب ذلك الشريف المبجل وقد خلفه «شهيد الكوفة» وولده الأطايب «شهداء الطف»^(١) الذين

(١) في كامل الزيارة ص ١٠٧، كان علي بن الحسين يميل إلى ولد عقيل فقيل له ما بالك تميل إلى بني عمك هؤلاء دون آل جعفر فقال عليه السلام إني لأذكر =

الأعمام ٧٣

لم يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق فلو لم يكن لعقيل شيء من
الخطر والعظمة لتسئم بهؤلاء الأكارم أوج العلى والرفعة.

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسول الله عدنان

فكيف به وهو من أشرف عنصر في العالم كله؟!!

ولم يزل له ذكر خالد في أحفاده المتعاقبين فإنهم بين علماء
أعظم وفقهاء مبرزين وشعراء ومحدثين وأمراء صالحين ونسايين
وقد انتشروا في مصر ونصيبين واليمن وحلب وبيروت والمدينة
والكوفة والحلة وطبرستان وخراسان وجرجان وكرمان وقم
وأصفهان.

وكان القاسم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي
طالب فاضلاً تقياً.

وأخوه عقيل جليل ثقة ثبت صاحب حديث وعمهما عقيل بن
عبدالله كان نسابة مشجراً وحفيد عقيل هذا جعفر بن عبدالله
الأصفهاني عالم نسابة شيخ شبل ابن تكين مات سنة ٣٣٤هـ.

ومحمد بن مسلم بن عقيل بن عبدالله بن محمد بن عقيل بن
أبي طالب يعرف بابن المزينة كان أمير المدينة قتله ابن أبي
الساج.

= يومهم مع أبي عبدالله الحسين عليه السلام فأرق لهم.

٧٤.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وابنه أبو القاسم أحمد بن محمد المذكور كان له أدب وفضل
مات سنة ٣٣٠ هجرية.

والعباس بن عيسى الأوقصي ولي القضاء للداعي الكبير
الحسن بن زيد الحسن بن علي جرجان وكان قد أولد بكرمان^(١)
ومن أحفاد عقيل العلامة الجليل السيد اسماعيل بن أحمد النوري
الطبرسي من علمائنا الأعظم شارح نجات العباد لشيخ الطائفة
المحقق الحجة «صاحب الجواهر» قدس سره طبع منها جزءان
إلى آخر الزكاة وله كفاية الموحدين مطبوعة.

وكان في كربلا المشرفة بيت كبير وطائفة جليلة يعرفون
بالعقلين لهم أوقاف كثيرة وقد انقرضوا وبقي منهم رجل واحد.

الطيّار

وأما جعفر بن أبي طالب فحسبه من العظمة شهادة الرسول
الأقدس بأنه يشبهه خلقاً وخلقاً ذلك الخلق الكريم الموصوف في
الذكر الحكيم بقوله عز شأنه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ٤ وحيث
لم ينص النبي صلى الله عليه وآله على صفة خاصة من أخلاقه فلا جرم من
شمول تلك الكلمة الذهبية «أشبهت خلقي وخلقني» لجميع ما
اتصف به الرسول حتى الطهارة من الرجس والآثام.

(١) انظر ذلك في عمدة الطالب: ص ٣٥ - ٣٦.

ولو تنازلنا عن القول بعموم التشبيه لهذه الخاصة فلا بد من القول بتحقيق أظهر صفات المشبه به للمشبه ولا شك في أن ذلك المعنى أظهر ما في خلقه الكريم ﷺ .

وغير خافٍ أن هذه الكلمة قالها النبي لما تنازع عنده أمير المؤمنين وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة في ابنة حمزة بن عبد المطلب وكان كل منهم يريد القيام بتربيتها .

وذلك أن النبي ﷺ لما خرج من مكة بعد انقضاء الأجل بينه وبين أهل مكة في عمرة القضاء الواقعة في السنة السابعة للهجرة تبعته ابنة حمزة تقول يا عم خذني معك فأخذها أمير المؤمنين ودفعها إلى فاطمة عليها السلام وفي المدينة جرى ذلك النزاع بينهم فقال رسول الله لزيد أنت أخوها ومولانا وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي وقال لأmir المؤمنين «أنت مني وأنا منك» ثم قضى بها للخالة وهي أسماء بنت عميس^(١) .

هذا هو الحديث المذكور في الجوامع والنظرة الصادقة فيه تفيدنا معرفة السر في اختلاف خطاب النبي مع ابني عمه وكل منهما نصح له في التلبية على الدعوة الإلهية وأخلص في المفاداة

(١) أخرج الحديث البخاري في صحيحه: ج ٣، ص ٥٠، في عمرة القضاء والحاكم في المستدرک: ج ٣، ص ٢٢٠، والحلي في السيرة الحلبية: ج ٣، ص ٧٦، وابن دحلان بهامشها: ج ٢، ص ٢٦١ .

٧٦.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

في سبيل تبليغ الرسالة خصوصاً مع معرفته بأساليب المحاوره لأنه سيد البلغاء «ولا ينطق عن الهوى» فلا جرم حينئذ من كون الوجه فيه هو الإشارة إلى صفة سامية تحلى بها أمير المؤمنين وتخلى عنها جعفر وليست هي إلا خلافة الله الكبرى فإن علياً عليه السلام حامل ما عند رسول الله الأعظم من علم متدفق وفقه ناجع وخبرة شاملة وتأمل فياض وخلق عظيم لا يستطيع البشر القيام به وهذا هو الذي تفيدته المنزلة في قوله «أنت مني وأنا منك» بعد فرض المباينة بينهما في الحدود الشخصية والنبى لا ينطق ساهياً ولا لاهياً فلا بد أن يكون قاصداً تلك المنزلة الكبرى التي لم يحوها جعفر وإن بلغ في خدمة الدين كل مبلغ.

وهذا النزاع إنما هو في الحضانة التي هي سلطنة وولاية على تربية الطفل وإدارة شؤونه وقد كان لابنة حمزة يومئذ أربع سنين وهذا القضاء، كما يفيدنا سقوط حضانة الأم إذا تزوجت، يفيدنا أولوية الخالة على العمه فإن عمته صفة كانت موجودة يومئذ وأمه سلمى متزوجة بشداد بن الهادي الليثي حليف بني هاشم.

ويرشدنا طلب أمير المؤمنين الحضانة إلى أن أولوية الخالة على غيرها من الأقارب إنما هو عند المخاصمة وإلا فلم يخف الحكم على سيد الوصيين وهو مستقى الأحكام وينبوعها وقد امتزجت ذاته المقدسة بالمعارف الإلهية والأسرار الربوبية واستمد من اللوح المحفوظ.

ولعل السر الدقيق في مخاصمته معهما تعريف الأمة مقامه الرفيع ومنزلته الكبرى التي لا يدانيها كل أحد والواجب عليه بما أنه المنقذ الأكبر وإمام الأمة إرشادها إلى الطريق اللاحق بأي نحو من أنحاء الكلام.

لقد كان جعفر ملازماً لصاحب الرسالة ملازمة الظل يرقب أفعاله وتروكه ويسمع تعاليمه وعظاته ويبصر أعماله وحكمه ويقتصر أثره منذ كان يصل جناح الرسول الأيسر في الصلاة بعد أمير المؤمنين وخديجة الكبرى.

وكانت قريش تخبط في غلواء جحودها وتغلي مراجل بغضائها على الصادق بالدين الحنيف وعلى كل ذلك تمرنه التعاليم النبوية الخاصة به وتكهربه تهذبات المشرع الأظهر ولا تدعه جاذبة الدعوة الإلهية يلوي يميناً وشمالاً.

ومن هنا ائتمنه صاحب الرسالة على نشر كلمة التوحيد وعلى ضعفاء المسلمين يوم بعثه إلى الحبشة في السنة الخامسة من الهجرة فآدى النصيحة ونهض بالدعوة حتى استمال النجاشي إلى الإسلام فأمن غير أن منيته حالت دون أمنيته.

ولو لم يكن جعفر بتلك المنزلة الرفيعة لما تعاقبت مفاخرات أئمة الدين به كما افتخروا بعمه أسد الله وأسد رسوله في كثير من مفاخراتهم ففي احتجاج الطبرسي أن أمير المؤمنين احتج على

٧٨.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

أهل الشورى بأن أخاه جعفر المزين بجناحين في الجنة يحل فيها حيث شاء فلم يرد عليه أحد بل قابلوه بالتسليم والقبول.

وفي نهج البلاغة في ما كتب به إلى معاوية: إن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكلّ فضل حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل له الطيار في الجنة وذو الجناحين.

فلو لم يكن كفاحه عن الدين عن بصيرة نافذة ويقين ثابت لما افتخر به المعصومون والعارفون بمآل العباد حتى جعلوا مواقفه في الدين ذريعة إلى التوصل إلى مطلوبهم.

ولحزمه الثابت ومواقفه المحمودة وإصابته في الرأي وقديم إيمانه أمره النبي صلى الله عليه وآله في غزوة مؤتة على المسلمين ولم يجعل عليه أميراً فإذا قتل فالأمير زيد بن حارثة فإن قتل فالأمير عبدالله بن رواحة^(١) فما ذهب إليه فريق من المؤرخين من تقديم زيد وابن رواحة عليه يدفعه صحيح الأثر والاعتبار الصادق.

وهذه العظمة هي التي تركت قدومه من الحبشة يوم فتح خيبر أعظم موهبة منح الله تعالى بها نبيّه تعادل ذلك الفتح المبين حتى قال صلى الله عليه وآله (ما أدري بأيهما أسر بقدم جعفر أم بفتح خيبر)، ثم قال له ألا أحبوك ألا أمنحك فظن الناس أنه يعطيه ذهباً وفضة لما

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص وإعلام الورى: ص ٦٤، ومناقب ابن شهر آشوب: ج ١، ص ١٤٣.

فتح الله عليه من خير فقال له جعفر بلى يا رسول الله فعلمه صلاة التسبيح وهي المعروفة بصلاة جعفر^(١).

وهذه الحبوة من الرسول الكريم لابن عمّه حيث علم أن من فرط قداسته لا يروقه إلا ما كان من عالم القدس فخلع عليه بها وجعله وسام شرف له وهي من المتواترات بين العامة والخاصة كما نص عليه المجلسي في البحار.

ولكن شردمة من مناوئي أهل البيت لم يرق لهم ثبوت تلك المنحة لأخي أمير المؤمنين وحيث لم يسعهم أن يلصقوها بواحد منهم زحزحوها إلى العباس بن عبد المطلب كما في شفاء السقام للسيد جعفر الكتاني، ص ٢٠.

وقد كشفت الحقيقة عن نفسها وأماطت ستار التمويه بافتعال هذه النسبة من عكرمة مولى ابن عباس الكذاب بنص الذهبي في الميزان وياقوت في المعجم وابن خلكان في الوفيات بترجمته.

(١) انظر الكافي والهداية للصدوق وجمال الأسبوع ودعوات الراوندي وأربعين الشهيد.

٨٠.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ

إخوته

إن حاجة الباحث في تاريخ أبي الفضل عليه السلام ماسة إلى معرفة إخوته الأكارم لمناسبات هناك فإن منهم من يعد قربه منه فضيلة رابية وشرفاً باذخاً فضلاً عن الإخوة وهما الإمامان على الأمة إن قاما وإن قعدا^(١).

وإذا كانت بنوتهما لأمير المؤمنين معدودة من فضائله مع ما له من الفضائل التي لا يأتي عليها الحصر كما يظهر من قوله عليه السلام يوم الشورى: «أنشدكم بالله هل فيكم أحد له مثل الحسن والحسين ابني رسول الله وسيدي شباب أهل الجنة غيري قالوا لا»^(٢). كما أنه عليه السلام افتخر بهما يوم كتب إليه معاوية إن لي

(١) كشف الغمة: ص ١٥٩، ومراد النبي ﷺ أن الإمامة التي هي المنصب الإلهي لا تزول عنهما مع القعود عن الحرب والنهوض إلى الجهاد فكل من الإمامين إنما قام بما يقتضيه صلاحه من دون أن يدنو إلى أي منهما لائمة ومراده من القاعد هو الإمام المجتبي ومن القائم الشهيد والتثنية في الفعلين للتغلب.

(٢) خصال الصدوق وأمالى الشيخ الطوسي واحتجاج الطبرسي وإرشاد القلوب.

٨٢.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

فضائل كان أبي سيداً في الجاهلية وصرت ملكاً في الإسلام وأنا
صهر رسول الله وخال المؤمنين وكاتب الوحي فكتب إليه أمير
المؤمنين أبياتاً سبعة ذكر فيها مصاهرته من رسول الله وأن عمه
سيد الشهداء وأخاه الطيار مع الملائكة في الجنان وسبقه إلى
الإسلام وأخذ البيعة له (يوم الغدير) وأن ولديه سبطا رسول
الله صلى الله عليه وآله (١).

وحيثُذ فأخوة العباس لهما أولى أن تعدّ من مآثره وفضائله
أضف إلى ذلك ما استفاده منهما من العلوم والمعارف الإلهية.

ومنهم من يجمعه وإياه جامع العقب فإن المعقبين من أولاد أمير
المؤمنين الإمامان والعباس ومحمد بن الحنفية وعمر الأطراف.

ومنهم من شاركه في موقف الطف.

ومنهم من يعد هو وإياه تحت جامع الأمومة.

ومنهم من شاركه في الاسم.

وعليه فأولاد أمير المؤمنين الذكور ستة عشر

الحسن والحسين والمحسن - أمهم سيدة نساء العالمين

محمد بن الحنفية - أمه خولة

(١) ذكر العلامة الأميني في الغدير: ج ٢، ص ٢٤، الشعر وأشار إلى من ذكره
من العلماء.

العباس وعبدالله وجعفر وعثمان - أمهم أم البنين
عمر الأطراف والعباس الأصغر - أمهما الصهباء
محمد الأصغر - أمه امامة بنت أبي العاص .
يحيى وعون - أمهما أسماء بنت عميس
عبدالله وأبو بكر - أمهما ليلي بنت مسعود
محمد الأوسط - أمه أم ولد^(١) .

أما الإمامان فالأحرى أن نجعجع اليراع عن التبسط في
فضلهما وموقفهما من القداسة ومحلها من الزلفى وما أوتيا من
حول وطول والبسطة في العلم فإن الوقوف على كنه ذلك فوق
مرتکز العقول .

وأما المحسن بتشديد السين كما في تاج العروس بمادة شبر
والإصابة بترجمته وضم الميم وسكون الحاء كما في حاشية السيد
محمد الحنفي على شرح ابن حجر لهمزية البويصري، ص ٢٥١ .

فعند الإمامية أن النبي ﷺ سماه باسم ابن هارون مشبر
كمحدث كما في القاموس وغيره وكان حملاً وبعد وفاته أسقطته
فاطمة الزهراء لسته أشهر والروايات التي ذكرها ابن طاووس في
(الطرف) وغيره في غيرها تساعدهم .

(١) ذكر هذا العدد عدا العباس الأصغر ابن جرير في التأريخ: ج ٦، ص ٨٩ .

ابن الحنفية

وأما محمد الأكبر الذي يجمعه وإياه جامع العقب فيكنى بابن الحنفية وهي أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بني الذئب بن حنيفة ابن لجيم وأمها بنت عمرو بن أرقم الحنفي .

واختلف في أمرها أنها سبية أيام رسول الله ﷺ لما بعث علياً إلى اليمن فأصاب خولة في بني زيد وقد ارتدوا مع عمرو بن معد يكرب وكانت زيد سبتها من بني حنيفة في غارة لهم عليهم .

وقيل إن خالد بن الوليد قاتل أهلها أيام أبي بكر فسباهم فهي من جملة السبايا فدفعها أبو بكر من سهمه في المغنم .

وقيل إن بني أسد أغارت على بني حنيفة أيام أبي بكر فسبوا خولة وباعوها من علي عليه السلام فبلغ قومها خبرها فجاؤوا إلى علي عليه السلام فعرفوه أنها ابنتهم فأعتقها وأمهرها وتزوجها^(١) .

وقيل إنها سبيت أيام أبي بكر فاشتراها أسامة بن زيد وباعها من علي عليه السلام .

وفي حديث أسماء بنت عميس أن أمير المؤمنين عليه السلام اشتراها من سوق ذي المجاز أوان مقدمه من اليمن فوهبها فاطمة عليها السلام فباعتها من مكمل الغفاري فولدت منه عونة ثم باعها من علي عليه السلام .

(١) شرح النهج الحديدي: ج ١، ص ٨١.

ويحكي ابن خلكان في الوفيات قولاً إنها سنديّة أمة لبني حنيفة سوداء وحكاه الشيخ الجليل ابن إدريس الحلبي في مزار السرائر عن ابن حبيب النسابة وقال إنه جهل منه وقلة تأمل .

ويروي القطب الراوندي في الخرائج أنها سببت أيام أبي بكر وأن الزبير وطلحة طرحا عليها ثوبيهما طلباً للاختصاص بها فصاحت لا يملكني إلا من يخبرني بالرؤيا التي رأتها أمي وعن اللوح الذي كتبت فيه الرؤيا وما قالته لي فعجزوا عن معرفته إلا أمير المؤمنين حيث أوضح لها في ملاء من المسلمين أمراً غيبياً عجب منه الحاضرون فعندها قالت من أجلك سبينا ولحبك أصابنا ما أصابنا .

ولم يعبأ السيد المرتضى في (الشافى) بجميع ذلك فقال لم تكن الحنفية سبية على الحقيقة ولم يستبحها أمير المؤمنين بالسبي لأنها بالإسلام صارت حرة مالكة أمرها فأخرجها من يد من استرقها ثم عقد عليها عقد النكاح .

وما ذكره هو الصحيح المقبول فإن الردة المزعومة لا توجب أحكام الكفر ومنع الزكاة وأمثالها على التأويل فليس فيه خروج عن ربة الإسلام .

وأما ولادة محمد ف قيل إنها أيام أبي بكر وقيل أيام عمر وخصها ابن خلكان بأول المحرم لسنتين بقيتا من خلافة عمر وإذا علمنا أن عمر مات سنة ثلاث وعشرين كانت ولادته سنة إحدى

٨٦.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وعشرين وأما على رأي ابن كثير في البداية ج٩، ص ٣٨ وسبط ابن الجوزي في التذكرة من وفاته سنة إحدى وثمانين عن خمس وستين فتكون ولادته سنة ستة عشر للهجرة.

وأما قبره فعند ابن قتيبة في المعارف، ص ٩٥، بالطائف وفي تذكرة الخواص بأيلة مدينة مما يلي الشام وفي حلية الأولياء، ج٣، ص ١٧٣، وتهذيب التهذيب، ج٩، ص ٣٥٥، بالمدينة المنورة وعينه ابن كثير بالبقيع وفي معجم البلدان، ج٣، ص ٣٨٧ أن أهل جزيرة خارك التي هي في وسط البحر الفارسي يزعمون أن بها قبر محمد بن الحنفية يقول الحموي وقد زرت هذا القبر فيها ولكن التواريخ تأباه.

واعتقاد الكيسانية حياته في جبل رضوى يأتيه رزقه وله عودة من الخرافات للاتفاق على موته.

وإن كلمة الإمام الحسن السبط تدلنا على فضله الشامخ وورعه الثابت ونزاهته عن كل دنس ومعرفته بالإمام الواجب اتباعه قال الشيخ الجليل الطبرسي من أعلام القرن السادس في (إعلام الوري):

أرسل الحسن بن أمير المؤمنين قبراً خلف محمد بن الحنفية فلما مثل بين يديه قال له: اجلس فليس يغيب مثلك عن كلام يحيى به الأموات ويموت به الأحياء.

كونوا أوعية العلم ومصابيح الدجى فإن ضوء النهار بعضه أضواً من بعض أما علمت أن الله عز وجل جعل ولد إبراهيم عليه السلام أئمة وفضل بعضهم على بعض وآتى داود زبوراً وقد علمت بما استأثر الله تعالى به محمداً عليه السلام.

يا محمد بن علي لا أخاف عليك الحسد وإنما وصف الله به الكافرين فقال تعالى ﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ﴾ ولم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً.

يا محمد بن علي ألا أخبرك بما سمعت من أبيك فيك قال بلى فقال سمعت أباك يقول يوم البصرة من أحب أن يبرني في الدنيا والآخرة فليبر محمدًا.

يا محمد بن علي لو شئت أن أخبرك وأنت نطفة في ظهر أبيك لأخبرتكَ.

يا محمد بن علي أما علمت أن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي ومفارقة روعي جسمي إمام من بعدي عند الله في الكتاب الماضي ووراثه النبي عليه السلام أصابها في وراثته أبيه وأمه علم الله أنكم خير خلقه فاصطفى محمد عليه السلام علياً واختارني علي للإمامة واخترت أنا الحسين.

فقال له محمد بن علي أنت إمامي وأنت وسيلتي إلى محمد والله لو ددت أن نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام ألا

٨٨.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وإن في نفسي كلاماً لا تنزفه الدلاء ولا تغيره الرياح كالكتاب المعجم في الرق المنمنم أهمّ بإبدائه فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب المنزل وما جاءت به الرسل وإنه لكلام يكلّ به لسان الناطق ويد الكاتب ولا يبلغ فضلك وكذلك يجزي الله المحسنين ولا قوة إلا بالله .

إن الحسين أعلمنا علماً وأثقلنا حلاً وأقربنا من رسول الله رحماً كان إماماً فقيهاً قبل أن يخلق وقرأ الوحي قبل أن ينطق ولو علم الله أن أحداً خير منا ما اصطفى محمداً فلما اختار الله محمداً واختار محمد علياً واختارك علي واخترت الحسين بعدك سلمنا ورضينا بمن هو الرضا وبه نسلم المشكلات .

وهذه الوصية تفيدنا عظمة ابن الحنفية من ناحية الإيمان وأنه من عياب العلم ومناجم التقى فأى رجل يشهد له إمام وقته بأن الله لم يجعل للشيطان عليه سلطاناً وأنه لا يخشى عليه من ناحية الحسد الذي لا يخلو منه أو من شيء من موجباته أي أحد لم يبلغ درجة الكمال ثم أي رجل أناط أمير المؤمنين البر به بالبر بنفسه التي يجب على كافة المؤمنين أن يبروا بها .

على أن الظاهر من قول المجتبي (أما علمت أن الحسين) هو أن علم محمد بالإمامة لم يكن بمحض النص المتأخر وإن أكده ذلك وإنما هو بعلم مخصوص برجال بيت الوحي مكنون

عندهم بالإحاطة بالكتاب الماضي والقدر الجاري ويرشدنا إلى هذا قول ابن الحنفية (إن في رأسي) إلخ فإنه أظهر من سابقه في ما قلنا وكلماته الذهبية في الاعتراف بحق الإمامين تدلنا على ثباته المستقى من عين صافية بأرشية من الحق وما هي إلا ذلك اللوح المحفوظ.

أضف إلى ذلك ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: (تأبى المحامدة أن يعصى الله وهم محمد بن الحنفية ومحمد بن جعفر الطيار ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة وهو ابن خال معاوية بن أبي سفيان)^(١) وهذه شهادة من سيد الأوصياء في

(١) رجال الكشي: ص ٤٧، وفيه أن محمد بن أبي حذيفة كان من أنصار علي وخيار الشيعة وبعد شهادة علي حبسه معاوية دهرًا حيث لم يتبرأ من المشايعة لعلي وولده وبعد أن أخرجه حمله على البراءة منه والموالاة لعثمان فقال له إني لا أعلم أحداً شرك في دم عثمان غيرك حيث استعملك وخالف المسلمين في رأيهم عليه بعزلك حتى جرى عليه ما كان وإن طلحة والزبير وعائشة هم الذين ألبوا عليه وشهدوا عليه بالجريمة وإني أشهد أنك منذ عرفت في الجاهلية والإسلام لعلي خلق واحد ما زاد الإسلام فيك شيئاً وعلامته أنك تلومني على حبي لعلي وقد خرج معه كل صوام قوام من المهاجرين والأنصار كما خرج معك أبناء المنافقين والطلاق والله يا معاوية ما خفي عليك ما صنعت ولا خفي عليهم ما صنعوا إذ أحلوا أنفسهم سخط الله بطاعتك وإني لا أزال أحب علياً لله ولرسوله وأبغضك في الله ورسوله أبداً ما بقيت ثم رده إلى السجن فمات فيه.

٩٠.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

حق ولده الكريم محمد قد أخذت مأخذها من الفضيلة وأحلت
محمدًا المحل الأرفع من الدين وأقلته سنام العز في مستوى
الإيمان.

وإن شهادة أمير المؤمنين بأنه ممن يأبى أن يعصى الله تعرفنا
عدم ادعائه الإمامة لنفسه بعد الحسين فإن تسليمه الإمامة للسجاد
لا يختلف فيه اثنان واستدعاؤه الإمام للمحاكمة عند الحجر
الأسود من أكبر الشواهد على تفننه في تنبيه الناس لمن يجب
عليهم الانقياد له.

وعدم حضوره مشهد الطف إما لما يقوله العلامة الحلي في
أجوبة المسائل المهنائية من المرض أو لما يروي محمد بن أبي
طالب في المقتل من إذن الحسين له في البقاء بالمدينة يعرفه بما
يحدث هناك فهو معذور مقبول.

ولبسالته المعلومة وموقفه من الحق أنزله أبوه يوم (الجمل)
منزلة يده فكان يخوض الغمرات أمامه ويمضي عند مشتبك
الحرب قدماً وكان يقول له عند أمره لمنازلة الأقران دون الإمامين
إنهما عيناى وأنت يدي أفلا أدفع بيدي عن عيني.

وناهيك من بلاغته المزيجة بالشجاعة خطبته يوم صفين وقد
برز بين الصفين فأومى إلى عسكر معاوية وقال:

يا أهل الشام اخسأوا يا ذرية النفاق وحشو النار وحصب

جهنم إلى آخر كلامه المروي في تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٦٧ . ومناقب الخوارزمي ص ١٣٤ ، فكان لهذه الخطبة البليغة موقع تام في ذلك الجيش اللجب والجمع المتكاثف ولم يبق في الفريقين إلا من اعترف بفضله .

الأطرف

وأما عمر الأطراف فكما شاركه في العقب وقع الخلاف من أهل النسب في أيهما أسبق في الولادة فالذي عليه ابن شهاب العكبري وأبو الحسن الأشنائي وابن جداع تقدم ولادة عمر وعند شيخ الشرف العبيدلي والبغدادي وأبي الغنائم العمري تقدم ولادة العباس عليه السلام (١) .

ولا يمكننا الحكم بشيء بعد جهالة السنة التي توفي فيها وذكرها على الإجمال في زمن عبد الملك أو ابنه الوليد لا يغني وإن عرفوا مقدار عمره بخمس وثمانين أو خمس وسبعين .

نعم يظهر من المؤرخين عند ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام أن العباس أكبر منه لأنهم يقدمون ذكر العباس وإخوته على عمر . على أن الداودي في العمدة ص ٣٥٤ يقول كان عمر آخر من ولد من بني علي عليه السلام .

(١) عمدة الطالب : ص ٣٥٠ .

٩٢.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وعلى كل حال فالوجه في تسميته بالأطرف إنما هو بعد ولادة عمر الأشرف بن الإمام السجاد عليه السلام أخو زيد الشهيد لأمه فإنه سمي بالأشرف لجمعه الفضيلة من ولادة علي وفاطمة عليهما السلام والأطرف حاز الفضل من طرف أبيه^(١).

ولم يحضر مع الحسين في الطف ولا مع مصعب بن الزبير وقد وهم من ذكره في المستشهدين يوم الطف كما أخطأ الدينوري في الأخبار الطوال ص ٢٩٧، في عده من جملة من قتل مع مصعب في الحرب القائمة بينه وبين المختار وأغرب منه عد اليافعي له في مرآة الجنان، ج ١، ص ١٤٣، في جملة المقتولين مع المختار لأن المشهور بين المؤرخين بقاؤه إلى بعد الحسين حتى نازع السجاد في الصدقات ومالاً عبد الملك فلم ينجح كما نازع الحسن المثنى فيها عند الحجاج فطرده عبد الملك عنها^(٢).

ويروي السيد ابن طاووس أنه أشار على الحسين بالبيعة ليزيد فقال له إن أبي حدثني عن رسول الله بقتله وقتلي وإن تربتي إلى جنب تربته أتظن أنك تعلم ما لم أعلمه فوالله لا أعطي الدنيا من نفسي^(٣).

(١) المصدر: ص ٢٩٨.

(٢) البحار: ج ٩، عند ذكر أولاد علي عليه السلام وعمدة الطالب عند ذكر الحسن المثنى.

(٣) اللهوف: ص ١٥ صيدا.

ولا أعلم السبب في تأخره عن الطف والظن لا يغني عن الحق شيئاً وليس لنا إلا التسليم ما لم يقد دليل قطعي على المعاندة والمخالفة خصوصاً بعدما جاء الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام وفيه لا يخرج أحدنا من الدنيا حتى يقر لكل ذي فضل فضله ولو بفوق ناقة فإنه صريح في توبة من كان ظاهره الخلاف لأهل البيت عليهم السلام عند الممات ولا إشكال في أن التوبة مكفرة لما صدر من العصيان كما في صريح الكتاب المجيد وإجماع المسلمين والأخبار المتواترة التي توجب القطع بمضمونها فالتهجم على آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمجرد تلك الأحاديث التي لا يعرف مأخذها خروج عن طريقة الأئمة الطاهرين.

وأما عبيد الله بن النهشلية فلم يحضر الطف وجاء إلى المختار يطلب الرشد فلم يصله فالتحق بمصعب وجاء معه فلما وصل المذار من سواد البصرة وجد في فسطاطه مذبحاً ولم يعلم قاتله^(١).

والمشارك معه في يوم الطف أبو بكر وأمه ليلي بنت مسعود النهشلية قال ابن جرير وابن الأثير شك في قتله وفي نفس المهموم، ص ١٧٣، وجد في ساقية قتيلاً لا يعلم قاتله.

وكانه لما حمل آل أبي طالب بعد قتل عبدالله بن مسلم بن

(١) كتاب زيد الشهيد: ص ٨٨.

٩٤.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

عقيل حملة واحدة فصاح بهم الحسين صبراً على الموت يا بني
عمومتي فوالله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً.

سقط فيهم عون بن الطيار وأخوه محمد وعبد الرحمن بن
عقيل وأخوه جعفر ومحمد بن مسلم بن عقيل وأبو بكر هذا
فلذلك لم يعرف قاتله.

ومحمد الأوسط وأمه أم ولد قتله رجل من بني أبان بن دارم
واحتز رأسه^(١).

وعبدالله المولود سنة ٣٦ وجعفر المولود سنة ٣٢ وعثمان
المولود سنة ٤٠هـ^(٢). فقتل هاني بن ثابت الحضرمي عبدالله
وجعفرأ ورمة خولي بن يزيد الأصبحي عثمان واحتز رأسه رجل
من بني أبان بن دارم^(٣). وهؤلاء جمعهم وإياه الأمومة أيضاً.

والمشارك له في الاسم عباس الأصغر نص عليه النسابة
السيد محمد كاظم اليماني في النفحة العنبرية قال وكان شقيقاً
لعمر الأطراف وفي ناسخ التواريخ ذكر العباس الشهيد والعباس
الأصغر ويؤيده أن النسابة العمري في المجدي وابن شهر آشوب
في المناقب والشبلنجي في نور الأبصار والمحب الطبري في

(١) ابن الأثير: ج ٤، ص ٣١.

(٢) المجدي للنسابة العمري.

(٣) ابن الأثير: ج ٤، ص ٣١.

ذخائر العقبي وصفوا الشهيد بالعباس الأكبر وهذا التعبير في
عرف النسابين يقع لمن يكون له أخ أصغر منه شاركه في الاسم
لا في من هو أكبر إخوته مطلقاً ولو لم يشاركه في الاسم والظاهر
أن العباس الأصغر درج في أيام أبيه لأنه ليس له ذكر في الوارثين
لأمير المؤمنين من ولده.

٩٦.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ

أخواته

كانت أخوات العباس من أبيه ثمان عشرة^(١) فمنهن من توفيت أيام أبيهن كزينب الصغرى وجمانة وأمامة وأم سلمة ورملة الصغرى^(٢). ومنهن من لم يذكر خروجهن إلى أزواج واللواتي خرجن إلى أزواج، فالعقيلة زينب الكبرى كانت عند عبدالله بن جعفر الطيار فولدت له جعفر الأكبر وعباساً وعلياً المعروف بالزيني وعوناً الأكبر قتل يوم الطف في حملة آل أبي طالب وأم كلثوم وهي التي زوّجها الحسين من ابن عمها القاسم بن محمد بن الطيار وأنحلها البغيغات^(٣) ورقية عند ابن عمها الشهيد مسلم بن عقيل ولدت له عبدالله وعلياً ومحمداً، وفي العمدة تزوج مسلم أم كلثوم بنت علي عليه السلام فولدت له حميدة تزوجها الفقيه الجليل عبدالله ابن محمد بن عقيل بن أبي طالب أولدها محمداً منه العقب.

(١) الطبري: ج ٦، ص ٨٩.

(٢) مناقب السروي: ج ٢، ص ٧٦.

(٣) المصدر: ص ١٧١.

٩٨.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ولا يتم هذا إلا بعد وفاة إحداهما إذ لا يجوز الجمع بين الأختين .

وكانت فاطمة عند أبي سعيد بن عقيل ولدت له حميدة وخديجة - كانت عند عبد الرحمن بن عقيل ولدت له سعيداً، وأم هاني تزوجها عبدالله الأكبر بن عقيل ولدت له عبد الرحمن ومحمداً .

وأم الحسن خرجت إلى جعدة بن هبيرة المخزومي .

وأمامة كانت عند الصلت بن عبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ولدت له نفيسة^(١) .

العقيلة

وكيف ما كان فالهم في هذا العنوان النظر في العقيلة الكبرى التي هي أعظمهن قدراً وأجلهن شأناً فإنها شظية من شظايا النبوة وفلذة من أفلاذ الإمامة وهي الجوهرة الفردة التي ضمها إليه صدف القداسة (الزهراء الطاهرة عليها السلام) وأنجب بها سيد الأوصياء .

بجلال أحمد في مهابة حيدر قد أنجبت أم الأئمة زينبا فكانت شريكة الإمامين سيدي شباب أهل الجنة في ذلك

(١) إعلام الورى والمجدي ومعارف القتيبي .

المرتكض الطاهر والحجر الزاكي والصلب القادس واللبان
السائغ والتربية الإلهية .

أضف إلى ذلك العلم المتدفق والفقہ الناجع وقد شهد لها
ابن أخيها السجاد عليه السلام (بأنها عالمة غير معلمة وفاهمة غير
مفهمة)^(١) وحسبها من الخطر أن ما انحنت عليه الأضالع هو
ذلك العلم المفاض عليها من ساحة القدس الإلهي لا بإرشاد
معلم أو تلقين مرشد مع البلاغة في المنطق والبراعة في الإفاضة
كأنها تفرغ عن لسان أبيها الوصي :

وعن الوصي بلاغة خصت بها أعيت برونقها البليغ الأخطبا
ما استرسلت إلا وتحسب أنها تستل من غرر الخطابة مقضبا
أو أنها اليزني في يد باسل أخلا به ظهراً وأوهى منكبا
أو أنها تقتاد منها فيلقاً وتسوق من زمر الحقائق موكبا
أو أن في غاب الإمامة لبوة لزئيرها عنت الوجوه تهيبا
أو أنها البحر الخضم تلاطمت أمواجه علماً حجى بأساً إبا
أو أن من غضب الإله صواعقاً لم تلف عنها آل حرب مهربا
أو أن حيدرة على صهواتها يفني كراديس الضلال ثابثا
أو أنه ضمته ذروة منبر فأثار نهجاً للشريعة ألحبا

(١) احتجاج الطبرسي: ص ١٦٦، طبع النجف والطرز المذهب والكبريت

الأحمر: ص ١٧، ج ٢.

١٠٠العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

أو أن في اللاؤى عقيلة هاشم قد فرقت شمل العمى أيدي سبا^(١)

ولم تكن هذه البراعة والاسترسال في القول إلا عما انطبع فيها من النفسيات القوية والملكات الفاضلة ممتزجة بثبات جأش وطمأنينة نفس وشجاعة إن شئت فسّمها بالأديبة وإلا فهي فوق ذلك، وكانت تلقي خواطرها بين تلك المحتشديات الرهيبية أو فقل بين الناب والمخلب غير متععة ولا متلعثمة وتقذفها كالصواعق على مجتمع خصومها فكانت أعمالها وخطبها الجزء الأخير للعلة من نهضة السبط الشهيد وأصبحت تمام الفضيحة للأمويين بما نشرته بين الملأ من صحيفتهم السوداء حتى ضعفت عرش دولتهم وفككت عرى سلطانهم وألصقت بهم العار من كل النواحي فكانت شريكة الإمام الشهيد في هذه الفضيلة.

وتشاطرت هي والحسين بدعوة حتم القضاء عليهما أن يندبا هذا بمشتبك النصول وهذه في حيث معترك المكاره في السبا وهذه النفسية التي حوتها والثبات الذي انطوت عليه أضالعها أوجب لأخيها الشهيد أن يصحبها في سفره إلى مشهد الطف علماً منه بلياقتها لتلقي الأسرار كما هي وأدائها في مورد الأداء كما يجب، وهذا هو الذي أهّلها لتحمل شطراً مما يحمله الإمام بعد

(١) من قصيدة للعلامة ميرزا محمد علي الأوردبادي طبعت في كتاب (زينب الكبرى).

أخواته ١٠١

حادثة الطف حفظاً للسجاد عن عادية الأعداء فكان يرجع إليها في معرفة الأحكام الشرعية وإن كان المرجع إليها زين العباد عليه السلام.

ففي الحديث عن أحمد بن إبراهيم قال دخلت على حكيمة بنت الجواد عليه السلام أخت أبي الحسن الهادي فكلمتها من وراء حجاب وسألتها عن دينها فسمت من تأتم بهم عليه السلام ثم قالت والحجة بن الحسن بن علي فسمته قلت لها جعلني الله فداك معاينة أو خبراً قالت خبر عن أبي محمد الحسن بن علي كتب به إلى أمه فقلت لها فأين الولد قالت مستور قلت إلى من تفرع الشيعة قالت إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام فقلت لها أقتدي بمن وصيته إلى امرأة فقالت اقتداءً بالحسين بن علي فإنه أوصى إلى أخته زينب بنت علي في الظاهر فكان ما يخرج من علي بن الحسين من علم ينسب إليها سترأ على علي بن الحسين عليه السلام ^(١).

ولليقين الثابت والبصيرة النافذة لم تكثر بشيء من الأهوال ولا راعها الهزاهز منذ مشهد الطف إلى حين وصولها المدينة وكان بمنظر منها مصارع آل الله نجوم الأرض من آل عبد المطلب وبينهم سيد شباب أهل الجنة بحالة تنفطر لها السموات وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأً.

وليس معها من حماتها حمي ولا من رجالها ولي غير الإمام

(١) إكمال الدين للصدوق: ص ٢٧٥، والغيبة للشيخ الطوسي: ص ١٤٨.

١٠٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المضنى الذي أنهكته العلل ، ونسوة في الأسر مكتنفة بها بين شاكية وباكية وطفل كضه العطش إلى أخرى أقلقها الوجل .

وأمامهما الجيش الفاتح الجذل بسكرة الظفر وبشر الشماتة ودعة السلام والفرح بالغنيمة ومخيم آل بيت الله طنبت عليه الكوارث والمحن ، فقد الحماة والخوف من الأعداء ، والأوام المبرح ، ونحيب ونشيج ، وصراخ وعولة .

والعقيلة في كل هذه الأحوال هي المهدئة لفورتهن والمسكنة لروعتهن فلم يشاهد منها عزم خائر ولا جأش مائر ولا صرخة عالية ولا ذهول عن أمر الحرم .

كيف لا ، وهي بقية أمير المؤمنين ونائبة الحسين على تلکم الأحوال والناهضة الكريمة إلى مغزى أخيها والمتممة لقصده الراقي وأمره الرشيد .

نعم أهمها من بين ذلك شيء رأته نظرت إلى ابن أخيها السجاد يجود بنفسه حينما شاهد تلك الجثث الزواكي تصهرها الشمس فعظم عليها أمر الإمام فأخذت تصبره وتسليه وهو الذي لا توازن بصبره الجبال وفي ما قالت له : (ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي فوالله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك وعمك ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السموات إنهم يجمعون هذه

أخواته ١٠٣

الأعضاء المتفرقة والجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا
الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه
على كرور الليالي والأيام وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في
محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً^(١).

وهل بعد هذا يبقى مجال للشك في موقفها من الثبات
ومحلها من الطمأنينة ومبوئها من العظمة.

وإن حديث الرواة لما وقفت على جسد أخيها وقالت (اللهم
تقبل منا هذا القربان)^(٢). يدلنا على تبوئها عرش الجلالة وأنها
المأخوذ عليها الميثاق بتلك النهضة المقدسة كأخيها الحسين وإن
كان التفاوت محفوظاً بينهما حتى إن أحدهما لما أتم النهوض
بالعهد وخرج عن العهدة بإزهاق نفسه المطهرة نهض الآخر بما
وجب عليه ومنه تقديم (الذبيح) إلى ساحة الجلال الربوبي
والتعريف به ثم طفقت سلام الله عليها ناهضة ببقية الشؤون التي
وجبت عليها ولا استبعاد في ذلك بعد وحدة النور وتفرد العنصر.

ثم هلم معي لنقرأ موقفها أمام ابن مرجانة وقد احتشد
المجلس بوجوه الكوفة وأشرفها وهي امرأة عزلاء ليس معها إلا
مريض يعاني ألم القيود ونساء ولهي وصيبة تنن فأفرغت عن لسان

(١) كامل الزيارة.

(٢) الكبرى الأحمر: ج ٣، ص ١٧، عن الطراز المذهب.

١٠٤ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

أبيها بكلام أنفذ من السهم وأحدّ من شبا السيوف وألّقت ابن مرجانة حجراً إذ قالت له (هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم فانظر لمن الفلج ثكلتك أمك يا ابن مرجانة).

وأوضحت للملأ المتغافل خبثه ولؤمه وأنه لن يرحض عنه عارها وشنارها كما أنها أدهشت العقول وحيرت الفكر في خطبتها بالكناس والناس يومئذ حيارى يبكون لا يدرون ما يصنعون وأنى يرحض عنهم العار بقتلهم سليل النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة وقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة وباؤوا بغضب من الله وخزي في الآخرة ولعذاب الله أكبر لو كانوا يعلمون.

كما أنها أظهرت أمام ابن ميسون أسرار نهضة أخيها الحسين وعرّفت الأمة طغيان يزيد وضلال أبيه وفضاعة أعمالهم وعظيم ما اقتترفوه وفي ما قالت له «أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة، إلى آخر كلامها»^(١).

ولهذه النكتة الدقيقة جاء بها شهيد العز والإباء إلى العراق

(١) رواها أحمد بن أبي طاهر طيفور من أعلام القرن الثالث في بلاغات النساء، ص ٢١، النجف، والخوارزمي في المقتل مخطوط والطبرسي في الاحتجاج والصدوق في الأمالي.

لعلمه أن الغاية التي يضحي نفسه لأجلها ستذهب أدراج السلطة الغاشمة وتبقى الحقيقة مستورة على السذج لو لم يتعقبها لسان ذرب وأن كل أحد لا يستطيع في ذلك الموقف الحرج الذي تحفه سيوف الظلم أن يتكلم بالحقيقة مهما بلغ من المنعة في عشيرته إلا العقيلة فإنها التي تعلن بموبات ابن مرجانة وابن معاوية وإن ما جرى على ابن عفيف الأزدي شاهد له .

كما أنه عليه السلام كان على يقين وثقة بإخبار جده الرسول ﷺ أن القوم وإن بلغوا الخسة والغواية وتناهوا في الخروج عن سبيل الحمية لا يمدون إلى النساء يد السوء وقد أنبأ سلام الله عليه عن هذا بقوله لهم ساعة الوداع «البسوا أزركم واستعدوا للبلاء واعلموا أن الله حاميك وحافظكم وسينجيكم من شر الأعداء ويجعل عاقبة أمركم إلى خير ويعذب أعاديكم بأنواع العذاب ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم»^(١) .

فكان في مجيء الحسين بالعقيلة فوائدها تنزيه دين النبي ﷺ عما ألصقوه بساحته من الأباطيل ولا قبح فيه عقلاً كما لا يستهجنه العرف ويساعد عليه الشرع .

والمرأة وإن وضع الله عنها الجهاد ومكافحة الأعداء وأمرها

(١) جلاء العيون للمجلسي .

١٠٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

سبحانه أن تقر في بيتها فذلك فيما إذا قام بتلك المكافحة ودافع عن قدس الشريعة غيرها من الرجال وأما إذا توقف إقامة الحق ونصرة الدين عليها فقط كان الواجب النهوض بعبء ذلك كله كي لا تندرس آثار الحق وتذهب تضحية أولئك الصفوة دونه أدراج التمويهات ولذلك نهضت سيدة نساء العالمين للدفاع عن خلافة الله الكبرى حين أخذ العهد على سيد الأوصياء بالسكوت .

على أن الخضوع لناموس عصمة الإمام في جميع أقواله وأفعاله الصادرة عنه طيلة حياته يحتم علينا الإذعان بأن ما صدر منه منبعث عن حكم إلهي قرأه في الصحيفة الخاصة به التي يخبر الصادق عليه السلام عنها «إن لكل واحد منا صحيفة يعمل بما فيها» ويقول الإمام الباقر فبتقدم علم من رسول الله قام علي والحسين وبعلم صمت من صمت منا كما أنه عليه السلام أعلم بذلك جابراً الأنصاري حين قال له ألا تصالح كما صالح أخوك الحسن فقال إن أخي فعل بأمر من الله ورسوله وأنا أفعل بأمر من الله ورسوله .

فهذه الأحاديث تفيدنا نموذجاً من الاهتداء إلى معرفة سير الإمام في جميع أفعاله وأنها ناشئة عن حكم ربانية لا يتطرق إليها الشك والريب وليس الواجب علينا إلا التصديق بكل ما يصدر منه من دون أن يلزمنا الشرع أو العقل بمعرفة المصالح الباعثة على تلك الأفعال الصادرة منه سواء كانت الأفعال في العرف والعادة فظيعة جداً أم لا .

أم البنين

هي فاطمة^(١) بنت حزام^(٢) بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن.

١ - وأمها ثمامة^(٣) بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب.

٢ - وأمها عمرة بنت الطفيل بن مالك الأخرم بن جعفر بن كلاب.

٣ - وأمها كبشة بنت عروة الرحال بن جعفر بن كلاب.

٤ - وأمها أم الخشف بنت أبي معاوية فارس الهزار بن عبادة ابن عقيل بن كلاب.

٥ - وأمها فاطمة بنت جعفر بن كلاب^(٤).

٦ - وأمها عاتكة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وسماها في العمدة فاطمة.

(١) هذا في عمدة الطالب وفي تاريخ الخميس: ج ٢، ص ٣١٧، اسمها وايسى.

(٢) في الإصابة: ج ١: ٣٧٥ ومعارف ابن قتيبة: ص ٩٢، أثبتته بالراء المهملة بعد الحاء وعند ابن جرير وابن الأثير وأبي الفدا وغيرهم بالزاء المعجمة.

(٣) سماها في عمدة الطالب ليلي.

(٤) سماها في الأغاني: ج ١٥، ص ٥٠ خالدة.

١٠٨العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

٧ - وأمها آمنة بنت وهب بن عمير بن نصر بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمة .

٨ - وأمها بنت جحدر بن ضبيعة الأغر بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن ربيعة بن نزار .

٩ - وأمها بنت ملك بن قيس بن ثعلبة .

١٠ - وأمها بنت ذي الرأسين وهو خشين بن أبي عصم بن سمح بن فزارة وفي القاموس خشين بن لاي وفي تاج العروس لاي بن عصيم .

١١ - وأمها بنت عمر بن صرمة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن بغيض بن الريث بن غطفان .

هذا ما ذكره أبو الفرج في المقاتل من جدات أم البنين والدة العباس عليه السلام ومنه عرفنا آباءها وأحوالها ويعرفنا التاريخ أنهم فرسان العرب في الجاهلية ولهم الذكريات المجيدة في المغازي بالفروسية والبسالة مع الزعامة والسؤدد حتى أذعن لهم الملوك وهم الذين عناهم عقيل بن أبي طالب بقوله: ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس .

وذلك مراد أمير المؤمنين من البناء على امرأة ولدتها الفحولة من العرب فإن الآباء لا بد وأن تعرق في البنين ذاتياتها وأوصافها

أخواته ١٠٩

فإذا كان المولود ذكراً بانت فيه هذه الخصال الكريمة وإن كانت أنثى بانت في أولادها وإلى هذا أشار صاحب الشريعة الحقة بقوله: الخال أحد الضجيعين فتخيروا لنطفكم.

وقد ظهرت في أبي الفضل الشجاعتان الهاشمية التي هي الأربي والأرقى فمن ناحية أبيه سيد الوصيين والعامرية فمن ناحية أمه أم البنين.

فإن من قومها أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب جد ثمامة والدة أم البنين وهو الجد الثاني لأم البنين قيل له ملاعب الأسنة لفروسيته وشجاعته لقبه بذلك حسان لما رآه يقاتل الفرسان وحده وقد أحاطوا به قال ما هذا إلا ملاعب الأسنة وقيل إن أوس بن حجر قال فيه^(١):

يلعب أطراف الأسنة عامر فراح له حظ الكتائب أجمع

وهو الذي استعانه ابن أخيه عامر بن الطفيل على منافرة علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص لما تفاخرا على أن يسوق كل منهما مائة ناقة تكون لمن يحكم له ووضع كل منهما رهناً لمن أبناهم على يد رجل من بني الوحيد فسمي الضمين إلى اليوم وهو الكفيل ولما استعانه عامر دفع إليه نعليه وقال له استعن بهما

(١) رسالة ابن زيدون بهامش الصفدي على لامية العجم: ج ١، ص ١٣٠.

١١٠العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

في منافرتك فإني قد ربت بهما أربعين مرباعاً^(١).

والمرباع ما يأخذه الرئيس من ربع الغنيمة دون أصحابه خالصاً لنفسه وذلك عندما كانوا يغزون في الجاهلية^(٢). وهذان النعلان من مختصات الرئيس التي يخرج بها في الأيام الخاصة وإلا فلا مزية لهما حتى يستعين بهما على المنافرة.

ومنهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو أخو عمرة الجدة الأولى لأم البنين كان عامر أسود أهل زمانه^(٣) وأشهر فرسان العرب بأساً ونجدة وأبعدها اسماً حتى بلغ أن قيصر إذا قدم عليه قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر بن الطفيل فإن ذكر نسباً عظم عنده وأرفده وإلا أعرض عنه، وقد عليه علقمة بن علاثة فانتسب له قال له قيصر أنت ابن عم عامر ابن الطفيل فغضب علقمة ثم إنه دخل على ملك الروم فقال له انتسب فانتسب له قال الملك أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل فغضب وخرج عنه^(٤).

(١) الأغاني: ج ١٥، ص ٥٠، وبلوغ الأرب: ج ١، ص ٣١٧، بغداد ورسالة ابن زيدون.

(٢) القاموس والتاج.

(٣) الأغاني: ج ١٥، ص ٣٥.

(٤) سمط اللآلئ: ج ٢، ص ٨٩٠، ومجمع الأمثال: ج ٢، ص ٢٣.

ومنهم عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب والد كبشة الجدة الثانية لأم البنين كان وفاداً على الملوك وله قدر عندهم ومن هنا سمي الرحال وهو الذي أجاز لطيمة النعمان التي كان يبعث بها كل عام إلى سوق عكاظ فقتله البراض بن قيس الكناني واستاق العير وبسببه هاجت حرب الفجار بين حي خندف وقيس^(١).

ومنهم الطفيل فارس قرزل وهو والد عمرة الجدة الأولى لأم البنين كان معروفاً بالشجاعة والفروسية وهو أخو ملاعب الأسنة وربيعة وعبيدة ومعاوية بنو جعفر بن كلاب يقال لأمه أم البنين وإياها عنى لييد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب لما وفد بنو جعفر على النعمان بن المنذر وكان سميره الربيع بن زياد العبسي فاتهموه بالسعي عليهم فلما غدوا على النعمان كان معهم لييد وهو أصغرهم فأوا النعمان يأكل مع الربيع فقال لييد:

يا واهب الخير الجزيل من سعه نحن بنو أم البنين الأربعة
ونحن خير عامر بن صعصعه المطعمون الجفنة المددعه
الضاربون الهام وسط الخيضعه إليك جاوزنا بلاداً مسبعه
تخبر عن هذا خبيراً فاسمعه مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه
إن استه من برص ملمعه وإنه يولج فيها اصبعه^(٢)

(١) بلوغ الأرب: ج ١، ص ١٤٢.

(٢) إلى هنا من شواهد المغني للسيوطي: ص ٦٨.

١١٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

يولجها حتى يوارى أشجعه كأنما يطلب شيئاً ضيَّعه^(١)

فلم ينكر عليه النعمان ولا أحد من العرب لأن لهم شرفاً لا
يدافع ولذلك طرد النعمان الربيع عن مسامرته وقال له:

شرد برحلك عني حيث شئت ولا تكثر علي ودع عنك الأباطيلا
قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارك في شيء إذا قيلا

(١) الزيادة من جمهرة الأمثال للعسكري: ص ١٧٥.

الزواج

تزوج أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة ابنة حزام العامرية إما بعد وفاة الصديقة سيدة النساء كما يراه بعض المؤرخين^(١) أو بعد أن تزوج بأمامة بنت زينب بنت رسول الله كما يراه البعض الآخر^(٢) وهذا بعد وفاة الزهراء عليها السلام لأن الله قد حرم النساء على علي ما دامت فاطمة موجودة^(٣) فولدت أربعة بنين وأنجبت بهم العباس وعبدالله وجعفرأ وعثمان وعاشت بعده مدة طويلة ولم تتزوج من غيره كما أن أمامة وأسماء بنت عميس وليلى النهشلية لم يخرجن إلى أحد بعده وهذه الأربع حرائر توفي عنهن سيد الوصيين^(٤) وقد خطب المغيرة بن نوفل أمامة ثم خطبها أبو الهياج بن أبي

(١) الطبري: ج٦، ص٨٩، وابن الأثير: ج٣، ص١٥٨، وأبو الفدا: ج١، ص١٨١.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص١١٧، ومطالب السؤل: ص٦٣ والفصول المهمة: ص١٤٥، والإصابة بترجمة أمامة.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص٩٣.

(٤) كشف الغمة: ص٣٢، والفصول المهمة، ص١٤٥، ومناقب ابن شهر=

١١٤ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

سفيان بن الحارث فامتنعت وروت حديثاً عن علي عليه السلام أن أزواج النبي والوصي لا يتزوجن بعده فلم يتزوجن الحرائر وأمهات الأولاد عملاً بالرواية^(١).

وكانت أم البنين من النساء الفاضلات العارفات بحق أهل البيت مخلصه في ولائهم ممحضة في مودتهم ولها عندهم الجاه الوجيه والمحل الرفيع وقد زارتها زينب الكبرى بعد وصولها المدينة تعزيها بأولادها الأربعة كما كانت تزورها أيام العيد^(٢).

وبلغ من عظمتها ومعرفتها وتبصرها بمقام أهل البيت أنها لما أدخلت على أمير المؤمنين وكان الحسنان مريضين أخذت تلتف القول لهما وتلقى إليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب وما برحت على ذلك تحسن السيرة معهما وتخضع لهما كالأم الحنون.

ولا بدع في ذلك فإنها ضجيعة شخص الإيمان قد استضاءت بأنواره وربت في روضة أزهاره واستفادت من معارفه وتأدبت بآدابه وتخلقت بأخلاقه.

= أشوب: ج ٢، ص ٧٦، ومطالب السؤل: ص ٦٣.

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٧٦.

(٢) عن مجموعة الشهيد الأول.

الولادة

لقد أشرق الكون بمولد قمر بني هاشم يوم بزوغ نوره من أفق
المجد العلوي مرتضعاً ثدي البسالة متربياً في حجر الخلافة وقد
ضربت فيه الإمامة بعرق نابض فترعرع ومزيج روحه الشهامة
والإباء والنزوع عن الدنيا وما شوهد مشتداً بشيبيته الغضة إلا
وملء إهابه إيمان ثابت وحشو ردهائه حلم راجح ولب ناضج وعلم
ناجع فلم يزل يقتصر أثر السبط الشهيد عليه السلام الذي خلق لأجله
وكون لأن يكون رداءً له في صفات الفضل ومخائل الرفعة
وملامح الشجاعة والسؤدد والخطر فإن خطا سلام الله عليه فإلى
الشرف وإن قال فعن الهدى والرشاد وإن رمق فإلى الحق وإن
مال فعن الباطل وإن ترفع فعن الضيم وإن تهالك فدون الدين .

فكان أبو الفضل جامع الفضل والمثل الأعلى للعبقرية لأنه
كان يستفيد بلج هاتيك المآثر من شمس فلك الإمامة (حسين
العلم والبأس والصلاح) فكان هو وأخوه الشهيد عليه السلام من مصاديق
قوله تعالى في التأويل ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ ﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا﴾ فلم

١١٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

يسبقه بقول استفاده منه ولا بعمل اتبعه فيه ولا بنفسية هي ظل نفسيته ولا بمنقبة هي شعاع نوره الأقدس المنطبع في مرآة غرائزه الصقيلة وقد تابع إمامه في كل أطواره حتى في بروز هكيله القدسي إلى عالم الوجود فكان مولد الإمام السبط في ثالث شعبان وظهور أبي الفضل العباس إلى عالم الشهود في الرابع منه ^(١) سنة ست وعشرين من الهجرة ^(٢).

ومما لا شك فيه أن أمير المؤمنين عليه السلام لما أحضر أمامه ولده المحبوب ليقم عليه مراسيم السنة النبوية التي تقام عند الولادة ونظر إلى هذا الولد الجديد الذي كان يتحرى البناء على أمه أن

(١) أنيس الشيعة للعلامة السيد محمد عبدالحسين بن السيد محمد عبد الهادي المدارسي الهندي قال شيخنا الحجة في الذريعة إلى مصنفات الشيعة: ج ٢، ص ٤٥٧: رأيت الكتاب في النجف عند العالم السيد أقا التستري من أحفاد السيد نعمة الله الجزائري والكتاب في وقائع الأيام من موجبات السرور والأحزان من مواليد الأئمة ووفياتهم ومعجزهم رتبه على الأشهر بدأ فيه بربيع الأول وختم في شهر صفر وله مقدمة في نسب النبي وسنة جلوس الوصي وخاتمة في أحوال الحجة المنتظر عجل الله فرجه وذكر العلامة ميرزا محمد علي الأوردبادي أنه قرأ بخط المؤلف على ظهر الكتاب أنه أهداه إلى السلطان فتح علي شاه يوم الجمعة أول شعبان سنة ١٢٤٤ هـج وللمؤلف كتب منها (زاد المؤمنين وتذكرة الطريق وعناية الرضا).

(٢) المجدي والأنوار النعمانية: ص ١٢٤، وحكاه في كتاب قمر بني هاشم، ص ٢٢، عن وقائع الأيام للشيخ محمد باقر البيرجندي.

تكون من أشجع بيوتات العرب ليكون ولدها رداءً لأخيه السبط الشهيد يوم تحيط به عصب الضلال شاهد بوسع علم الإمامة ما يجري عليه من الفادح الجلل فكان بطبع الحال يطبق على كل عضو يشاهده مصيبة سوف تجري عليه . يقلب كفيه اللتين ستقطعان في نصرة حجة وقته فتهمل عيناه ويبصر صدره عيبة العلم واليقين فيشاهده منبأً لسهام الأعداء فتتصاعد زفرته وينظر إلى رأسه المطهر فلا يعزب عنه أنه سوف يقرع بعمد الحديد فتثور عاطفته وترتفع عقيرته كما لا يبارح فاكترته حينما يراه يسقي أخاه الماء ما يكون غداً من تفانيه في سقاية كريمات النبوة ويحمل إليهن الماء على عطشه المرمض وينفض الماء من يده حيث يذكر عطش أخيه تهالكاً في المواساة ومبالغة في المفادات وإخلاصاً في الأخوة فيتنفس الصعداء ويكثر من قول (ما لي وليزيد) وعلى هذا فقس كل كارثة سوف تلم به وتجري عليه .

فكان هذا الولد العزيز على أبويه وحامته كلما سر أباه اعتدال خلقته أو ملامح الخير فيه أو سمة البسالة عليه أو شارة السعادة منه ساء ما يشاهده هنالك من مصائب يتحملها أو فادح ينوء به من جرح دامٍ وعطش مجهد وبلاء مكرب .

وهذه قضايا طبيعية تشتد عليها الحالة في مثل هاتيك الموارد ممن يحمل أقل شيء من الرقة على أقل إنسان فكيف بأمر المؤمنين الذي هو أعطف الناس على البشر عامة من الأب الرؤوف وأرق عليهم من الأم الحنون .

١١٨العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

إذن فكيف به في مثل هذا الإنسان الكامل (أبي الفضل) الذي لا يقف أحد على مدى فضله كما ينحسر البيان عن تحديد مظلوميته واضطهاده.

وذكر صاحب (كتاب قمر بني هاشم) ص ٢١، أن أمّ البنين رأت أمير المؤمنين في بعض الأيام أجلس أبا الفضل عليه السلام على فخذه وشمر عن ساعديه وقبلهما وبكى فأدهشها الحال لأنها لم تكن تعهد صبياً بتلك الشمائل العلوية ينظر إليه أبوه ويبكي من دون سبب ظاهر ولما أوقفها أمير المؤمنين على غامض القضاء وما يجري على يديه من القطع في نصرة الحسين عليه السلام بكت وأعولت وشاركها من في الدار في الزفرة والحسرة غير أن سيد الأوصياء بشرها بمكانة ولدها العزيز عند الله جل شأنه وما حباه عن يديه بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل ذلك لجعفر بن أبي طالب فقامت تحمل بشرى الأبد والسعادة الخالدة.

صفاته

لقد كان من عطف المولى سبحانه وتعالى على وليّه المقدس سلالة الخلافة الكبرى سيد الأوصياء أن جمع فيه صفات الجلالة من بأس وشجاعة وإباء ونجدة وخلال الجمال من سؤدد وكرم ودمائة في الخلق وعطف على الضعيف كل ذلك مع البهجة في المنظر ووضاءة في المُحيّا من ثغر باسم ووجه طلق تتموج عليه أمواه الحسن ويطفح عليه رواء الجمال وعلى أسرة جبهته أنوار الإيمان كما كانت تعبق من أعراقه فوائح المجد متأرجة من طيب العنصر ولما تطابق فيه الجمالان الصوري والمعنوي (قيل له قمر بني هاشم)^(١) حيث كان يشؤو بجماله كل جميل ويبدّ بطلاوة منظره كل أحد حتى كأنه الفذ في عالم البهاء والوحيد في دنياه كالقمر الفائق بنوره أشعة النجوم وهذا هو حديث الرواة:

«كان العباس وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهم ورجلاه

(١) كان يقال لعبد مناف قمر البطحاء ولعبد الله والدة النبي ﷺ قمر الحرم.

١٢٠ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

يخطنان في الأرض ويقال له قمر بني هاشم»^(١).

وقد وصفته الرواية المحكية في مقاتل الطالبين بأن (بين عينيه أثر السجود) ونصها:

قال المدائني حدثني أبو غسان هرون بن سعد عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة قال رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود الوجه وكنت أعرفه جميلاً شديد البياض فقلت له ما كدت أعرفك قال إني قتلت شاباً أمرد مع الحسين بين عينيه أثر السجود فما نمت ليلة إلا أتاني فيأخذ بتلابيبي حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها فأصبح فما يبقى أحد في الحي إلا سمع صياحي قال والمقتول هو العباس بن علي عليه السلام.

وروى سبط ابن الجوزي عن هشام بن محمد عن القاسم بن الأصبغ المجاشعي^(٢) قال لما أتني بالرووس إلى الكوفة إذا بفارس أحسن الناس وجهاً قد علق في لبب فرسه رأس غلام أمرد كأنه القمر ليلة تمّه والفرس يمرح فإذا طأطأ رأسه لحق الرأس بالأرض فقلت رأس من هذا قال رأس العباس بن علي قلت ومن

(١) مقاتل الطالبين: ص ٣٣ إيران.

(٢) الأصبغ هنا هو ابن نباتة لأن بني مجاشع بطن من حنظلة من تميم كما في نهاية الأرب للقلقشندي ص ٣٣٤، والأصبغ بن نباتة حنظلي تميمي كما نص عليه ابن حجر في تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٣٦٢.

أنت قال أنا حرملة بن الكاهل الأسدي^(١) فلبثت أياماً وإذا بحرملة ووجهه أشد سواداً من القار قلت رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب أنضر وجهاً منك ولا أرى اليوم أقبح ولا أسود وجهاً منك فبكى وقال والله منذ حملت الرأس وإلى اليوم ما تمر علي ليلة إلا واثنان يأخذان بضبعي ثم ينتهيان بي إلى نار تؤجج فيدفعاني فيها وأنا أنكص فتسفعني كما ترى ثم مات على أقبح حال^(٢).

ويمنع الإذعان بما في الروایتين من تعريف المقتول بأنه العباس بن علي عليه السلام عدم الالتئام مع كونه شاباً أمرد فإن للعباس يوم قتله أربعاً وثلاثين سنة والعادة قاضية بعدم كون مثله أمرد ولم ينص التاريخ على كونه كقيس بن سعد بن عبادة لا طاقة شعر في وجهه.

وفي دار السلام للعلامة النوري، ج ١، ص ١١٤، والكبريت الأحمر، ج ٣، ص ٥٢، ما يشهد للاستبعاد وإصلاحه كما في كتاب (قمر بني هاشم) ص ١٢٦، بأنه رأس العباس الأصغر بلا

(١) جاء في تاريخ الطبري حرملة بن الكاهن بالنون بعد الهاء وهنا كأما لي ابن الشيخ الطوسي ص ١٥٠، باللام بعدها وتقديم ما في الطبري تشهي بعد عدم النص على ضبطها فلعله غلط من النساخ.

(٢) تذكرة الخواص: ص ٣٥٣، فصل في عقوبة قاتليه.

١٢٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

قرينة مع الشك في حضوره الطف وشهادته وهذا كإصلاحه بتقدير المقتول: (أخ العباس) المنطبق على عثمان الذي له يوم قتله إحدى وعشرون سنة أو محمد بن العباس المستشهد على رواية ابن شهر آشوب فإن كل ذلك من الاجتهاد البحث.

ولعل النظرة الصادقة في ما رواه الصدوق منضمماً إلى رواية ابن جرير الطبري تساعد على كون المقتول حبيب بن مظاهر.

قال الصدوق: «وبالإسناد عن عمرو بن سعيد عن القاسم بن الأصبع بن نباتة قال قدم علينا رجل من بني أبان بن دارم ممن شهد قتل الحسين وكان رجلاً جميلاً شديداً البياض فقلت له ما كنت أعرفك لتغير لونك قال قتلت رجلاً من أصحاب الحسين يبصر بين عينيه أثر السجود وجئت برأسه قال القاسم لقد رأيته على فرس له مرحاً وقد علق الرأس بلبانها وهو يصيبه بركبته قال فقلت لأبي لو أنه رفع الرأس قليلاً أما ترى ما تصنع به الفرس بيديها فقال يا بني ما يصنع به أشد لقد حدثني قال ما نمت ليلة إلا أتاني في منامي حتى يأخذ بكتفي ويقول انطلق فينطلق بي إلى جهنم فيقذف بي فأصبح قال فسمعت جارة له قالت ما يدعنا ننام شيئاً من الليل من صياحه قال فقمتم في شباب من الحي فأتينا امرأته فسألناها قالت قد أبدى على نفسه قد صدقكم^(١).

(١) عقاب الأعمال: ص ١١، ملحق بثواب الأعمال.

وقد اتفقت هذه الروايات الثلاث في الحكاية عن القاسم بن الأصبع بن نباتة بما فعل بالرأس الطاهر وتفيدنا رواية الصدوق أن المقتول رجل لا شاب وأنه من أصحاب الحسين ولا إشكال فيها وإذا أوقفنا ابن جرير على أن الرأس المعلق هو رأس حبيب ابن مظاهر في حين أن المؤرخين لم يذكروا هذه الفعلة بغيره من الرؤوس الطاهرة أمكننا أن ننسب الاشتباه إلى الروايتين السابقتين خصوصاً بعد ملاحظة ذلك الاستبعاد بالنسبة إلى العباس وتوقف التصحيح فيهما على الاجتهاد بلا قرينة واضحة .

قال ابن جرير في ج ٦ ، ص ٢٥٢ ، من التاريخ : طعن رجل من بني تميم حبيب بن مظاهر فوقع وذهب ليقوم وإذا الحصين بن تميم يضربه بسيفه على رأسه فصرعه ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه فتنازعا الحصين والتميمي في رأسه كل يقول أنا قتلته فأصلح الناس بينهما على أن يأخذ الحصين الرأس ويعلقه بعنق فرسه ويجول به في العسكر يعلم الناس أنه القاتل ثم يدفعه إلى الآخر فيدخل به على ابن زياد ففعل به الحصين ذلك ثم أخذه التميمي وعلقه بعنق فرسه ودخل الكوفة فبصر به القاسم بن حبيب ابن مظاهر وهو يومئذ مراهق فلم يفارق الفارس كلما دخل القصر أو خرج منه فارتاب منه وسأله عن حاله وبعد أن ألح عليه قال القاسم هذا رأس أبي أفتعطينيه حتى أدفنه فقال يا بني الأمير لا يرضى بدفنه وأنا أريد أن يثيبني الأمير ثواباً حسناً فقال الغلام :

١٢٤ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

لكن الله لا يثيبك عليه إلا أسوأ الثواب أما والله لقد قتلت خيراً منك، وبكى ثم مكث الغلام يطلب غرة الرجل ليقتله بأبيه فلما غزا مصعب (باجميرا) دخل القاسم عسكر مصعب فرأى الرجل في فسطاطه فدخل عليه وهو قائل نصف النهار فقتله^(١).

نعم في رواية الصدوق أن القاسم يسأل أباه عما يفعله الفرس بالرأس فيقول (قلت لأبي لو أنه رفع الرأس إلخ) وهو يدل على حياة الأصبغ ذلك اليوم وعليه فلم يعرف الوجه في تأخره عن حضور المشهد الكريم مع مقامه العالي في التشيع وإخلاصه في الموالاتة لأمر المؤمنين وولده المعصومين عليهم السلام ومشاهدته هذا الفعل من الطاغية يدل على عدم حبسه عند ابن زياد كباقي الشيعة الخُلص ولا مخرج عنه إلا بالوفاة قبل تلك الفاجعة العظمى كما هو الظاهر مما ذكره أصحابنا عند ترجمته من الثناء عليه والمبالغة في مدحه وعدم الغمز فيه فتلك الجملة (قلت لأبي) لا يعرف من أين جاءت ولا غرابة في زيادتها بعد طعن أهل السنة فيه كما في اللآلئ المصنوعة، ج ١، ص ٢١٣، فإنه بعد أن ذكر حديث الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري أنهم أمروا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي قال لا يصح الحديث لأن الأصبغ متروك لا يساوي فلساً وفيه ص ١٩٥، ذكر عن ابن عباس حديث:

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٦٣٧، ط. الأعلمي بيروت.

الركبان يوم القيامة رسول الله وصالح وحمزة وعلي قال: رجال الحديث بين مجهول وبين معروف بعدم الثقة.

ولقد طعنوا في أمثاله من خواص الشيعة بكل ما يتسنى لهم وما ذكر في تراجمهم يشهد لهذه الدعوى ولا يتحمل هذا المختصر التبسط في ذكرها ومراجعة ما كتبه السيد العلامة محمد ابن أبي عقيل في (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل) ص ٤٠ في الباب الثاني فيه كفاية فإنه ذكر جملة من أتباع أهل البيت طعنوا فيهم بلا سب إلا لموالاة أمير المؤمنين وولده عليه السلام.

١٢٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

كنيته

اشتهر أبو الفضل العباس عليه السلام بكنى وألقاب وصف ببعضها في يوم الطف والبعض الآخر كان ثابتاً له من قبل فمن كناه أبو قربة^(١) لحمله الماء في مشهد الطف غير مرة وقد سدت الشرائع ومنع الورود على ابن المصطفى وعياله وتناصرت على ذلك أجلاف الكوفة وأخذوا الاحتياط اللازم ولكن أبا الفضل لم يرعه جمعهم المتكاثف ولا أوقفه عن الإقدام تلك الرماح المشرعة ولا السيوف المجردة فجاء بالماء وسقى عيال أخيه وصحبه .

ولم ينص المؤرخون وأهل النسب على كنيته بأبي القاسم إذ لم يذكر أحد أن له ولداً اسمه القاسم نعم خاطبه جابر الأنصاري في زيارة الأربعين بها، قال: «السلام عليك يا أبا القاسم السلام

(١) ذكره ابن ادريس الحلبي في مزار السرائر وأبو الفرج في المقاتل والسيد الجزائري في الأنوار النعمانية وأبو الحسن الديار بكري في تاريخ الخميس: ج ٢، ص ٣١٧.

١٢٨العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

عليك يا عباس بن علي» وبما أن هذا الصحابي الكبير المتربي في بيت النبوة والإمامة خبير بالسبب الموجب لهذا الخطاب فهو أدري بما يقول.

وقد اشتهر بكنيته الثالثة (أبي الفضل) من جهة أن له ولداً اسمه الفضل^(١) وكان حريّاً بها فإن فضله لا يخفى ونوره لا يطفى ومن فضائله الجسماء نعرف أنه ممن حبس الفضل عليه ووقف لديه فهو رضيع لبانه وركن من أركانه وإليه يشير شارح ميمية أبي فراس:

بذلت أيا عباس نفساً نفيسة لنصر حسين عز بالنصر من مثل
أبيت التذاذ الماء قبل التذاذه فحسن فعال المرء فرع عن الأصل
فأنت أخو السبطين في يوم مفخر وفي يوم بذل الماء أنت أبو الفضل

(١) سر السلسلة وعمدة الطالب ومقاتل أبي الفرج.

اللقب

اشتهر بين العامة والخاصة بأنه سلام الله عليه باب الحوائج لكثرة ما صدر منه من الكرامات وقضاء الحاجات ومن هنا قيل فيه^(١):

للشوس عباس يريهم وجهه والوفد ينظر باسماً محتاجها
باب الحوائج ما دعته مروعة في حاجة إلا ويقضي حاجها
بأبي أبو الفضل الذي من فضله السامي تعلمت الوري منهاجها
وقيل له (قمر بني هاشم)^(٢) لوضاءته وجمال هيئته وأن
أسارير وجهه تبرق كالبدر المنير فكان لا يحتاج في الليلة الظلماء
إلى ضياء.

وأما «الشهيد» فلم ينص عليه أحد إلا أنه الظاهر من عبارات أهل النسب ففي المجدي لأبي الحسن العمري قال بعد ذكر

(١) من قصيدة لسيد الذاكرين السيد صالح الحلبي رحمته الله.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ومقاتل الطالبين وجنات الخلود.

١٣٠العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

أولاده هذا آخر نسب بني العباس الشهيد السقاء ابن علي بن أبي طالب.

وفي سر السلسلة لأبي نصر البخاري: والشهيد أبو الفضل العباس بن علي أمه أم البنين. ثم روى عن معاوية بن عمار اليزيدي قال قلت للصادق كيف قسمت نحلة فدك بعدما رجعت إليكم قال أعطينا ولد العباس الشهيد الربع والباقي لنا.

وكان الحري بأرباب المقاتل والنسب أن يدونوا له هذا اللقب المعرب عن أسمى منزلة له وهو «العبد الصالح» كما خاطبه الإمام الصادق في الزيارة المخصوصة به التي رواها أبو حمزة الثمالي حيث يقول:

«السلام عليك أيها العبد الصالح» فإنك جد عليم بأن هذه الصفة أرقى مراتب الإنسان الكامل لأنها حلقة الوصل بين المولى والعبد وأفضل حالات أي فاضل حيث يجد نفسه الطرف الرابط لموجد كيانه جل وعلا وأن من أكمل مراتب الوجود فيما إذا التأم المنتهى مع المبدأ بنحو الصلة وهذا لا يكون إلا إذا بلغ العبد أرقى مراتب الإنسانية التي تلحقه بعالم البساطة وتنتهي به إلى صقع التجرد فتؤهله لأن يتصل بالمبدأ الأعلى فلو فقد الإنسان تلك الملائمة دحره عن حظيرة القداسة انقطاع النسبة وبعده المرمى وشسوع المسافة.

ولا نعني بهذه المرتبة أن يكون العبد مواظباً على العبادات البسيطة المسقطة للخطاب والرافعة للتعزير فحسب وإنما نقصد منه ما إذا عبد الله سبحانه حق عبادته الناشئة عن فقه وبصيرة ومعرفة بالمعبود الذي يجب أن يعبد من دون لحاظ مثوبة أو عقوبة حتى يكون المولى هو الذي يسميه عبداً له ويصافقه على تصديق دعواه بالعبودية له .

وما أسعد العبد حيث يبصر ما بيده من سلك الطاعة ويعرف أن مولاه قابض على طرفه الآخر يزلفه إليه يجاذبه الصلة وأشعة القرب .

وعلى ما قلناه كانت هذه المرتبة عند الأنبياء ﷺ أرقى مراتبهم وأرفع منصاتهم لأن طرف عبوديتهم أرفع وأشرف من طرف رسالتهم فالطرف الأعلى في العبودية «مبدأ الحق سبحانه وتعالى» والطرف الأسفل منه إلى شخص النبي ﷺ وأما النبوة فمبدؤها الرسول ومنتهاها الأمة .

ولولا أن هذه الصفة أسمى الصفات التي يتصف بها العبد لما خص الله تعالى أنبياءه بها فقال سبحانه :

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ ۗ﴾ .

وقال تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۗ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ۗ﴾ .

١٣٢ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وقال عز شأنه: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّنْقِ
الْجَمْعَانِ﴾.

وقال جل وعلا: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

وقال تعالت أسماؤه ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

وقال عز سبحانه: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِ
وَالْأَبْصَرِ﴾.

وقال عظم ذكره ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ
بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾.

وقد كان في وسع المولى تعالت أسماؤه أن يقول في خطاب
نبيه الكريم: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على رسولنا ونحوه مما
يدل على النبوة والرسالة ولكن حيث كان حبيب الله وصفيته
متجرداً عما يحجبه عن مشاهدة المهيمن سبحانه فانياً في سبيل
خدمة المولى لا يرى في الوجود غير منشئ الأكوان استحق أن
يهبه البارئ تعالى أرقى صفة تليق بهذا المقام.

ومن هنا ترى الرسول المسيح قدم عبوديته على رسالته فقال:

﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

وأنت لا تفتأ في جميع الفرائض والنوافل في اليوم والليل
تشهد بأن محمداً عبده ورسوله ولم تقل خاتم الأنبياء أو علة

اللقب ١٣٣

الكائنات أو سر الموجودات أو حبيب الله وصفية مع أنها صفات لا تليق إلا بذات اشتقت من نور القدس ولكنك عرفت أن أسمى هذه الصفات وأجل ما يليق بالعبد حال اتصاله بالمبدأ الأعلى هو وصفه بالعبودية لمولاه.

ومن هنا ظهر لنا أن من أجلى الحقائق وأرقى مراتب الفضل الذي لا يحلق إليه طائر الفكر ولا يدرك مداه أي تصور غير أن من الواجب التصديق به على الجملة هو وصف سيدنا (العباس عليه السلام) بهذه الصفة الكاملة (العبد الصالح) التي أضافها الله تعالى إلى أنبيائه ومبلىغي شريعته وأمنائه على وحيه ومنحه بها الإمام الصادق عليه السلام.

١٣٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

السقاء^٣

الماء حياة العالم وليست حاجة أي جزء من أجزائه أمس من الآخر فلا جزء ولا جُزِيء في الكون إلا وهو خاضع له في وجوده في نشوئه وبقائه وقد أعرب عنه سبحانه بقوله ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ وإليه استند ابن عباس في حل لغز ملك الروم فإنه وجه إلى معاوية قارورة يطلب منه أن يضع فيها من كل شيء فتحير معاوية واستعان بابن عباس في كشف الرمز لعلمه بأنه يستقي من بحر أمير المؤمنين المتموج بالحكم والأسرار فقال ابن عباس لتملاً له ماءً فإن الله يقول ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ فأدهش ملك الروم وتعجب وقال لله أبوه ما أدهاه^(١).

فلا يخالج اليقين بأهميته الكبرى في دور الحياة أي شك.

وإن من يكون معروفه الذي تندى به أنامله وتسوقه إليه جبلته هذه المادة الحيوية لعلى جانب ممنع من الفضل وقد عرقت فيه وشائج الرقة وتحلى بغريزة العطف ونبض فيه عرق الحنان ولا

(١) كامل المبرد: ج ١، ص ٣٠٨، ط سنة ١٣٥٥ هـ، وتهذيبه: ج ١، ص ٢٩٩.

١٣٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

يكون إسداء مثله إلا عن لين ورأفة على الوجود وإن تفاوتت
المراتب بالنسبة إلى الموجودات الشريفة وما دونها ولا يعدو
الشرف والشهامة هذا المتفضل بسر الحياة فهو شريف يجب
الإبقاء على مثله أو عطوف لا يجد على الإغاثة منة ولا على
قدرته في الإعانة لسائر الموجودات جهداً ولا عطفاً.

وإذا كانت الشريعة المطهرة حثت على السقاية ذلك الحث
المتأكد فإنما تلت على الناس أسطراً نورية مما جبلوا عليه
وعرّفت الأمة بأن الدين يطابق تلك النفسيات البشرية والغرائز
الطبيعية وأرشدتهم إلى ما يكون من الثواب المترتب على سقي
الماء في الدار الآخرة ليكونوا على يقين من أن عملهم هذا موافق
لرضوان الله وزلفى للمولى سبحانه يستتبع الأجر الجزيل وليس
هو طبيعي محض وهذا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته
المعصومين عليهم السلام من فضل بذل الماء في محل الحاجة إليه وعدمها
سواء كان المحتاج إليه حيواناً أو بشراً مؤمناً كان أو كافراً.

ففي حديث النبي صلى الله عليه وآله وعلى آله أفضل الأعمال عند
الله إبراد الكبد الحرّى من بهيمة وغيرها^(١) ولو كان على الماء
فإنه يوجب تناثر الذنوب كما تنتثر الورق من الشجر^(٢) وأعطاه الله

(١) دار السلام، ج ٣، ص ١٦٢.

(٢) الجامع الصغير للسيوطي: ج ١، ص ٣٣.

بكل قطرة يبذلها قنطاراً في الجنة وسقاه من الرحيق المختوم وإن كان في فلاة من الأرض ورد حياض القدس مع النبيين^(١).

وسأله رجل عن عمل يقربه من الجنة فقال اشتر سقاءً جديداً ثم اسقِ فيه حتى تخرقه، فإنك لا تخرقه حتى تبلغ به عمل الجنة^(٢).

وقال الصادق عليه السلام من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن أعتق رقبة ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحيى نفساً ومن أحيها فكأنما أحيى الناس أجمعين^(٣).

وقد دلت هذه الآثار على فائدة السقي بما هو حياة العالم ونظام الوجود ومن هنا (كان الناس فيه شرعاً سواءً كالكلأ والنار) فلا يختص اللطف منه جل وعلا بطائفة دون طائفة وقد كشف الإمام الصادق عليه السلام السر في جواب من قال له ما طعم الماء؟ فقال عليه السلام طعم الحياة^(٤).

فالسقاية أشرف شيء في الشريعة المطهرة وتلك أهميتها عند الحقيقة ومكانتها من النفوس ولهذه الأهمية ضرب المثل «بكعب ابن أمامة الأيادي»^(٥).

(١) المستدرک للنوري: ج ٣، ص ١٣٠،

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٣١٠، مجلس ١١.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ٨٥، فصل ٧ باب أول.

(٤) تهذيب الكمال: ج ١، ص ٢٩٩.

(٥) مجمع الأمثال للميداني: ج ١، ص ١٦٧.

١٣٨ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وأضحت السقاية العامة لا ينوء بعبئها إلا من حل وسطاً من
السؤدد والشرف وأعالي الأمم لا سقايتها ولذا أذعنت قريش
لقصي بسقاية الحاج فكان يطرح الزبيب في الماء ويسقيهم الماء
المحلى كما كان يسقيهم اللبن^(١).

وكان ينقل الماء إلى مكة من آبار خارجها ثم حفر بئراً اسمها
العجول في الموضع الذي كانت دار أم هاني فيه وهي أول سقاية
حفرت بمكة وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا:

نروي على العجول ثم ننطلق إن قصياً قد وفى وقد صدق
ثم حفر قصي بئراً سماها سجلة وقال فيها^(٢).

أنا قصي وحفرت سجلة تروي الحجيج زغلة فزغلة
وكان هاشم أيام الموسم يجعل حياضاً من آدم في موضع
زمزم لسقاية الحاج ويحمل الماء إلى منى لسقايتهم وهو يومئذ
قليل^(٣).

ثم إنه حفر بئراً سماها البذر^(٤) وقال إنها بلاغ للناس فلا

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٥.

(٢) الروض الأنف: ج ١، ص ١٠١.

(٣) شرح النهج الحديدي: ج ٣، ص ٤٥٧.

(٤) في الروض الأنف: ج ١، ص ١٠١، بذر كبقم سميت بذلك لخروج مائها
من غير مكان واحد.

يمنع منها أحداً^(١).

وأما عبد المطلب فقد قام بما كان آباؤه يفعلونه من سقاية الحاج وزاد على ذلك أنه لما حفر زمزم وكثر ماؤها أباحها للناس فتركوا الآبار التي كانت خارج مكة لمكانها من المسجد الحرام وفضلها على من سواها لأنها بئر اسماعيل^(٢) وبني عليها حوضاً فكان هو وابنه الحرث ينزعان الماء ويملآن الحوض فحسدته قريش على ذلك وعمدوا إلى الحوض بالليل فكسروه فكان عبد المطلب يصلحه بالنهار وهم يكسرونه بالليل فلما أكثروا عليه إفساده دعا عبد المطلب ربه سبحانه وتعالى فرأى في المنام قائلاً يقول «قل لقريش إني لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل» فنادى في المسجد بما رأى فلم يفسد أحد من قريش حوضه إلا رمي بداء بجسده حتى تركوا حوضه وسقايته^(٣) وفي ذلك يقول خويلد بن أسد^(٤):

أقول وما قولي عليهم بسبة إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم
حفيرة ابراهيم يوم ابن هاجر وركضة جبريل على عهد آدم

(١) المصدر.

(٢) سيرة ابن دحلان بهامش السيرة الحلبية، ج ١، ص ٢٦.

(٣) شرح النهج الحديدي: ج ٣، ص ٤٦٠، وابن دحلان: ج ١، ص ٢٦.

(٤) شرح النهج الحديدي: ج ٣، ص ٤٦٠.

١٤٠ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ولما وافق قريشاً على المحاكمة عند كاهنة بني سعد بن هذيم وكان بمشارف الشام وسار عبد المطلب بمن معه من قومه حتى إذا كانوا بمفازة لا ماء فيها ونفذ ماؤهم استسقوا ممن كان معهم من قريش فأبوا أن يسقوهم حفظاً على الماء فأمر عبد المطلب أصحابه أن يحفروا قبوراً لهم ويدفن من يموت منهم عطشاً في حفرتة ويبقى واحد فضيعة واحد أيسر من ضيعة جماعة وبعد أن فرغوا من الحفر قال عبد المطلب إن هذا منا لعجز لنضربن في الأرض عسى الله أن يرزقنا ماءً فركب راحلته فلما انبعث نبع من تحت خفها ماء عذب فكبر عبد المطلب وشرب أصحابه وملاؤا أسقيتهم ودعا قريشاً أن يستقوا من الماء فأكثروا منه ثم قالوا إن الله قد قضى لك علينا ولا نخاصمك في زمزم إن الذي سقاك في هذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم فارجع راشداً.

وزاد عبد المطلب في سقاية الحاج بالماء أن طرح الزبيب فيه وكان يحلب الإبل فيضع اللبن مع العسل في حوض من آدم عند زمزم لسقاية الحاج^(١).

ثم قام أبو طالب مقامه بسقي الحاج^(٢) وكان يجعل عند رأس كل جادة حوضاً فيه الماء ليستقي منه الحاج وأكثر من حمل الماء أيام الموسم ووفره في المشاعر فليل له ساقى الحجيج.

(١) السيرة الدحلانية: ج ١، ص ٢٦.

(٢) المصدر: ص ١٧.

أما أمير المؤمنين فقد حوى أكثر مما حواه والده الكريم من هذه المكرمة وكم له من موارد للسقاية لا يستطيع أحد على مثلها وذلك يوم بدر وقد أجهد المسلمين العطش وأحجموا عن امثال أمر الرسول الأعظم ﷺ في طلب الماء فرقاً من قريش لكن نهضت بأبي الريحانتين غيرته السماء وثار به كرمه المتدفق فلبى دعاء الرسول وانحدر نحو القليب وجاء بالماء حتى أروى المسلمين^(١).

ولا ينسى يوم صفين وقد شاهد من عدوه ما تندى منه جبهة كل غيور فإن معاوية لما نزل بجيشه على الفرات منع أهل العراق من الماء حتى كظهم الظماً فأنفذ إليه أمير المؤمنين صعصعة بن صوحان وشبث بن ربعي يسألانه أن لا يمنع الماء الذي أباحه الله تعالى لجميع المخلوقات وكلهم فيه شرع سواء فأبى معاوية إلا التردد في الغواية والجهل فعندها قال أمير المؤمنين ارووا السيوف من الدماء ترووا من الماء^(٢) ثم أمر أصحابه أن يحملوا على أهل الشام حملة واحدة فحمل الأشر والأشعث في سبعة عشر الفاً والأشتر يقول:

ميعادنا اليوم بياض الصبح هل يصلح الزاد بغير ملح؟

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج ١، ص ٤٠٦.

(٢) نهج البلاغة: ج ١، ص ١٠٩.

١٤٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

والأشعث يقول:

لأُورِدن خيلي الفراتا شعث النواصي أو يقال ماتا
فلما أجلاهم أهل العراق عن الفرات ونزلوا عليه وملكوه أبي
صاحب النفسية المقدسة التي لا تعدوها أي مآثرة أن يسير على
نهج عدوه حتى أباح الماء لأعدائه ونادى بذلك في أصحابه^(١)
ولم يدعه كرم النفس أن يرتكب ما هو من سياسة الحرب من
التضييق على العدو بأي صورة.

هذه جملة من موارد السقاية الصادرة من شرفاء سادة متبوعين
على منصات المجد والخطر متكئين على أرائك العز والمنعة وما
كانت تدعهم دماثة أخلاقهم وطهارة أعراقهم أن يكونوا خلوا من
هذه المكرمة وقد افتخر بذلك عبد مناف على غيرهم.

وأنت إذا استشففت الخصوصيات المكتنفة بكل منها فإن الصراحة
لا تدعك إلا أن تقول بتفاوت المراتب فيها من ناحية الفضيلة.

كما لا تجد منتدحاً عن تفضيل الحسين على غيره يوم سقى
الحر وأصحابه في «شراف» وهو عالم بحراجة الموقف ونفاد
الماء بسقي كتيبة فيها ألف رجل مع خيولهم ووخامة المستقبل

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج ١، ص ٦١٩، وذكر الخوارزمي في المناقب:
ص ١٣٢ مشاورة معاوية أصحابه في أمر الماء وما أشار به ابن أبي معيط
من منع أهل العراق من الورود ورأي ابن العاص بخلافه.

وأن الماء غداً دونه تسيل النفوس وتشق المرائر لكن العنصر النبوي والآصرة العلوية لم يتركا صاحبهما إلا أن يحوز الفضل .

وإني أحسب أن ما ناء به أبو الفضل عليه السلام في أمر السقاية لا يوازيه شيء من ذلك يوم ناطح جبلاً من الحديد ببأسه الشديد حتى اخترق الصفوف وزعزع هاتيك الألوف وليس له همّ في ذلك المأزق الحرج إلا إغاثة شخصية الرسالة المنتشرة في تلك الأمثال القدسية من الذرية الطيبة ولم تقنعه هذه الفضيلة حتى أبت نفسيته الكريمة أن يلتذ بشيء من الماء قبل أن يلتذ به أخوه الإمام وصبيته الأذكىاء .

هنالك حداه إيمانه المشفوع باليقين وحنانه المرتبط بالكرم إلى أن ينكفى إلى المخيم ولا يحمل إلا مزادة من ماء يدافع عنها بصارمه الذكر ويزينه المثقف ولواء الحمد يرف على رأسه غير أن ما يحمله هو أنفوس عنده من نفسه الكريمة بلحاظ ما يريده من المحافظة على تلك المزادة الملأى .

وراقه أن تكون هي الذخيرة الثمينة مشفوعة بما هو أعظم عند الله تعالى فسمح بيمينه وشماله «وكلتاها يمن» أن تقطعا بعين الله في كلاءة ما يتهالك دونه لينال الأمنية قبل المنية وما خارت عزيمة العباس عليه السلام إلا حين أحب أن لو كانت المراقبة نفسه لا القرية فيا أبعد الله سهماً أسال ماءها ولم يكن «سعد العشيرة» طالباً للحياة بعده لو لم يأت العمود الطائش ألا لعنة الله على الظالمين .

ومن أجل مجيئه بالماء إلى عيال أخيه وصحبه في الأيام العشرة

١٤٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

سمي «السقاء» نص عليه أبو الحسن في المجدي والداودي في عمدة الطالب وابن إدريس في مزار السرائر وأبو الحسن الديار البكري في تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣١٧. والنويري في نهاية الأرب، ج ٢، ص ٣٤١، والشبلنجي في نور الأبصار، ص ٩٣، والعلامة الحجة محمد باقر القايني في الكبريت الأحمر، ج ٢، ص ٣٤.

ولصاحب هذا اللقب فيوضات على الأمة لا تحد وبركات لا تحصر.

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله ومن ذلك ما ذكره العلامة السند السيد محمد بن آية الله السيد مهدي القزويني قدس الله سره في كتاب «طروس الإنشاء» قال في سنة ١٣٠٦ هـ انقطع نهر الحسينية وعاد أهل كربلا يقاسون شحة الماء وكظة الظماً فأمرت الحكومة العثمانية بحفر نهر في أراضي السيد النقيب السيد سلمان فمنع النقيب ذلك واتفق أن زرت كربلا فطلب أهلها أن أكتب إلى النقيب فكتبت إليه ما يشجيه وعلى حالهم يبكيه:

في كربلا لك عصة تشكو الظما من فيض كفك تستمد رواءها وأراك يا ساقى عطاشى كربلا وأبوك ساقى الحوض تمنع ماءها فأجاز النقيب حفر النهر وانتفع أهل كربلا ببركة هذا اللقب الشريف (السقاء).

نشأته

مما لا شك فيه أن لنفسيات الآباء ونزعاتهم وكمياتهم من العلم والخطر أو الانحطاط والضعفة دخلاً تاماً في نشأة الأولاد وتربيتهم إن لم نقل إن مقتضاهما هو العامل الوحيد في تكييف نفسيات الناشئة بكيفيات فاضلة أو رذيلة فلا يكاد يرتئي صاحب أي خطة إلا أن يكون خلفه على خطته ولا أن الخلف يتحرى غير ما وجد عليه سلفه ولذلك تجد في الغالب مشاكلة بين الجيل الأول والثاني في العادات والأهواء والمعارف والعلوم اللهم إلا أن يسود هناك تطور يكبح ذلك الاقتضاء.

وعلى هذا الناموس يسعنا أن نعرف مقدار ما عليه أبو الفضل عليه السلام من العلم والمعرفة وحسن التربية بنشوءه في البيت العلوي منبثق أنوار العلم ومحط أسرار اللاهوت ومختبأ نواميس الغيب فهو بيت العلم والعمل بيت الجهاد والورع بيت المعرفة والإيمان

بيت علا سمك الضراح رفعة فكان أعلا شرفاً وأمنعاً

١٤٦العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

أعزه الله فما تهبط في كعبته الأملاك إلا خضعاً
بيت من القدس وناهيك به محط أسرار الهدى وموضعا
وكان مأوى المرتجي والملتجي فما أعز شأنه وأرفعا^(١)

وبسيف صاحب هذا البيت المنيع انجلت غواشي الإلحاد
وببيانه تقشعت غيوم الشبه والأوهام.

إذن فطبع الحال يدلنا على أن سيد الأوصياء لم يبع بابنه بدلاً
في حسن التربية الإلهية ولا أن شظية الخلافة يروقه غير اقتصاص
أثر أبيه الأقدس فلك ههنا أن تحدث عن بقية أمير المؤمنين في
أي ناحية من نواحي الفضيلة ولا حرج.

لم تكن كل البصائر في أبي الفضل عليه السلام اكتسابية بل كان
مجتبلاً من طينة القداسة التي مزيجها النور الإلهي حتى تكونت
في صلب من هو مثال الحق ذلك الذي لو كشف عنه الغطاء ما
ازداد يقيناً فلم يصل أبو الفضل عليه السلام إلى عالم الوجود إلا وهو
معدن الذكاء والفتنة وأذن واعية للمعارف الإلهية ومادة قابلة
لصور الفضائل كلها فاحتضنه حجر العلم: والعمل حجر اليقين
والإيمان وعادت أرومته الطيبة هيكلًا للتوحيد يغذيه أبوه بالمعرفة
فتشرق عليه أنوار الملكوت وأسرار اللاهوت وتهب عليه نسيمات
الغيب فيستنشق منها الحقائق.

(١) من قصيدة للعلامة السيد محمد حسين الكيشوان رحمته الله.

دعاه أبوه عليه السلام في عهد الصبا وأجلسه في حجره وقال له :

«قل واحد فقال واحد فقال له : قل اثنين فامتنع وقال إني أستحي أن أقول اثنين بلسان قلت به واحداً»^(١).

وإذا أمعنا النظر في هذه الكلمة وهو على عهد نعومة من أظفاره في حين أن نظراءه في السن لا يبلغون إلى ما هو دون ذلك الشأو البعيد فلا نجد بدءاً من البخوع بأنها من أشعة تلك الإشراقات الإلهية فما ظنك إذن حينما يلتقي مع المبادئ الفياضة من أبيه سيد الوصيين وأخويه الإمامين سيدي شباب أهل الجنة فلا يقتني من خزائن معارفهم إلا كل در ثمين ودريّ لامع .

وغير خفي ما أراده سيدنا العباس فإنه أشار إلى أن الوحدانية لا تليق إلا بفاطر السموات والأرضين ويجلّ مثله المتفرع من دوح الإمامة أن يجري على لسانه الناطق بالوحدانية لباري الأشياء صفة تنزه عنها سبحانه وتعالى وعنهما ينطق كتابه المجيد ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

ومما زاد في سرور أبيه أمير المؤمنين أن زينب العقيلة كانت حاضرة حينذاك وهي صغيرة فقالت لأبيها أتحبنا؟ قال بلى فقالت لا يجتمع حبان في قلب مؤمن حب الله وحب الأولاد وإن كان

(١) خاتمة المستدرك للعلامة النوري: ج ٣، ص ٨١٥، عن مجموعة الشهيد الأول ورواه الخوارزمي في الفصل السادس من مقتل الحسين مخطوط .

١٤٨ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ولا بد فالحب لله تعالى والشفقة للأولاد فأعجبه كلامها وزاد في حبه وعطفه عليهما^(١).

أما العلم فهو رضيع لبانه وناهيك في حجر أبيه مدرسة يتخرج منها مثل أبي الفضل عليه السلام وما ظنك بهذا التلميذ المصاغ من جوهر الاستعداد وذلك الأستاذ الذي هو عيبة العلم الإلهي وعلبة أسرار النبوة وهو المقيّض لنشر المعارف الربوبية وتعليم الأخلاق الفاضلة ونشر أحكام الإسلام ودحض الأوهام والوساوس.

وإذا كان الإمام عليه السلام يربي البعداء الأجانب بتلك التربية الصحيحة الماثورة حتى استفادوا منه أسرار التكوين ووقفوا على غامض ما في النشأتين وكان عندهم بواسطة تلك التربية علم المنايا والبلايا كحبيب بن مظاهر وميثم التمار ورشيد الهجري وكميل بن زياد وأمثالهم.

فهل من المعقول أن يذر قرّة عينه وقلدة كبده خلواً من أي علم؟ أو أن قابلية المحل ترباً بأولئك الأفراد دون سيدنا العباس عليه السلام؟ — لاها الله — ما كان سيد الأوصياء يضمن بشيء من علومه لا سيما على قطعة فؤاده ولا أن غيره ممن انضوى إلى أبيه علم الهداية يشق له غباراً في القابلية والاستعداد.

(١) مقتل الخوارزمي في الفصل السادس مخطوط.

فهناك التقى مبدأ فياض ومحل قابل للإفاضة وقد ارتفعت
عامة الموانع فذلك برهان على أن (عباس اليقين) من أوعية العلم
ومن الراسخين فيه .

ثم هلم معي إلى جامعتين للعلوم الإلهية ملازمتين للجامعة
الأولى في نشر المعارف وتقيضهما لإفاضة التعاليم الحقة لكل
تلميذ والرقي به إلى أوج العظمة في العلم والعمل ألا وهما
«كليتا» السبطين الحسن والحسين عليهما السلام وانظر إلى ملازمته لأخويه
بعد أبيه سيد الأوصياء ملازمة الظل لذيده فهناك يتجلى لك أن
سماء علمهما لم تهطل وبلاً إلا وعاد لؤلؤاً رطباً في نفسه ولا
أنفقا شيئاً من ذلك الكنز الخالد إلا واتخذة ثروة علمية لا تنفذ .

أضف إلى ذلك ما كان يرويه عن عقيلة بيت الوحي زينب
الكبرى وهي العالمة غير المعلّمة بنص الإمام زين العابدين ^(١) .

وبعد هذا كله فقد حوى أبو الفضل من صفاء النفس والجبلية
الطيبة والعنصر الزاكي والإخلاص في العمل والدؤوب على
العبادة ما يفتح له أبواباً من العلم ويوقفه على كنوز المعرفة فيتفرع
من كل أصل فرع وتنحل عنده المشكلات .

وإذا كان الحديث ينص على أن من أخلص لله أربعين صباحاً

(١) الكبرى الأحمر .

١٥٠ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه إذن فما ظنك بمن
أخلص لله سبحانه طيلة عمره وهو متخلّ عن كل رذيلة ومتحلّ
بكل فضيلة فهل يبقى إلا أن تكون ذاته المقدسة متجلية بأنوار
العلوم والفضائل وإلا أن يكون علمه تحقّقاً لا تعلقاً.

وبعد ذلك فما أوشك أن يكون علمه وجدانياً وإن برع في
البرهنة وتنسيق القياس ومن هنا جاء المأثور عن المعصومين عليهم السلام
«إن العباس بن علي زق العلم زقاً»^(١).

وهذا من أبداع التشبيه والاستعارة فإن الزق يستعمل في تغذية
الطائر فرخه حين لم يقو على الغذاء بنفسه وحيث استعمل
الإمام عليه السلام وهو العارف بأساليب الكلام هذه اللفظة هنا نعرف أن
أبا الفضل عليه السلام كان محل القابلية لتلقي العلوم والمعارف منذ كان
طفلاً ورضيعاً كما هو كذلك بلا ريب.

فلم يكن أبو الفضل بدعاً من أهل هذا البيت الطاهر الذي حوى
العلم المتدفق منذ الصغر كما شهد بذلك أعداؤهم ففي الحديث عن
الصادق عليه السلام أن رجلاً مر بعثمان بن عفان وهو قاعد على باب
المسجد فسأله فأمر له بخمسة دراهم فقال له الرجل أرشدني قال
عثمان دونك الفتية الذين تراهم وأوماً بيده إلى ناحية من المسجد
فيها الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر فمضى الرجل نحوهم

(١) أسرار الشهادة: ص ٣٢٤.

وسألهم فقال له الحسن يا هذا المسألة لا تحل إلا في ثلاث دم مفعج أو دين مقرح أو فقر مدقع أيتها تسأل فقال في واحدة من هذه الثلاث فأمر له الحسن بخمسين ديناراً والحسين بتسعة وأربعين ديناراً وعبدالله بن جعفر بثمانية وأربعين فانصرف الرجل ومر بعثمان فحكى له القصة وما أعطوه فقال له ومن لك بمثل هؤلاء الفتية أولئك فطموا العلم فطمأ وحازوا الخير والحكمة .

قال الصدوق بعد الخبر معنى فطموا العلم أي قطعوه عن غيرهم وجمعوه لأنفسهم^(١) وجاء في الأثر أن يزيد بن معاوية قال في حق السجاد إنه من أهل بيت زقوا العلم زقاً .

ومن أجل ذلك قال العلامة المحقق الفقيه المولى محمد باقر بن المولى محمد حسن بن المولى أسد الله بن الحاج عبدالله بن الحاج علي محمد القايني نزيل بيرجند في كتاب الكبريت الأحمر، ج ٣، ص ٤٥، إن العباس من أكابر وأفاضل فقهاء أهل البيت بل إنه عالم غير متعلم وليس في ذلك منافاة لتعليم أبيه عليه السلام إياه .

وكان هذا الشيخ الجليل ثباً في النقل منقباً في الحديث يشهد بذلك كبريته تلمذ رحمته الله في العراق على الفاضل الأيرواني وميرزا حبيب الله الرشتي والسيد الشيرازي وفي خراسان على السيد

(١) الخصال: ج ١، ص ٦٧، في باب لا تصلح المسألة إلا في ثلاث .

١٥٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

مرتضى القائني والعلامة محمد تقي البوخردي وكان له أربع وثلاثون مؤلفاً.

ومن مستطرف الأحاديث ما حدثني به الشيخ العلامة ميرزا محمد علي الأردبادي عن حجة الإسلام السيد ميرزا عبد الهادي آل سيد الأمة الميرزا الشيرازي قدس الله سره عن العالم البارع السيد ميرزا عبد الحميد البخردي أنه شاهد في كربلاء المشرفة رجلاً من الأفاضل قد اغتر بعلمه وبلغ من غلوائه في ذلك أنه كان في منتدى من أصحابه وجرى ذكر أبي الفضل وما حمله من المعارف الإلهية التي امتاز بها على سائر الشهداء فصارح الرجل بأفضليته على العباس واستغرب من حضر هذه الجرأة وأنكروا عليه ولاموه على هذه البادرة فطفق الرجل يبرهن على تهيبته بتعداد مآثره وعلومه وما ينوء به من تهجد وتنفل وزهادة وقال إن كان أبو الفضل العباس يفضل بأمثال هذه فعنده مثلها والشهادة يوم الطف لا تقابل ما يحمله من العلوم الدينية وأصولها ونواميسها.

فقام الجماعة من المجلس والرجل على ذلك الغرور والغلواء غير نادم ولا متهيب.

ولما أصبحوا لم يكن لهم همّ إلا معرفة خبر الرجل وأنه هل بقي على غيبه أو أن الهداية الإلهية شملته فقصدوا داره وطرقوا

الباب فقيل لهم إن الرجل في حرم العباس فتوجهوا إليه ليستبروا خبره فإذا الرجل قد ربط نفسه في الضريح الأقدس بحبل شد أحد طرفيه بعنقه والآخر بالضريح وهو تائب نادم مما فرط .

فسألوه عن شأنه وخبره فقال :

لما نمت البارحة وأنا على الحال الذي فارقتكم عليه رأيت نفسي في مجتمع من أهل الفضل وإذا رجل دخل النادي وهو يقول إن أبا الفضل قادم عليكم فأخذ ذكره من القلوب مأخذاً حتى دخل عليه السلام والنور الإلهي يسطع من أسارير جبهته والجمال العلوي يزهو في محياه فاستقر على كرسي في صدر الندي والحضور كلهم خاضعون لجلالته وخصتني من بينهم رهبة عظيمة وفرق مقلق لما أتذكره من تفريطي في جنب وليّ الله فطفق عليه السلام يحيي أهل النادي واحداً واحداً حتى وصلت النوبة إلي .

ثم قال لي ماذا تقول أنت فكاد أن يرتج علي القول ثم راجعت نفسي وقلت إن في المصارحة منتدحاً عن الارتباك وفوزاً بالحقيقة فأنهيت إليه ما ذكرته لكم بالأمس من البرهنة .

فقال عليه السلام أما أنا فقد درست عند أبي أمير المؤمنين وأخويّ الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وأنا على يقين من ديني بما تلقيته من مشيختي من الحقائق ونواميس الإسلام .

وأنت شاك في دينك شاك في إمامك أليس الأمر هكذا؟ فلم

١٥٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

يسعني إنكار ما يقوله ثم قال عليه السلام وأما شيخك الذي قرأت عليه وأخذت منه فهو أتعس منك حالاً وما عسى أن يكون عندك من أصول وقواعد مضروبة للجاهل بالأحكام يعمل بها إذا أعوزه الوصول إلى الواقع وإني غير محتاج إليها لمعرفةتي بواقع الأحكام من مصدر الوحي الإلهي .

ثم قال عليه السلام وفي نفسيات كريمة وأخذ يعددها من كرم وصبر ومواساة وجهاد إلى غيرها ولو قسمت على جميعكم لما أمكنك حمل شيء منها .

على أن فيك ملكات رذيلة من حسد ومراء ورياء ثم ضرب بيده الشريفة على فم الرجل فانتبه فزعا نادماً معترفاً بالتقصير ولم يجد منتدحاً إلا بالتوسل به والإنابة إليه صلوات الله عليه وعلى آبائه .

اليقين

لقد كان أبو الفضل عليه السلام أحد الأفاضل العلويين الذين لم تكن المفاخر مزايا زائدة على ذاتياتهم وإن مدحوا بآثارها لأنهم زبد المخض حازوا شرف النبوة وفضيلة الخلافة تنتضد بهم جمل العلم وتعتدل موازين العمل وتترنح بهم صهوات المنابر .

فكان سلام الله عليه متربعا على منصة المجد وملء الندي هيبه وملء العيون بهجة وملء المسامع ذكره الجميل وملء القلوب محبة وحشو إهابه علم وعمل وحشو الرداء سوّدد وشرف .

وإن الإحاطة بما حواه من اليقين الثابت والبصيرة النافذة بأحد طريقين الأول سبر أحواله ومواقع إقدامه وإحجامه ومواضع بطشه وأناته وموارد صفحه وانتقامه ولا بد أن يكون المنقب عند ذلك مميزاً بين مدارج الرأي ومساقط الخطل بصيراً بمراقبي الحلم ومهاوي البطش والثاني إخبار من وقف على ذلك بمباشرة وافية وعلم متسع تمّ شكله وظهر نتاجه أو تعليم إلهي أو أخذ عن له صلة بذلك التعليم .

وغير خفي أن قمر بني هاشم ملتقى ذينك الطرفين في البصيرة واليقين في دينه وعقله في معارفه وأخلاقه في حله وارتحاله وكان ينظر إلى جملة الأحوال بين البصيرة التي تخرق الحجب وتبصر ما وراءها من أسرار وخبايا لا بناظر البصر الذي تحجبه الحواجز وتمنعه السدول فيردّ عن الإدراك خاسئاً فلا يكون أمر تهالك دونه إلا بعلم ثابت ويقين راسخ وإيمان لا يشوبه شك فإنه :

سر أبيه وهو سر الباري مليك عرش عالم الأسرار
وارث من حاز مواريث الرسل أبو العقول والنفوس والمثل
وكيف لا وذاته القدسية مجموعة الفضائل النفسية

لقد كان أبو الفضل يعرف العراقيين ونزعات أهل الكوفة منذ عهد أبيه وأخيه السبط المجتبي بالتجارب الصحيحة وأنهم تجمعهم الأمانى وتفرقهم الرضائخ ويشاهد الأمويين وقوة سلطانهم وتوغلهم في إراقة الدماء وبطشهم في الناس وطيشهم في الأمور ويرى ضعف جانب (أبيّ الضيم عليه السلام) وقلة أنصاره وطبع الحال يحدو مثله إلى التحيز إلى فئة أخرى، ولأقل من التقاعد عن أي الفريقين وما كان مثله لو سالم الأمويين لعدم ولاية أو قيادة لجيوشهم أو عيشة راضية يقضي بها أيامه .

(لكن عباس اليقين) لم يكن له طمع في شيء من حطام

الدنيا فلم يرقه إلا الالتحاق بأخيه سيد الشهداء موطناً نفسه الكريمة لأي كارثة أو شدة مؤلمة هذا والتكهن بمصير أمر الحسين عليه السلام في مسيره نصب عينه والمغيبات الماثورة عن رسول الله وأمير المؤمنين والمسموعات من أخويه الإمامين ملأت أذنه فلم يبرح مع «أخيه الشهيد» يفترع ربوة ويسف إلى وادٍ لا يرى في هاتيك الثنايا والعقبات إلا تصديقاً لما عرفه ويقيناً بمنتهى أمره وغايته حتى بلغهم نبأ فاجعة مسلم بن عقيل فعرف القوم انشال الكوفيين عن الحق ورضوخهم إلى حكم الطاغية. هنالك خارت العزائم وأخفقت الظنون وطفق أهل المطامع والشره يتفرقون عن السبط المقدس يميناً وشمالاً^(١) إلا من حداهم إلى المسير حق اليقين وفي الطليعة منهم سيدنا العباس فإنه لم يزد إلا بصيرة في النهضة الكريمة وسروراً بأزوف الغاية المتوخاة.

فسار به وبهم «شهيد العظمة» وهو لا يشاهد كما أنهم لا يرون كلما قربوا من الكوفة إلا تدبر الناس وتألّبهم عليهم وتتوارد عليهم الأنباء بما هو أشد لكن لم يثن ذلك من عزائمهم شيئاً ولا أكدى أملاً بل كانوا يُخفّون الخطا ويسرعون السير لينتهوا إلى معانقة الرماح ومصافحة الصفاح أكثر مما يسرع الصب إلى الخود الرдах ومرشدهم إلى ذلك بعد إمام الهدى (أبو الفضل).

(١) اللهوف: ص ٤١ صيدا.

١٥٨العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ركب حجازيون بين رحالهم تسري المنايا أنجدوا أو أتهموا
يحدون في هزج التلاوة عيسهم والكل في تسبيحه يترنم

الأصحاب

هبط موكب العظمة عراض الغاضريات وهو يضم الفتية من آل عبد المطلب والأبوة الصفوة من الأصحاب فكانوا فرحين بما آتاهم المولى من فضله واختصهم به من المنحة الكبرى حيث جعل أثر ميتهم حياة للدين ومدحرة للأضاليل فكانوا رضوان الله عليهم بما أودع الله تعالى فيهم من النيات الصادقة لا يهابون في سبيل السير إليه تعالى عقبة كأداء أو نبأً موحشاً من تخاذل القوم وتدابير النفوس وتضاؤل القوى لما عرفوه من أنها موهبة لا يحظى بها إلا الأمثل فالأمثل فقابلوا الأخطار بجأش طامن وجنان ثابت لا يزره أي هائلة وكلما اشتد المأزق الحرج أعقب فيهم انشراحاً وانبساطاً بين ابتسامة ومداعبة ومن فرح إلى نشاط:

ومذ أخذت في نينوى منهم النوى ولاح بها للغدر بعض العلائم
غدا ضاحكاً هذا وذا متبسماً سروراً وما ثغر المنون بياسم^(١)

(١) من قصيدة للشيخ صالح الكواز الحلبي وقيل للتميمي .

١٦٠ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

هازل برير بن خضير عبد الرحمن الأنصاري فقال له عبد الرحمن ما هذه ساعة باطل فقال برير والله لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ولكني لمستبشر بما نحن لاقون والله ما بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيا فهم ولوددت أنهم مالوا علينا الساعة^(١).

وخرج حبيب بن مظاهر يضحك فقال له يزيد بن الحصين ما هذه ساعة ضحك قال حبيب وأي موضع أحق بالسرور من هذا ما هو إلا أن يميل علينا هؤلاء الطغاة بسيوفهم فنعانق الحور^(٢).

وناهيك بعباس بن أبي شبيب الشاكري حينما برز إلى الحرب وقد أحجم القوم عنه لأنهم عرفوه بالإقدام والبسالة فلما رأى أنه لم يبارزه أحد ألقى ما عليه من درع ولامة فاغتنمها القوم فرصة ومع ذلك لم يبرز إليه أحد لكنهم رموه بالسهم والحجارة وإنه ليطرد أكثر من مائتين فرحاً مبتهجاً بما يلاقه من حبور ونعيم.

وإني لأعجب من الرواة وحملة التأريخ إذ توسعوا في النقل وقذفوا أولئك الأباة الصفوة والغلب المصاليت بما يندى منه وجه الإنسانية ويأباه الوجدان الصادق فقليل كان القوم بحالة ترتعد

(١) تاريخ الطبري: ج ٦، ص ٢٤١، ومثير الأحزان لابن نما، ص ٢٧، والبحار: ج ١٠، ص ٢٤١.

(٢) رجال الكشي ونفس المهموم: ص ١٢٧.

الأصحاب ١٦١

فرائصهم وتتغير ألوانهم كلما اشتد الحال وضاق المجال إلا الحسين فإن أسرة وجهه تشرق كالبدر المنير^(١).

وذلك بعد أن أعوزتهم الوقعة في شهيد الإباء فلم يجدوا للغمز فيه نصيباً فمالوا على أصحابه وأهل بيته الذين قال فيهم الإمام عليه السلام «إني لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر وأوفى من أهل بيتي^(٢) والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل إلى محالب أمه^(٣).

وليس ذلك إلا من الداء الدفين بين أضالع قوم ذاقوا السم في الدسم إلى سدج آخرين حسبوه حقيقة راهنة فشوهوا وجه التاريخ غير أن البصير الناقد لا تخفى عليه نفسية القوم ولا ما جاؤوا به.

وأعجب من ذلك قول زجر بن قيس ليزيد: إننا أحطنا بهم وهم يلوذون عنا بالأكام والحفر لواذ الحمام من الصقر^(٤).

بفيك الكثكث أيها القائل كأنك لم تشاهد ذلك الموقف الرهيب فترى ما للقوم من بسالة وإقدام ومفاداة دون الدين

(١) الطبري: ج٦، ص ٢٥٤.

(٢) المصدر: ص ٢٣٨.

(٣) الدمعة الساكبة: ص ٣٢٥، عن بعض المؤلفات.

(٤) تاريخ الطبري: ج٦، ص ٢٦٤.

١٦٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الحنيف حتى أغفل يومهم مع ابن المصطفى أيام صفين وما
شاكلها من حروب دامية ووقائع هائلة وحتى أخذت أندية الكوفة
لا تتحدث إلا بشجاعتهم^(١).

أجل إن تلك الأهوال أدهشتك فلم تدرِ ما تقول أو أن الشقة
بعدت عليك فنسيت ما كان ولكن هل غاب عن سمعك صراخ
الأيامى وعويل الأيتام في دور الكوفة حتى طبق أرجاءها من
جرا ما أوقعه أولئك الصفوة بأعداء الله ورسوله بسيوفهم الماضية
والعذر لك أنك أدركت ساعة العافية فطفقت تشوه مقامهم
المشكور طلباً لمرضاة (يزيد الخمور).

ولقد صرح عن صدق نياتهم وإخلاصهم في التضحية عدوهم
الألد عمرو بن الحجاج محرصاً قومه: «أتدرون من تقاتلون
تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر تقاتلون قوماً مستميتين لا
يبرز إليهم أحد منكم إلا قتلوه على قلتهم والله لو لم ترموهم إلا
بالحجارة لقتلتموهم» فقال عمر بن سعد قد صدقت، الرأي ما
رأيت، أرسل في الناس من يعزم عليهم أن لا يبارزهم رجل
منهم^(٢) ولو خرجتم إليهم وحداناً لأتوا عليكم^(٣).

وقيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد ويحك أقتلتم

(١) مناقب ابن شهر آشوب.

(٢) الطبري: ج ٦، ص ٢٤٩.

(٣) مقتل محمد بن أبي طالب.

ذرية رسول الله فقال عضضت بالجدل إنك لو شهدت ما شهدنا
لفعلت ما فعلنا ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها
كالأسود الضارية تحطم الفرسان يميناً وشمالاً وتلقي نفسها على
الموت لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال ولا يحول حائل بينها
وبين حياض المنية أو الاستيلاء على الملك فلو كففنا عنها رويداً
لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها فما كنا فاعلين لا أم لك^(١).

وشهد لهم بالصبر على الموت والثبات لمنازلة الأقران كعب
ابن جابر فإنه لما قتل برير بن خضير عتبت عليه زوجته النوار أو
أخته وقالت أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيد القراء لقد أتيت
عظيماً من الأمر والله لا أكلمك من رأسي كلمة فقال من أبيات
على ما في تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٢٤٧:

ولم ترَ عيني مثلهم في زمانهم ولا قبلهم في الناس إذ أنا يافع
أشد قراعاً بالسيوف لدى الوغى ألا كل من يعطي الذمار مقارع
وقد صبروا للضرب والطعن حُسرّاً وقد نازلوا لو أن ذلك نافع
فرد عليه رضى بن منقذ الذي صرعه برير واستغاث بكعب وقال:

ولو شاء ربي ما شهدت قتالهم ولا جعل النعمان عندي ابن جابر
لقد كان ذاك اليوم عاراً وسبّة تعيره الأبناء بعد المعاشر
فيا ليت أني كنت من قبل قتله ويوم حسين كنت في رمس دائر

(١) شرح النهج الحديدي: ج ١، ص ٣٠٧.

١٦٤ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وأى فرد منهم أقلقه الحال حتى ارتعدت فرائضه أهو زهير بن القين الذي وضع يده على منكب الحسين وقال مستأذناً:

أقدم هديت هادياً مهدياً فاليوم ألقى جدك النبيا
أم ابن عوسجة الذي يوصي حبيب بن مظاهر بنصرة الحسين
وهو في آخر رمق من الحياة فكأنه لم يقنعه عن المفاداة كل ما
لاقاه من جهد وبلاء.

أم أبو ثمامة الصائدي الذي لم يهمله في سبيل السير إلى ربه
سبحانه كل ما هناك من فوادح وآلام إلا الصلاة التي دنا وقتها
فقال للحسين نفسي لك الفداء إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك
ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك وأحب أن ألقى الله وقد صليت
هذه الصلاة التي دنا وقتها فقال الحسين ذكرت الصلاة جعلك الله
من المصلين الذاكرين^(١).

أم سعيد الحنفي الذي تقدم أمام الحسين وقت الصلاة
واستهدف لهم فأخذوا يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً حتى سقط
لكثرة نزع الدم^(٢) فقال للحسين أوفيت يا بن رسول الله قال نعم
أنت أمامي في الجنة.

أم ابن أبي شبيب الشاكري الذي ألقى جميع لامته لتقرب منه

(١) الطبري: ج٦، ص٢٥١.

(٢) المصدر، ص٢٥٢.

الرجال فيموت في حين نرى الكمأة الأبطال المعروفين بالشجاعة والإقدام يتدرون للحرب كيلا يخلص إليهم ما يزهق نفوسهم .

أم الغفاريان اللذان استأذنا الحسين في الحملة وهما يبكيان فقال عليه السلام لهما ما يبكيكما فوالله إني لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري العين فقالا ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك أبا عبد الله نراك قد أحيط بك ولا نقدر على الدفع عنك والذب عن حرمك فجزّاهما الحسين خيراً .

وإذا تأملنا قول الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام إن أصحاب جدي الحسين لم يجدوا ألم مس الحديد^(١) .

وضح لنا ما عليه أولئك الأطايب من الثبات وأنهم غير مكثرين بما لا قوه من ألم الجراح ولعاً منهم بالغاية وشوقاً إلى جوار المصطفى .

ولا يستغرب هذا من يعرف حالة العاشق وأنه عند توجه مشاعره نحو المحبوب لا يشعر بكل ما يلاقيه من عناء ونكد حكى المؤرخون أن عزة دخلت على كثير الشاعر وهو في خبائه يبزي سهاماً له ولما نظر إليها أدهشه الحال وأبهره الجمال فأخذ يبزي أصابعه وسالت الدماء وهو لا يحس بالألم^(٢) .

(١) الخرائج للراوندي .

(٢) الأغاني : ج٧ ، ص٣٧ ، ترجمة كثير .

١٦٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وأكبر مثال على ذلك حكاية الكتاب المجيد حالة النسوة
حينما شاهدن جمال الصديق يوسف عليه السلام فقال تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ
أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (١).

وإذا كانت النسوة لم يشعرن بألم قطع المديّة أيديهن لمحض
جمال الصديق فليس من الغريب ألا يجد أصحاب الحسين عليه السلام
وهم زبد العالم كله ألم مس الحديد عند نهاية عشقهم لمظاهر
الجمال الإلهي ونزوع أنفسهم إلى الغاية القصوى من القداسة بعد
التكهرب بولاء سيد الشهداء عليه السلام.

هذا ما عليه الأصحاب من سر المفاداة وقد كان مرشدهم
إلى ذلك والمقدم فيهم (حامل اللواء) إذ لم يكن هيباً لما شاهده
من لغط وصخب وضوضاء وصهيل وجحفل مجر يتبعه جيش
لجب وقد أخذ ابن ميسون عليهم أقطار الأرض وآفاق السماء.

بجحافل بالطف أولها وأخيرها بالشام متصل
فلا يرى إلا وجوهاً عابسة كل يتحرى استئصال شأفة الإمامة
وإزهاق من يجنح إليها و«قمر الهاشميين» أسارير وجهه تشرق
كالبدر المنير.

لأنه عليه السلام يجد ببصيرته الحادية له إلى المفاداة قرب الأجل

(١) سورة يوسف، الآية: ٣١.

المضروب وحصول الضالة المنشودة وهذا كله بعد العلم بأنه إذا فارق أخاه في ذلك الموقف يكون في سعة من الخطر.

وإننا لنكبر موقفه وثباته حينما قال لهم أبو عبد الله عليه السلام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً فأنتم في إذن مني فإن القوم لم يطلبوا غيري ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سوادكم هذا^(١).

هنا كان لعباس الشرف والحفاظ موقفه المشهود الذي أظهر فيه من قوة الإيمان وغزارة العلم وعوامل الشهامة ما أوقف جولة الفكر وحير نفاذة الحلم حيث ابتدر الجماعة بقوله «ولم نفعل ذلك لا أبقانا الله بعدك» وتابعه الهاشميون الصفوة والصحب الأكارم^(٢) متخذين قوله حقيقة راهنة من معلم هذبته المعرفة وبصرته التجارب وأنه لم يرد بقوله إلا التضحية الخالصة والسعادة الخالدة فأجابوا بما انحنت عليه الأضالع من إيثار مودة العز دون سبط الرسول على حياة مخدجة بعده وإن كانت محفوفة بنعومة من العيش.

فقال آل عقيل: قبح الله العيش بعدك نفديك بأنفسنا وأهالينا.

وقال ابن عوسجة: لو لم يكن معي سلاح لقدفتمهم بالحجارة حتى أموت دونك.

(١) الطبري: ج ٦، ص ٢٣٨، وابن نما: ص ٢٦.

(٢) الطبري: ج ٦، ص ٢٣٩، وإرشاد المفيد.

١٦٨ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وقال سعيد الحنفي أنحن نخلي عنك لا والله حتى يعلم الله
أنا قد حفظنا وصية رسول الله فيك ولو علمت أنني أُقتل ثم أُحيى
ثم أُقتل ثم أُحرق حياً ثم أُذرى يفعل بي سبعين مرة ما فارقتك
حتى ألقى حمامي دونك وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة
واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

وتكلم الجماعة بما يشبه ذلك .

فأجادوا الجواب واخترطوا البيد ض احتياجاً إلى جلاد الأعادي
وانثنوا للوغى غضاب أسود عصفت في العدى بصرصر عاد
حرسوه حتى احتسوا جرع الموت ببيض الطبا وسمر الصعاد
سمحوا بالنفوس في نصرة الدين وأدوا في الله حق الجهاد

وبعد أن عرف الحسين منهم صدق النية والإخلاص في
المفاداة أوقفهم على غامض القضاء وقال إني أُقتل وكلكم تقتلون
حتى القاسم وعبدالله الرضيع إلا السجاد فإنه أبو الأئمة ثم كشف
عن أبصارهم فرأوا ما حباهم به الله من نعيم الجنان وعرفهم
منازلهم فيها^(١) وليس ذلك في القدرة الإلهية بعزيز ولا في
تصرفات الإمام بغريب ولقد حكى المؤرخون وقوع نظير هذا
لسحرة فرعون لما آمنوا بموسى عليه السلام وأراد فرعون قتلهم فإنهم
شاهدوا منازلهم في الجنة^(٢) .

(١) الخرائج وأسرار الشهادة: ص ٤٠٠ .

(٢) أخبار الزمان: ص ٢٤٧ .

الأمان

لم تزل هذه الفضيلة نفسية أبي الفضل في جميع مواقفه عند ذلك المشهد الرهيب لا سيما حين بلغه كتاب عبيد الله بن زياد بالأمان له ولإخوته الذي أخذه عبدالله بن أبي المحل بن حزام وكانت أم البنين عمته وبعثه مع مولاه كزمان فلما قدم كربلا قال للعباس وإخوته هذا أمان من ابن زياد بعثه إليكم خالكم عبدالله فقالوا له أبلغ خالنا السلام وقل له لا حاجة لنا في أمانكم أمان الله خير من أمان ابن سمية^(١).

كيف يتنازل أبو الفضل إلى الدنيا وهو ينظر بعين غير أعين الناس ويسمع بأذنه الواعية غير ما يسمعونه يشاهد نصب عينه الرضوان الأكبر مع «خلف النبي المرسل» ويسمع هتاف الملكوت من شتى جوانبه بالبشرى له بذلك كله عند استمراره مع أخيه الإمام.

(١) الطبري: ج ٦، ص ٢٣٦، وابن الأثير: ج ٤، ص ٢٣.

١٧٠العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

نعم وجد «عباس المعرفة» نفسه المكهربة بعالم الغيب
مجذوبة بجاذب مركز القداسة إلى التضحية دون حجة الوقت لا
محالة فرفض ذلك الأمان الخائب إلى أمان الرسول الأعظم.

وهنالك طمع الشمر فيه وفي إخوته أن يفصلهم عن مستوى
الفضيلة فناداهم أين بنو أختنا العباس وإخوته فأعرضوا عنه فقال
الحسين أجيوه ولو كان فاسقاً قالوا ما شأنك وما تريد قال يا بني
أختي أنتم آمنون لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين والزموا طاعة أمير
المؤمنين يزيد فقال له العباس لعنك الله ولعن أمانك أتؤمننا وابن
رسول الله لا أمان له^(١) وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد
اللعناء فرجع الشمر مغضباً^(٢).

إن هذا الجلف الجافي قد أساء الظن بهؤلاء الفتية نجوم
الأرض من آل عبد المطلب فحسب أنهم ممن يستهويهم الأمان
والدعة أو تروقهم الحياة مع أبناء البغايا هيهات خاب الرجس
ففشل وأخفق ظنه وأكدى أمله ولم يسمع في الجواب منهم إلا
لعنك الله وتبت يداك ولعن ما جئت به.

وحيث إن ابن ذي الجوشن يفقد البصيرة التي وجدها أبو
الفضل والنفسية التي يحملها والسؤدد المتحلي به والحفاظ

(١) تذكرة الخواص: ص ١٤٢، وإعلام الورى: ص ١٢٠.

(٢) أسرار الشهادة: ص ٣١٨.

اللائح على وجناته، طمع أن يستهوي رجل الغيرة ويجره إلى الخسف والهوان والحياة مع الظالمين.

أيظن أن أبا الفضل ممن يستبدل النور بالظلمة ويستعويض عن الحق بالباطل ويدع علم النبوة وينضوي إلى راية ابن مرجانة؟

- كلا -

ولما رجع العباس وإخوته إلى الحسين وأعلموه بما أراده المائت منهم قام زهير بن القين إلى العباس وحدثه بحديث قال فيه إن أباك أمير المؤمنين عليه السلام طلب من أخيه عقيل وكان عارفاً بأنساب العرب وأخبارها أن يختار له امرأة ولدتها الفحولة من العرب وذوو الشجاعة منهم ليتزوجها فتلد غلاماً فارساً شجاعاً ينصر الحسين بطف كربلا وقد ادخرك أبوك لمثل هذا اليوم فلا تقصر عن نصره أخيك وحماية أخواتك فغضب العباس وقال يا زهير تشجعني هذا اليوم فوالله لأرينك شيئاً ما رأيته^(١).

فجدل أبطالاً ونكس رايات في حالة لم يكن همه فنّ القتال ولا منازلة الأبطال بل كان همه إيصال الماء إلى أطفال أخيه ولكن لا مرد للقضاء ولا دافع للأجل المحتوم.

ولا يهمله السهام حاشا من همه سقاية العطاشا فجاد باليمين والشمال لنصرة الدين وحفظ الآل

(١) الكبريت الأحمر: ج ٣، ص ١٤٤، وأسرار الشهادة: ص ٣٨٧.

١٧٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المواساة

لا يسع الباحث في حديث مشهد الطف المقدر فيه (قمر بني هاشم) حق قدره إلا البخوع له بتحقيق هذه الغريزة الكريمة أعني المواساة بأجلى مظاهرها وأنت إذا أعرت لما أفضنا من القول في البصيرة أذناً واعية عرفت كيف كان مقامه مع أخيه سيد شباب أهل الجنة وإيثاره التفاني معه على الحياة الرغيدة وتهالكه في المفاداة منذ مغادرته الحجاز إلى هبوطه أرض كربلا وحتى لفظ نفسه الأخير تحت مشتبك النصول فلا تجد مناصاً عن الإذعان بأنه عليه السلام كان على أعلا ذروة من المواساة لأخيه الإمام تربو على المواسين معه جميعاً لأن مواساته كانت عن بصيرة هي أنفذ البصائر يومئذ بشهادة الإمام الصادق عليه السلام (كان عمنا العباس نافذ البصيرة صلب الإيمان).

وقد شهد له بهذه المواساة إمامان معصومان واقفان على الضمائر ويعرفان مقادير الرجال فيقول الحجة عجل الله فرجه في زيارة الناحية: «السلام على أبي الفضل العباس المواسي أخاه

١٧٤ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

بنفسه الآخذ لغده من أمسه الواقى له الساعي إليه بمائه المقطوعة
يداه لعن الله قاتله يزيد بن الرقاد الجهني وحكيم بن الطفيل
السنبسي الطائي».

ويقول الصادق عليه السلام في الزيارة المتلوة عند ضريحه الأقدس
«أشهد لقد نصحت لله ولرسوله ولأخيك فنعم الأخ المواسي».

فجعل عليه السلام الشهادة له بالمواساة المنعم بها نتيجة نصحه لله
الذي هو مقتضى دينه و يقينه ونصحه لرسول الله الذي هو تمام
التوحيد والنصح لأخيه الإمام الذي هو الجزء الأخير للعلة وبه
كمال الدين وتمام النعمة ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي﴾^(١) وبه قبول الأعمال.

«لو أن عبداً صام وصلى وزكى ولم يأت بالولاية ما قبل الله
له عملاً أبداً» فرضا الرب والرسول وطاعتهما منوطان بطاعة ولي
الأمر ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ﴾^(٢).

فأراد الإمام الصادق بذلك الخطاب أن نصح «عباس الهداية»
لأخيه المظلوم على حد نصحه لله ولرسوله مع حفظ المرتبة في
كل منهما فالطاعة شرع سواء في الثلاثة تحت جامع واحد هو

(١) سورة المائدة، ٣.

(٢) السورة، ٥٥.

وجوب الخضوع لهم والتسليم لأمرهم غاية الأمر تختلف
المراتب فإنه تجب الطاعة أولاً وبالذات بالنسبة إليه سبحانه
وتعالى وبما أن الرسول مبعوث من قبله وجبت بالنسبة إلى
الرسول وبما أن الإمام خليفة لهذا المبعوث المرسل لعدم بقاءه
إلى الأبد وعدم إهمال العباد كالبهائم وعدم وضوح الكتاب
المجيد لوجود المخصص والمقيد والناسخ والمتشابه وعدم وفائه
بالأحكام الشرعية بالبداهة وجب على الأمة إطاعة هذا الإمام
فالمراد من المؤمنين في هذه الآية ومن أولي الأمر في قوله تعالى
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) . . .

شيء واحد وقد انحصر مصداقه في سيد الوصيين وأبنائه
المعصومين الأحد عشر بالتواتر عن الرسول ﷺ .

فالنصح الذي أشار إليه الإمام في الزيارة هو لازم تلك
الطاعة ومقتضى الولاية تحت جامع واحد وهو لزوم مناصرة
الدين والصادع به المنبسط على ذات الباري تعالى والرسول
والإمام كل في مرتبته .

وقد أفادنا هذا الخطاب أن مفاداة أبي الفضل ومواساته لم
تكن لمحض الرحم الماسة والإخاء الواشج ولا لأن الحسين عليه السلام
سيد أسرته وكبير قومه وإن كان في كل منها يمدح عليه هذا

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩ .

١٧٦العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الناهض لكنها جمعاء كانت مندكة في جنب ما أثاره «عباس البصيرة» من لزوم مواساة صاحب الدين والتهالك دون دعوته سواء كانت المفاداة بعين المشرع سبحانه أو تحت راية الرسول ﷺ أو إمام الوقت وكل بعين الله وعن مرضاته جل شأنه وقد اجتمعت في مشهد الطف تحت راية الحسين عليه السلام .

إن من الواجب إمعان النظر في عمله الناصع حين ملك الشريعة فاغترف غرفة من الماء ليشرب ولكن ألزمه حق اليقين وقوة الإيمان أن ينفذ الماء من يده حيث لم ير له مساعاً في التأخير عن سقاية حجة الوقت الإمام المعصوم وحرمة النبوة ولو بمقدار التروي من الماء هنيئة بل عرف أن الواجب عليه الإبقاء على مهجة خليفة الرسول بسقايته ولو في أن يسير إذ الحالة شرع سواء بين قليل الزمان وكثيره ولذلك نسب فعله هذا إلى الدين حيث يقول «تالله ما هذا فعال ديني» .

على أن شيخنا العلامة الشيخ عبد الحسين الحلبي يحدث في النقد النزيه ج ١ ، ص ١٠٠ عن فخر الذاكرين الثقة الثبت الشيخ ميرزا هادي الخراساني النجفي نقلاً عن «عدة الشهور» أن أمير المؤمنين عليه السلام دعا العباس وضمه إليه وقبل عينيه وأخذ عليه العهد إذا ملك الماء يوم الطف أن لا يذوق منه قطرة وأخوه الحسين عطشان فقول أرباب المقاتل نفض الماء من يده ولم يشرب إنما هو لأجل الوصية من أبيه المرتضى .

لم يذق الفرات أسوة به ميمماً بمائه نحو الخبا
لم ير في الدين يبل غلة وصنوه فيه الظما قد ألها
والمرتضى أوصى إليه في ابنه وصية صدته عن أن يشربا
لذاك قد أسنده لدينه وعن يقين فيه لن يضطربا
هذا من الشرع يرى فعلته ومن صراط أحمد ما ارتكبا
ومثله الحسين لما ملك الماء فقل رحله قد نهبا
أمّ الخيام نافضاً لمائه إذ عظم الأمر به واعصبا
فكان للعباس فيه أسوة إذ فاض شهماً غير مفلول الشبا

١٧٨العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

عشرة التأريخ

لقد كان من نفوذ بصيرة العباس أنه لم تقنعه هاتيك التضحية المشهودة منه والجهاد البالغ حده حتى راقه أن يفوز بتجهيز المجاهدين في ذلك المأزق الحرج والدعوة إلى السعادة الخالدة في رضوان الله الأكبر وأن يحظى بأجور الصابرين على ما يلم به من المصاب بفقد الأحبة فدعا إخوته من أمه وأبيه وهم «عبدالله وجعفر وعثمان» وقال لهم تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله فإنه لا ولد لكم^(١).

فإنه أراد بذلك تعريف إخوته حق المقام وأن مثلهم بهذا الموقف لم يكن مصروفاً إلا إلى جهة واحدة وهي المفاداة والتضحية في سبيل الدين إذ لم يكن لهم أي شائبة أو شاغلة تلهيهم عن القصد الأسنى من عوارض الدنيا من مراقبة أمر الأولاد بعدهم ومن يرأف بهم ويربيهم فاللازم حينئذ السير إلى

(١) إرشاد الشيخ المفيد وإعلام الورى ومثير الأحزان لابن نما .

١٨٠العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الغاية الوحيدة وهي الموت دون حياة الشريعة المقدسة فكانوا كما شاء ظنه الحسن بهم حيث لم يألوا جهداً في الذب عن قدس الدين حتى قضوا كراماً متلفعين بدم الشهادة.

لكن هلم واقراً العجيب الغريب في ما ذكر ابن جرير الطبري في التاريخ ج٦، ص ٢٥٧، قال وزعموا أنّ العباس بن علي قال لإخوته من أمه وأبيه عبدالله وجعفر وعثمان يا بني أمي تقدموا حتى أرثكم فإنه لا ولد لكم ففعلوا وقتلوا.

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبين قدم أخاه جعفرأ بين يديه لأنه لم يكن له ولد ليحوز ميراثه العباس فشد عليه هاني بن ثبيت فقتله.

وفي مقتل العباس قال قدم إخوته لأمه وأبيه فقتلوا جميعاً فحاز مواريتهم ثم تقدم وقتل فورثهم وإياه عبداالله ونازعه في ذلك عمه عمر بن علي فصولح على شيء رضي به.

هذا غاية ما عندهما وقد تفردا به من بين المؤرخين وأرباب المقاتل ولا يخفى على من له بصيرة وتأمل بعده عن الصواب وما أدري كيف خفي عليهما حيازة العباس ميراث إخوته مع وجود أهمهم أم البنين وهي من الطبقة المتقدمة على الأخ ولم يجهل العباس شريعة تربي في خلالها.

على أن هذه الكلمة لا تصدر من أدنى الناس سيما في ذلك

عشرة التاريخ ١٨١

الموقف الذي يذهل الواقف عن نفسه وماله فأى شخص كان يدور في خلدته ذلك اليوم حيازة المواريث بتعريض ذويه وإخوته للقتل وعلى الأخص يصدر ذلك من رجل يعلم أنه لا يبقى بعدهم ولا يتهنأ بمالهم بل يكون فعله لمحض أن تتمتع به أولاده.

بئست الكلمة القبيحة التي راموا أن يلوثوا بها ساحة ذلك السيد الكريم.

فهل ترغب أنت أن يقال لك عرضت إخوتك وبني أمك لحومة الوغى لتحوز مواريتهم أم أن هذا من الدناءة والخسة فلا ترضاه لنفسك كما لا يرغب به سوقة الناس وأذناهم فكيف ترضى أيها المصنف ذلك لمن علم الناس الشهامة وكرم الأخلاق وواسى حجة وقته بنفسه الزاكية وكيف ينسب هذا لخريج تلك الجامعة العظمى والمدرسة الكبرى جامعة النبوة ومدرسة الإمامة وتربى بحجر أبيه وأخذ المعارف منه ومن أخويه الإمامين.

ولو تأملنا جيداً في تقديمه إياهم للقتل لعرفنا كبر نفسه وغاية مفاداته عن أخيه السبط فلذة كبد النبي ﷺ ومهجة البتول فإن من الواضح البين أن غرضه من تقديمهم للقتل:

١ - إمّا لأجل أن يشتد حزنه ويعظم صبره ويرزأ بهم ويكون هو المطالب بهم يوم القيامة إذ لا ولد لهم يطالبون بهم.

٢ - وإمّا لأجل حصول الاطمئنان والثقة من المفاداة دون

الدين أمام سيد الشهداء ويشهد له ما ذكره الشيخ المفيد في الإرشاد وابن نما في مثير الأحزان من قوله لهم (تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله فإنه لا ولد لكم) ولم يقصد بهم المخايل وإنما رام أبو الفضل أن يتعرف مقدار ولائهم لقتيل العبرة وهذا منه عليه السلام إرفاق بهم وحنان عليهم وأداء لحق الأخوة بإرشادهم إلى ما هو الأصلح لهم.

٣ - وإما لأجل أن يكون غرضه الفوز بأجر الشهادة بنفسه والتجهيز للجهاد بتقديم إخوته ليثاب أيضاً بأجر الصابرين ويحوز كلتا السعادتين وربما يدل عليه ما ذكره أبو الفرج في مقتل عبدالله من قول العباس له تقدم بين يدي حتى أراك قتيلاً وأحتسبك فكان أول من قتل من إخوته.

وذكر أبو حنيفة الدينوري أن العباس قال لإخوته: تقدموا بنفسي أنتم وحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه فتقدموا جميعاً وقتلوا.

ولو أراد أبو الفضل من تقديمهم للقتل حيازة مواريتهم (وحاشاه) لم يكن لاحتساب أخيه عبدالله معنى كما لا معنى لتفديتهم بنفسه الكريمة كما في الأخبار الطوال.

وهناك مانع آخر من ميراث العباس لهم وحده حتى لو قلنا على بعد ومنع بوفاة أم البنين يوم الطف فإن ولد العباس لم يكن

عشرة التأريخ ١٨٣

هو الحائز لمواريتهم لوجود الأطراف وعبيدالله بن النهشلية فإنهما يشتركان مع العباس في الميراث كما يشاركهم سيد شباب أهل الجنة وزينب العقيلة وأم كلثوم ورقية وغيرهن من بنات أمير المؤمنين .

فكيف والحال هذا يختص العباس بالميراث وحده هذا كله إن قلنا بوفاة أم البنين يوم الطف ولكن التاريخ يثبت حياتها يومئذ وأنها بقيت بالمدينة وهي التي كانت ترثي أولادها الأربعة .

والذي أظنه أن منشأ ذلك القول على العباس أنه أوقفهم السير على قوله لإخوته (لا ولد لكم) من غير روية وتفكير في غرضه ومراده فحسبوه أنه يريد الميراث فنوه به واحد باجتهاده أو احتمالاً وحسبه الآخرون رواية فشوهوا به وجه التأريخ ولم يفهموا المراد ولا أصابوا شاكلة الغرض فإن غرضه من قوله : لا ولد لكم تراقبون حاله بعدكم فأسرعوا في نيل الشهادة والفوز بنعيم الجنان .

على أن شيخنا العلامة الشيخ عبد الحسين الحلبي في النقد النزيه، ج ١، ص ٩٩، احتمال تصحيف إرثكم من أرزء بكم أو أرزئكم وليس هذا بعيد وأقرب منه احتمال شيخنا الحجة الشيخ أغا بزرك مؤلف كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) تصحيف إرثكم من (أرثيكم) فكأنه عليه السلام أراد أولاً أن يفوز بالإرشاد إلى

١٨٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ناحية الحق وثانياً تجهيز المجاهدين وثالثاً البكاء عليهم وراثتهم
فإنه محبوب للمولى تعالى .

ويشبهه قول العباس لإخوته قول عابس بن أبي شبيب الشاكري
لشوذب مولى شاكري يا شوذب ما في نفسك أن تصنع؟ قال أقاتل
معك دون ابن بنت رسول الله حتى أُقتل فقال ذلك الظن بك
فتقدم بين يدي أبي عبدالله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من
أصحابه وحتى أحتسبك أنا فإنه لو كان معي الساعة أحد أنا أولى
به منك لسرني أن يتقدم بين يدي حتى أحتسبه فإن هذا يوم ينبغي
لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه فإنه لا عمل بعد اليوم
وإنما هو الحساب (الطبري، ج ٦، ص ٢٥٤).

حديث الصادق

إن مما يتعرف منه منزلة أبي الفضل العالية وإثبات الخصال الحميدة له إخبار أئمة الدين العارفين بضمائر العباد وسرائرهم الواقفين على نفسيات الأمة عن كذب بتحققها فيه وقد عبثت أيدي التلف في أكثرها فإن الصدوق يحدث في الخصال، ج ١، ص ٣٥، بعد ذكره حديث السجاد في فضل العباس أنه أخرج الخبر بتمامه مع أخبار في فضائل العباس في كتاب مقتل الحسين عليه السلام.
وظاهره أن هناك أخباراً كثيرة في فضل أبي الفضل زويت عنا ككتابه المقتل. ولا غرو فلقد اندثر بتعاقب الحوادث الكثير من المؤلفات.

وكيف كان فلعل من تلك الأخبار ما رواه في عمدة الطالب عن الشيخ الجليل أبي نصر البخاري النسابة عن المفضل بن عمر أنه قال قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الإيمان جاهد مع أبي عبدالله وأبلى بلاءً حسناً ومضى شهيداً.

١٨٦العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وكذلك قوله عليه السلام في ما علم شيعة أن يخاطبوه به من لفظ الزيارة المروية بسند صحيح متفق عليه فإنه عند التأمل في ما خاطبه به الإمام العارف بأساليب الكلام ومقتضيات الأحوال تظهر لنا الحقيقة ونعرف منزلة للعباس سامية لا تعدو منزلة المعصومين .

فقال عليه السلام في صدر سلام الإذن :

«سلام الله وسلام ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين وعباده الصالحين وجميع الشهداء والصديقين الزاكيات الطيبات في ما تغتدي وتروح عليك يا بن أمير المؤمنين» .

فإنه أشار بهذا إلى مصب سلام الله الذي هو رحمته المتواصلة وعطفه غير المجذوذ اللذان لا انقطاع لهما وسلام الملائكة المشاهدين لمقادير الرجال في ملأ القدس وحظيرة الجلال وسلام الأنبياء الذين لا يعدون مرضاة الله ووحيه في أفعالهم وتروكهم وسلام الصالحين والشهداء الذين أدركوا بفضل الاتصال بالرسول وأوصيائهم أو بالتجرد ومشاهدة الحقائق الثابتة في عالم الغيوب زيادة على ما عرفوه من مقام أبي الفضل وفضله فكل هؤلاء يتقربون إلى الله تعالى بالدعاء له واستنزال الرحمة منه سبحانه وإهداء التسليمات إليه لما عرفوا أنه من أقرب الوسائل إليه وحيث كانت خالصة للزلفة ماحضة في التقرب إليه جل ذكره عادت زاكية طيبة بنص الزيارة (الزاكيات الطيبات) وأما على

رواية ابن قولويه في كامل الزيارة من زيادة (واو العطف) قبل الزاكيات الطيبات فيراد بهما العناية الخاصة التي ليست بدعاء من أحد ولا بأسباب عادية ولا يعدم هذه الأنبياء والأوصياء والأقربون ممن اقتفوا أثرهم وليست هي شرعة لكل وارد وإنما يحظى بها الأفاضل ممن كهربتهم القداسة الإلهية وجذبتهم جاذبة الصقع الربوبي وهكذا المقربون والأفاضل عند صعودهم.

وإذا قرأنا زيارة الصادق عليه السلام لجده الحسين سلام الله وسلام ملائكته في ما تروح وتغدو والزاكيات الطاهرات لك وعليك سلام الملائكة المقربين والمسلمين لك بقلوبهم والناطقين بفضلك إلخ^(١). وضح لنا أن منزلة أبي الفضل تضاهي منزلة الحسين حيث أثبت له مثل هذا السلام.

ثم قال عليه السلام:

(أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل).

ههنا أثبت لأبي الفضل منزلة التسليم التي هي من أقدس منازل السالكين وفوق مرتبة الرضا والتوكل فإن أقصى مرتبة الرضا أن يكون محبوب المولى سبحانه محبوباً له موافقاً لطبعه

(١) مزار البحار: ص ١٤٨، عن الكامل.

فالتطبع ملحوظ فيه وأقصى مراتب التوكل أن ينزل نفسه بين يدي المولى سبحانه وتعالى منزلة الميت بين يدي الغاسل بحيث لا إرادة له إلا ما يفعله الغاسل به فصاحب التوكل مسلوب الإرادة وأما صاحب التسليم فلا يرى لغير الله وجوداً مع الله فضلاً عن نفسه ولا يكون له طبع يوافق أو يخالف في الإرادة أو نفساً قد تنفست بالإرادة فهو قريب من عالم الفناء وهذه المرتبة فوق مرتبة التوكل التي هي فوق مرتبة الرضا لا تحصل إلا بالبصيرة النافذة والوصول إلى أعلا مراتب اليقين تلك المرتبة التي أخبر عنها أمير المؤمنين عليه السلام «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً».

وأما العناوين الثلاثة وهي «التصديق والوفاء والنصيحة» فلا شك أن الإمام يريد أن أبا الفضل في أرقى مراتبها لانبعائها عن التسليم وهو حق اليقين فإنه المناسب لتصديقه بأخيه الحجة وبنهضته في ذلك الموقف الحرج وهكذا وفاؤه ونصيحته فإن وفاء شخص لآخر كما يمكن أن يكون لأجل الأخوة والرحم والصحبة ويمكن أن يكون لأجل المعرفة التامة بما أوجب الله له من الحرمة والحق على الأمة.

وحيث إن الإمام أثبت لأبي الفضل أرقى مرتبة السالكين وهي التسليم اللازم لحق اليقين فلا بد أن يكون ما صدر منه من التصديق بنهضة أخيه والوفاء لحقه والمناصحة في العمل منبعثاً عن حق اليقين بذلك الأمر الواجب لا لأجل أن الحسين أخوه أو

رحمه أو ابن رسول الله فإن هذه المرتبة وإن مدح عليها الشخص إلا أن المرتبة الأولى أرقى وأرفع ولا ينالها إلا ذوو النفوس القدسية ممن وجبت لهم العصمة.

ويؤيد ذلك تعقيب العناوين الثلاثة بقوله عليه السلام (لخلف النبي المرسل) فإنه لو لم يرد هذا لقال في الخطاب لأخيك أو للحسين أو لابن أمير المؤمنين فالتعبير بخلف النبي لا يراد منه إلا أن الدافع لأبي الفضل على التسليم والتصديق والوفاء والنصيحة بالمفاداة إلا كون الحسين إماماً مفروض الطاعة وهذا مغزى لا يبعث إليه إلا البصيرة المميزة لشرف الغايات المتحرية لكرائمها.

ثم إن من تخصيص الإمام الخطاب له دون غيره من الشهداء بقوله «لعن الله من جهل حقه واستخف بحرمتك». نعرف أن غيره من الشهداء لم يدرك هذا المدى وإن كان لكل منهم حقاً وحرمة إلا أن شبل أمير المؤمنين كانت معارفه أوسع وإيمانه أثبت فكان له حق في الدين وحق على الأمة لا ينكر فاستحق بكل منهما اللعن على جاهله والمستخف به فالشهداء وإن أخلصوا في التضحية والمفاداة وكان منبعثاً عن طهارة الضمائر والمعرفة بحق الإمام فلهم حقوق وحرمان لكن لحق العباس منعة بين هاتيك الحقوق ولحرمة بذخ بين تلك الحرمان بعدما ثبت منهما لأخيه الإمام المظلوم لنفوذ بصيرته وصلابة إيمانه بنص الصادق.

١٩٠ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ثم قال الصادق عليه السلام في الزيارة المتلوة داخل الحرم:

(أشهد وأشهد الله أنك مضيت على ما مضى عليه البديون).

لقد جرى التشبيه بالبدرين مجرى التقريب إلى الأذهان في الإشادة بموقف أبي الفضل من البصيرة فإن أهل بدر أظهر أفراد أهل البصائر لأنهم قابلوا طواغيت قريش على حين ضعف في المسلمين وقلة في العدة والعتاد فلم يملكوا إلا فرسين أحدهما لمرثد بن مرثد الغنوي والآخر للمقداد بن الأسود الكندي وكانوا يتعاقبون على سبعين بعيراً الاثنان والثلاثة^(١).

لكنهم خاضوا غمرات الموت تحت راية النبوة بقوة الإيمان وعتاد البصيرة إلا من استولى الرين على قلبه فردوا سيوف قريش مفلولة ورماحهم محطمة وجموعهم بين قتلى وأسرى ومشردين فحظوا بأول فتح إسلامي قويت به دعائمه وشيدت معالمه مع الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة مسومين^(٢).

وأعظم من ذلك مشهد الطف الذي التطمت فيه أمواج الموت وكشفت الحرب عن ساقها وكشرت عن نابها.

وللأخطار وجه مكفهر يشيب لهوله المردي الغلام

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ٣، ص ٣١٩ و ٣٢٠.

(٢) سورة آل عمران، ١٢٤.

ترى الأبطال من فرقٍ سكارى يدار من الردى فيهم مدام
فقابلهم عصابة الحق من غير مدد يأملونه أو نصرة يرقبونها
والعطش معتلج في صدورهم ونشيج الفواطم من ورائهم فتلقوا
جبال الحديد بكل صدر رحيب وجنان طامن فلم تسلّ تلك
النفوس الطاهرة إلا على فتل أمية المنقوض ولا أريقت دماؤهم
الزاكية إلا على حبلهم المنتكث فلم تبرح آل حرب إلا كلعقة
الكلب أنفه حتى اكتسحت معرفتهم من أديم الأرض وتفرقوا أيدي
سباً فيوم الطف فتح إسلامي بعد الجاهلية المستردة من جراء
أعمال الأمويين^(١).

وإليه أشار الإمام الشهيد في كتابه إلى بني هاشم لما حل
أرض كربلاء (من لحق بنا منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ
الفتح)^(٢).

فإنه عليه السلام لم يرد بالفتح إلا ما ترتب على نهضته المقدسة
وتضحيته الكريمة من نقض دعائم الإلحاد وكسح أشواك الباطل

(١) لقد أجاد العلامة السيد باقر نجل آية الله السيد محمد الهندي رحمه الله إذ
يقول:

لو لم تكن جمعت كل العلافينا لكان ما كان يوم الطف يكفيننا
يوم نهضنا كأمثال الأسود به وأقبلت كالدبا زحفاً أعاديننا
جاؤوا بسبعين ألفاً سل بقيتهم هل قابلونا وقد جئنا بسبعينا

(٢) كامل الزيارة: ص ٧٥.

١٩٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

عن صراط الشريعة المطهرة وإحياء دين جده الصادق به الذي
لاقى المتاعب في تأييده وتشييده.

وأنت أيها البصير إذا استشففت الحادثة من وراء نظارة في
التنقيب تجد سيدنا أبا الفضل سيد القوم بعد أخيه السبط وهو
المسدد لهم في النضال.

كما أن الباحث إذا أعطى النظر حقه يجد ضحايا (الطف)
أشد انقطاعاً عن المدد من مجاهدي يوم بدر وأبلغ بأساً وأقل
عدداً مع اكتناف الكوارث بهم وإعواز الملجأ أكثر مما احتف
بأهل بدر مع أن المناوئين لشهداء (الطف) أوفر عدداً وأقوى
عتاداً وأوثق مدداً، وأن لهم دولة مؤسسة تنضدت جحافلها
وخفقت بنودها وتواصلت قواتها بخلاف الحالة يوم بدر فلقد كان
المحاربون للمسلمين شتات من طواغيت العرب حدهم إلى
الحرب بواعث الحقد والنخوة ومن المحتمل القريب انحلال
جامعتهم إذا ضربت الحرب عليهم بجرانها لأنهم كانوا يفقدون
أي مدد من القبائل ولم يخرجوا متأهبين للاستمداد حيث ظنوا
خوراً في المسلمين وحسبوا استئصال شأفتهم وأنهم كشرية ماء
(ولكن لا مبدل لحكم الله تعالى).

فالموقف يوم الطف أخرج والكرب أكثر والمقاساة أصعب
وبقدر المشقة تجري الأجور وتقسم الفضائل فشهداء كربلاء أولى
بالفضيلة.

حديث الصادق ١٩٣

وضرب الإمام عليه السلام المثل لهم بأهل بدر إذ يقول (أنك مضيت على ما مضى عليه البديون) لا يوجب فضيلة أهل بدر عليهم كما هي قاعدة التشبيه وإنما ذلك من باب التقريب إلى الأفهام كما في قوله تعالى ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ﴾ .

وأين من النور الإلهي المشكاة ومصباحها ولكن لما لم تدرك الأبصار ذلك النور الأقدس وإنما تدركه البصائر ضرب الله تعالى المثل بما يدركونه تقريباً للأذهان وهكذا الحال في ما نحن فيه .

وإلى هذه الدقيقة وقع الإيعاز منه عليه السلام في ما بعد هذه الفقرة من الزيارة بقوله عليه السلام :

«فجزاك الله أفضل الجزاء وأكثر الجزاء وأوفر الجزاء وأوفى جزاء أحد ممن وفى في بيعته واستجاب له دعوته وأطاع ولاة أمره» .

فلو كان في المجاهدين من هو أوفر فضلاً من أبي الفضل العباس لكان هذا الدعاء أو الإخبار عن أمره شططاً من القول خارجاً عن ميزان العدل تعالى عنه كلام المعصوم فإذا لم يكن غيره من المجاهدين مطلقاً أوفر فضلاً ولا أكثر جزاءً ولا أوفى بيعة إلا من أخرجه الدليل من الأئمة المعصومين .

ثم إن هناك مرتبة أخرى ثبتت لأبي الفضل خصه بها الإمام الصادق عليه السلام بقوله :

«أشهد أنك قد بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود
فبعثك الله في الشهداء وجعل روحك مع أرواح السعداء
وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً وأفضلها غرماً».

فإن المبالغة في أمثال المقام عبارة عن بلوغ الأمر إلى حدوده
اللازمة وكم له من نظير في استعمالات العرب ومحاوراتهم ولا
شك أن كل واحد من شهداء الطف قد بالغ في النصيحة ولم يألُ
جهداً في أداء ما وجب عليه ولكل منهم في ذلك المشهد الدامي
شواهد من أقواله وأعماله.

ومن المسلّم أن المعروف بقدر المعرفة كما وكيفاً فصاحب
السنام الأرفع في العرفان المتربع على أعلا منصة من الإيمان لا
بد وأن يقاسي أشد ضروب الجهاد ويتظاهر بأجمل مظاهره من
الدؤوب على الحرب والضرب وإن طال المدى وبعُد الأمد إن
كان الجهاد نضالاً كما لا بد له من المثابرة على مكافحة النفس
الأمارة وكسر شوكتها وردّ صولتها وكبح جماحها وترويض
النفس بالطاعة وإلزامها بلوازمها الشاقة طيلة حياتها إن كان
الجهاد نفسياً.

وفي هاتين الحالتين لا بد وأن يكتنف العمل المقارنات
المطلوبة مثل نية القربة والإخلاص فيها المنبعث عن حب المولى
سبحانه الحادي إلى معرفة تؤهله إلى الطاعة وعن معرفة نعم

حديث الصادق ١٩٥

الباري عز وجل الواجب شكرها وعن الهيبة الناشئة عن لحاظ
عظمته إلى أمثال هذه من الملحوظات .

وقصارى القول كما أن مراتب الإيمان والمعرفة متفاوتة
مقولة بالتشكيك كذلك مراتب العمل متفاوتة حسب تفاوت تلك
المراتب فصاحب عمل كل مرتبة محدود بحدودها .

وحيئذ فلا شك أن كل واحد من شهداء الطف وإن بلغ
الغاية في الجهاد وأدى حق النصيحة لكن (شهيد العلقمي) لما
كانت بصيرته أنفذ وعلمه أوفر وإيمانه أثبت كان مداه أبعد وغايته
أسمى وحدوده أوسع ولذلك خاطبه الصادق عليه السلام بهذا الخطاب
وخصه بالمبالغة في التضحية فكان هذا كفضيلة مخصوصة به لأن
هاتيك المراتب الراقية لم توجد في غيره .

ولعل من ناحية هذه المراتب الثلاث ثبت له عليه السلام حق في
الدين وحق على الأمة وحرمة لا تنكر فاستحق أن يخاطبه الإمام
في سلام الإذن بقوله :

(لعن الله من جهل حقه واستخف بحرمتك) .

وهناك درجة أربى وأرفع أشار إليها الصادق بقوله :

(ورفع ذكرك في عليين) .

فإن «حامي الشريعة» لم يبرح مواصلاً في الخدمات حتى
أقبل إلى الله تعالى متلفعاً بدم الشهادة شهادة صك نبؤها مسامع

الملكوت حتى اشرب له هنالك من أنبياء ومرسلين وحجج معصومين وملائكة مقربين وحوار وولدان وأرواح مقدسة ومقدسات زاكيات طيبات فلم يلقَ عليه السلام في صعوده إليهم إلا ثغوراً باسمه ووجوهاً مستبشرة وإيداناً له بالبشرى الخالدة ونعيم الأبد فطفق يرفل بين ذلك الجيل القدسي الزاهر بنور العصمة ورونق العلم وهيبة العظمة وسمات الجلالة وشارات النزاهة وبهجة العطف الإلهي وبهاء النظر إلى الجلال السرمدى والاتصال بالرضوان الأكبر وعليه أبهة الولاء وجلالة الطاعة وبلج التضحية وزلفى المفاداة وزهو العلم والعمل ولذكرة في ذلك المنتدى الرهيب رفعة ومنعة وإليه يشير الإمام الصادق عليه السلام في لفظ الزيارة (ورفع ذكرك في عليين).

فإن الغرض من هذا التعبير ليس إلا ما شرحناه لا مجرد صعود ذكره الطيب إلى ذلك الملاء الأرفع شأن كل صالح في عالم الوجود لكن الشأن كله أن يكون لذكره المجيد هنالك بذخ وإكبار فيرمقه كل طرف بنظر الإجلال ويسمع الهتاف به بأذن التقدير وتنعقد الضمائر على تقديسه ولو أراد الإمام مجرد ذكره إلى ذلك العالم القدسي لقال في الخطاب (ورفع ذكرك إلى عليين) ولكن حيث إنه أراد رفع الذكر بين أفراد أولئك الذين اختص محلهم فيه جاء بفاء الظرفية فقال (في عليين).

حديث الصادق ١٩٧

وأما قوله عليه السلام في الزيارة التي رواها المجلسي في مزار البحار ص ١٦٥ ، عن مزار الشيخ المفيد وابن المشهدي .

«لعن الله أمة استحلت منك المحارم وانتهكت فيك حرمة الإسلام»

فيرشدنا إلى مكانة سامية لأبي الفضل تصعد به إلى فوق مرتبة العصمة فإننا لم نجد مثل هذا الخطاب في أي واحد من الشهداء مع بلوغهم أعلى مرتبة الفضل التي لم يحزها أي شهيد غيرهم حتى استحقوا أن يخاطبهم الإمام في زيارة النصف من رجب بقوله (السلام عليكم يا مهديون السلام عليكم يا طاهرون من الدنس) ويقول أيضاً (طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم).

بل لم يخاطب بمثل ذلك علياً الأكبر الذي لا شك في عصمته ومنه يظهر أن للعباس منزلة ومقاماً يشارف مقام الحجج المعصومين عليهم السلام تناط به حرمة الإسلام كما تناط بهم صلوات الله عليهم وأنها تنهتكم بمثله كما تنهتكم بمثلهم عليهم السلام وهذا مقام فوق العصمة المرجوة له .

١٩٨ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

العباس في نظر الأئمة

إنني لا أحسب القارئ في حاجة إلى الإفاضة في هذه الغاية بعدما أوقفناه على مكانة أبي الفضل عليه السلام من العلم والتقوى والملكات الفاضلة من إباء وشمم وتضحية في سبيل الهدى وتهالك في العبادة فإن أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام يقدرون لمن هو دونه في تلكم الأحوال فضله فكيف به وهو من لحمتهم وفرع أرومتهم وغصن باسق من دوحتهم وقد أثبت له الإمام السجاد منزلة كبرى لم ينلها غيره من الشهداء ساوى بها عمه الطيار فقال عليه السلام :

رحم الله عمي العباس بن علي فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة^(١).

(١) الخصال: ج ١، ص ٣٥، في باب الاثنين.

٢٠٠ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ولفظ الجميع يشمل مثل حمزة وجعفر الشاهدين للأنبياء
بالتبليغ وأداء الرسالة وقد نفى البعد عنه العلامة المحقق المتبحر
في الكبريت الأحمر، ص ٤٧، ج ٣.

ولعل ما جاء في زيارة الشهداء يشهد له (السلام عليكم أيها
الربانيون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع وأنصار وأنتم سادة الشهداء
في الدنيا والآخرة)^(١).

وكذلك قوله عليه السلام فيهم إنهم لم يسبقهم سابق ولا يلحقهم
لاحق^(٢).

فقد أثبت لهم السيادة على جميع الشهداء وأنهم لم يسبقهم ولا
يلحقهم أي أحد وأبو الفضل في جملتهم بهذا التفضيل وقد انفرد
عنهم بما أثبت له الإمام السجاد من المنزلة التي لم تكن لأي شهيد.

ولهذه الغايات الثمينة والمراتب العليا كان أهل البيت عليهم السلام
يدخلونه في أعالي أمورهم ما لا يتدخل فيه إنسان عادي فمن
ذلك مشاطرته الحسين في غسل الحسن^(٣).

وأنت بعدما علمت مرتبة الإمامة ومواقف صاحبها من العظمة
وأنه لا يلي أمره إلا إمام مثله فلا ندحة لك إلا الإيمان بأن من له

(١) مزار البحار: ص ١٤٩، من كامل الزيارة.

(٢) المنتخب للطريحي.

(٣) ذخائر العقبى: ص ١٤١.

أي تدخل في ذلك بالخدمة من جلب الماء وما يقتضيه الحال أعظم رجل في العالم بعد أئمة الدين فإن جثمان المعصوم عند سيره إلى المبدأ الأعلى تقدست أسماؤه لا يمكن أن يقرب أو ينظر إليه من تقاعس عن تلك المرتبة إذ هو مقام قاب قوسين أو أدنى ذلك الذي لم يطق الروح الأمين أن يصل إليه حتى تقهقر وغاب النبي الأقدس في سبحات الملكوت والجلال وحده إلى أن وقف الموقف الرهيب .

وهكذا خلفاء النبي ﷺ المشاركون له في المآثر كلها ما خلا النبوة والأزواج^(١) ومنه حال انقطاعهم عن عالم الوجود بانتهاء أمد الفيض المقدس .

ومما يشهد له أن الفضل بن العباس بن عبد المطلب كان يحمل الماء عند تغسيل النبي ﷺ معاوفاً لأمير المؤمنين ﷺ على غسله ولكنه عصب عينيه خشية العمى إن وقع نظره على ذلك الجسد الطاهر .

ومثله ما جاء في الأثر عن الإشراف على ضريح رسول الله حذراً أن يرى الناظر شيئاً فيعمى^(٢) وقد اشتهر ذلك بين أهل

(١) في الحديث عن الصادق ﷺ إنا ورثنا رسول الله فما كان له كان لنا إلا النبوة والأزواج .

(٢) مرآة العقول: ج ١، ص ٣٧٣ .

٢٠٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المدينة فكان إذا سقط في الضريح شيء أنزلوا صبياً وشدوا عينيه بعصابة فيخرجه .

وهذه أسرار لا تصل إليها أفكار البشر وليس لنا إلا التسليم على الجملة ولا سبيل لنا إلى الإنكار بمجرد بعدنا عن إدراك مثلها خصوصاً بعد استفاضة النقل في أن للنبي والأئمة بعد وفاتهم أحوالاً غريبة ليس لسائر الخلق معهم شركة فيها كحرمة لحومهم على الأرض وصعود أجسادهم إلى السماء ورؤية بعضهم بعضاً وإحيائهم الأموات منهم بالأجساد الأصلية عند الاقتضاء إذ لا يمنع العقل منه مع دلالة النقل الكثير عليه واعتراف الأصحاب به^(١) .

(١) قال الشيخ المفيد في المقالات إن الأئمة يسمعون كلام المناجي لهم عند مراقدهم المعظمة ولا تخفى عليهم أحوال شيعتهم في دار الدنيا إعلاماً من الله لهم حالاً بعد حال .

ووافقه عليه الكراجكي في كنز الفوائد والمجلسي في مرآة العقول ج ١ ، ص ٣٧٣ ، والشيخ كاشف الغطاء ص ٥١ ، في رسالته منهج الرشاد وفي دار السلام ، ج ١ ، ص ٢٨٩ ، أن لحومهم محرمة على الأرض وأنها ترتفع إلى السماء بعد ثلاثة أيام وحكى عن الشيخ الأعظم قدوة السالكين المولى فتح علي بن المولى حسن السلطان آبادي أنه لما زار أمير المؤمنين عليه السلام ورجع إلى مشهد الحسين أسف على عدم مذاكرته مع علماء النجف في مسألة بقاء جسد الإمام طرياً أو أنه يبلى فرأى في المنام أنه داخل إلى الروضة فرأى جسداً موضوعاً على الحصير والدم يجري من أعضائه فسأل عنه =

العباس في نظر الأئمة ٢٠٣

فيصار التحصيل أن الحواس الظاهرة العادية لا تتحمل مسّ تلك الأمثلة القدسية وهي في حال صعودها إلى سبحات القدس إلا نفوس المعصومين بعضها مع بعض دون غيرهم مهما بلغ من الخشوع والطاعة.

لكن (عباس المعرفة) الذي منحه الإمام في الزيارة أسمى صفة حظي بها الأنبياء والمقربون وهي (العبد الصالح) تسنى له التوصل إلى ذلك المحل الأقدس من دون أن يذكر له تعصيب عين أو إغضاء طرف فشارك السبط الشهيد والرسول الأعظم ووصيه المقدم مع الروح الأمين وجملة الملائكة في غسل الإمام المجتبي الحسن السبط صلوات الله عليهم أجمعين^(١).

وهذه هي المنزلة الكبرى التي لا يحظى بها إلا ذوو النفوس القدسية من الحجج المعصومين ولا غرو أن غبط أبا الفضل الصديقون والشهداء والصالحون.

= قيل إنه جسد الحسين أما علمت أن أجسادهم لا تبلى .
(١) روى الصفار في بصائر الدرجات عن الباقر عليه السلام أن أمير المؤمنين شاهد جبرئيل والملائكة يعينونه على غسل النبي وتكفينه وحفر القبر ونزولهم معه في القبر وكذا شاهدهم مع النبي عليه السلام الحسن والحسين يعينونهما على غسل أمير المؤمنين وتكفينه وشاهدهم الحسين مع النبي وأمير المؤمنين يعينونه على غسل الحسن وشاهدهم الباقر مع النبي وأمير المؤمنين والحسن والحسين يعينونه على غسل أبيه السجاد.

٢٠٤ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وإذا قرأنا قول الحسين للعباس لما زحف القوم على مخيمه
عشية التاسع من المحرم «اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم
وتسألهم عما جاء بهم فاستقبلهم العباس في عشرين فارساً فيهم
حبيب وزهير وسألهم عن ذلك فقالوا إن الأمير يأمر إما النزول
على حكمه أو المنازلة فأخبر الحسين فأرجعه ليرجئهم إلى
غد^(١) .

فإنك ترى الفكر يسف عن مدى هذه الكلمة وأنى له أن يحلق
إلى ذروة الحقيقة من ذات مطهرة تفتدى بنفس الإمام علة
الكائنات وهو الصادر الأول والممكن الأشرف والفيض الأقدس
للممكنات (وبكم فتح الله وبكم يختم)^(٢) .

نعم عرفها البصير الناقد بعد أن جربها بمحك النزاهة فوجدها
غير مشوبة بغير جنسها ثم أطلق تلك الكلمة الذهبية الثمينة (ولا
يعرف الفضل إلا أهله).

ولا يذهب بك الظن أيها القارئ الفطن إلى عدم الأهمية في
هذه الكلمة بعد القول في زيارة الشهداء من زيارة وارث «بأبي
أنتم وأمي طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم» فإن الإمام في
هذه الزيارة لم يكن هو المخاطب لهم وإنما هو عليه السلام في مقام

(١) الطبري: ج ٦، ص ٢٣٧ .

(٢) الزيارة الجامعة .

تعليم صفوان الجمال عند زيارتهم أن يخاطبهم بذلك الخطاب فإن الرواية جاءت كما في مصباح المتعجب للشيخ الطوسي أن صفوان قال استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة الحسين وسألته أن يعرّفني ما أعمل عليه فقال له يا صفوان صم قبل خروجك ثلاثة أيام إلى أن قال ثم إذا أتيت الحائر فقل الله أكبر كبيراً ثم ساق الزيارة إلى أن قال ثم اخرج من الباب الذي يلي رجلي علي بن الحسين وتوجه إلى الشهداء وقل السلام عليكم يا أولياء الله إلى آخرها فالصادق في مقام تعليم صفوان أن يقول في السلام على الشهداء ذلك وليس في الرواية ما يدل على أن الصادق ماذا يقول لو أراد السلام عليهم .

وهنا ظاهرة أخرى دلت على منزلة كبرى للعباس عند سيد الشهداء ذلك أن الإمام الشهيد لما اجتمع بعمر بن سعد ليلاً وسط العسكرين لإرشاده إلى سبيل الحق وتعريفه طغيان ابن ميسون وتذكيره بقول الرسول في حقه أمر عليه السلام من كان معه بالتنحي إلا العباس وابنه علياً وهكذا صنع ابن سعد فبقي معه ابنه وغلّامه .

وأنت تعلم أن ميزة أبي الفضل على الصحب الأكارم وسروات المجد من آل الرسول الذين شهد لهم الحسين باليقين والصدق في النية والوفاء غير أنه عليه السلام أراد أن يوعز إلى الملاء من بعده ما لأبي الفضل وعلي الأكبر من الصفات التي لا تحدها العقول .

٢٠٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ومن هذا الباب لما خطب يوم العاشر وعلا صراخ النساء وعويل الأطفال حتى كان بمسامع الحسين وهو ماثل أمام العسكر أمر أخاه العباس أن يسكتهن حذار شماتة القوم إذا سمعوا ذلك العويل وغيره على نواميس حرم النبوة أن يسمع أصواتهن الأجنب.

ولو رمت تحليلاً لتأخر شهادة العباس عن جميع الشهداء وهو حامل تلك النفس النزاعة إلى المفاداة والتهلكتة دون الدين فلا يمكنه حينئذ التأخر أنا ما فكيف بطيلة تلك المدة وبمرأى منه مصارع آل الله ونشيج الفواطم وإقبال الشر من جميع نواحيه واضطهاد حجة الوقت بما يراه من المناظر الشجيّة والواحد من تلك لا يترك (لحامل اللواء) مساغاً عن تأخير الترات أنا ما.

لكن أهمية موقفه عند أخيه السبط هو الذي أرجأه عن الإقدام فإن سيد الشهداء يعد بقاءه من ذخائر الإمامة وإن موته تفت في العضد فيقول له (إذا مضيت تفرق عسكري) حتى إنه في الساعة الأخيرة لم يأذن له إلا بعد أخذ وردّ.

وإن حديث (الإيقاد) لسيدنا المتتبع الحجة السيد محمد علي الشاه عبد العظيم قدس سره يوقفنا على مرتبة تضاهي مرتبة المعصومين ذلك أنه لما حضر السجاد عليه السلام لدفن الأجساد الطاهرة ترك المجال لبني أسد في نقل الجثث الزواكي إلى محلها الأخير

عدا جسد الحسين وجثة عمه العباس فتولى وحده إنزالهما إلى مقرهما أو إصعادهما إلى حظيرة القدس وقال (إن معي من يعينني) أما الإمام فالأمر فيه واضح لأنه لا يلي أمره إلا إمام مثله ولكن الأمر الذي لا نكاد نصل إلى حقيقته وكنهه فعله بعمه الصديق الشهيد مثل ما فعل بأبيه الوصي وليس ذلك إلا لأن ذلك الهيكل المطهر لا يمسه إلا ذوات طاهرة في ساعة هي أقرب حالاته إلى المولى سبحانه ولا يدنو منه من ليس من أهل ذلك المحل الأرفع.

ولم تزل هذه العظمة محفوظة له عند أهل البيت دنيماً وآخرة حتى إن الصديقة (الزهراء) لا تبتدئ بالشكاية بأي ظلامه من ظلمات آل محمد وهي لا تحصى إلا بكفّي أبي الفضل المقطوعتين كما في الأسرار ص ٣٢٥، وجواهر الإيقان ص ١٩٤، وقد ادخرتهما من أهم أسباب الشفاعة يوم يقوم الناس لرب العالمين.

٢٠٨العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

العصمة

إن من الممكن جداً وليس بمحال على الله تعالى أن ينشئ
 كياناً لا تقترب منه العيوب أو يخلق إنساناً لا يقترف الذنوب ولقد
 أوجد جل شأنه ذواتاً مقدسة ونفوساً طاهرة وجبت فيهم العصمة
 من الآثام وتنزهوا عن كل رجس ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
 الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وقد اتفق أرباب الحديث والتراجم على حصر هؤلاء
 المنزهين بالخمسة أصحاب الكساء وهم محمد وعلي وفاطمة
 والحسن والحسين .

نعم أثبت أصحاب السيرة ما يضحك الشكلى ويلحق
 بالخرافات (فكان للغير مجال الطعن والمناقشة ذكروا أن
 النبي ﷺ لما بلغ من العمر سنتين وكان خلف البيوت عند بني
 سعد مع أتراب له أتاه رجلان عليهما ثياب بيض مع أحدهما
 طست من ذهب مملوء ثلجاً فشقا بطنه وقلبه واستخرجا منه علقه
 سوداء هي مغمز الشيطان .

٢١٠العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وطربوا لذلك حيث إن الله بلطفه وكرمه قدس نبيه الكريم من هذه العلقه ولكن ما أدري لماذا صنع به هذه العملية الدامية وهو طفل صغير لا يقوى على تحمل الآلام ومعاناة الجروح الدامية ألم يكن في وسع القدرة الإلهية إيجاد ذات مقدسة طاهرة من الأرجاس حتى عن هذه العلقه المفسرة بمغمز الشيطان كيف لا وقد خلقه الله من نور قدسه وبرأه من جلال عظمته واصطفاه من بين رسله وفضّله على العالمين وفي الحديث عنه عليه السلام إن الله خلقني من صفوة نوره ودعاني فأطعته وحينئذ فهل يتصور نقص في النور الأقدس تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

تلك نفس عزت على الله قدراً فارتضاها لنفسه واصطفهاها حاز من جوهر التقديس ذاتاً تاهت الأنبياء في معناها لا تجل في صفات أحمد فكراً فهي الصورة التي لن تراها

وأغرب من ذلك جواب السبكي عن هذه المشكلة بأن الله أراد أن يخلق نبيه أولاً كاملاً لا نقصان فيه عن سائر الناس حتى في مثل هذه العلقه لكونها من الأجزاء ثم بعد ذلك طهره منها .

والعجب عد هذه العلقه من أجزاء بدن الإنسان التي يوجب فقدها نقصان الخلقة وقد تنزه عنها جلال النبوة .

على أنه أثبت ولادة النبي مختوناً وهذا أظهر في النقصان عما وجد عليه البشر من العلقه لكونها غير مرئية وجواب الحلبي في

السيرة، ج ١، ص ١١٥، بأنه إنما ولد مختوناً لئلا يطلع عليه المحرم وتكشف عورته لا يرفع إشكال النقصان عما عليه الناس.

وكيف كان فقد ثبت إمكان أن يخلق الله تعالى ذواتاً مقدسة منزهة عن الأرجاس معصومة عن الخطل وقد يجب ذلك كما في الهداة المعصومين لكي يهدي بهم الناس وأما في غيرهم من الأطهار فلا يجب ولكنه غير ممتنع فمن الممكن أن يمنح الباري سبحانه أفضالاً من البشر فيكونوا قدوة لمن هم دونهم وتكون بهم الأسوة في عمل الصالحات وإن كان في مرتبة نازلة عن منزلة الأنبياء المعصومين فإنهم وإن بلغوا بسبب التفكير والذكر المتواصل والتصفية والرياضة إلى حيث لا يبارحون طريق الطاعة ولا يسلكون إلى المعصية طريقاً لكنهم في حاجة إلى من يسلك بهم السبيل الواضح ويميز لهم موارد الطاعة وموادها عن مساقط العصيان والتهلكة بخلاف الحجج المقيضين لإنقاذ البشر، المعنيين بالعصمة ههنا فمن كانت عصمته واجبة كما في المعصومين سميت عصمته استكفائية لأنه لا يحتاج في سلوكه إلى الغير لكونه في غنى عن أي حجة لتوفر ما أفيض عليهم من العلم والبصائر ومن لم تكن فيه العصمة واجبة وكان محتاجاً إلى غيره في سلوكه وطاعته سميت عصمته غير استكفائية على تفاوت في مراتبهم من حيث المعرفة والعلم واليقين.

وحيث ليس من البدع إذا قلنا إن (قمر بني هاشم) كان متحلياً

٢١٢ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

بهذه الحلية بعد أن يكون مصاغاً من نور القداسة الذي لا يمازجه أي شين وعلى هذا كان معتقد شيخ الطائفة وإمامها الحجة الشيخ محمد طه نجف قدس سره فإنه قال بترجمة العباس من كتاب (اتقان المقال) ص ٧٥: (هو أجلّ من أن يذكر في المقام بل المناسب أن يذكر عند ذكر أهل بيته المعصومين عليه وعليهم أفضل التحية والسلام).

فتراه لم يقل عند ذكر رجالات أهل بيته الأعظم بل أثبت المعصومين منهم وما سرّ هذا العدول إلا لأنه يرتئي أن يجعله في صفهم ويعده منهم.

وتابعه على ذلك العلامة ميرزا محمد علي الأوردبادي فقال من قصيدته المتقدمة في ص ١٧٧:

أجل عباس الكتاب والهدى والعلم والدين وأصحاب العبا
عن أن يطيش سهمه فينثني والإثم قد أثقل منه منكبا
لم نشترط في ابن النبي عصمة ولا نقول إنه قد أذنبنا
ولا أقول غير ما قال به (طه الإمام) في الرجال النجبا
فالفعل منه حجة كقوله في الكل يروي عن ذويه النُّقبا

وهذه النظرية في أبي الفضل لم ينكرها عالم من علماء الشيعة نعرفه بالثقافة العلمية والتقدم بالأفكار الناضجة وقد استضأنا من أرجوزة آية الله الحجة الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمته الله التي

ستقرأها في فصل المديح حقائق راهنة وكرائم نفيسة سمت بأبي الفضل إلى أوج العظمة وأخذت به إلى حظائر القدس وصعدت به إلى أعلا مرتبة من العصمة.

ومما يزيدنا بصيرة في عصمته ما ذكرناه سابقاً في شرح قول الصادق «لعن أمة استحلّت منك المحارم وانتهكت في قتلك حرمة الإسلام».

فإن حرمة الإسلام لا تنتهك بقتل أي مسلم مهما كان عظيماً ومهما كان أثره في الإسلام مشكوراً إلا أن يكون هو الإمام المعصوم فلو لم يبلغ العباس المراتب المساوية في العلم والعمل لمقام أهل البيت لما استحق هذا الخطاب وهذا معنى العصمة نعم هي غير واجبة ومما يستأنس منه العصمة له ما تقدم من قول السجاد:

«وإن لعمي العباس منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة».

ويدخل في عموم لفظ الشهداء صريحة بيت الوحي «أبو الحسن علي الأكبر» الذي أفضنا القول في عصمته وإذا كان العباس غير معصوم كيف يغبطه المعصوم على ما أعطي من رفعة ومقام عالٍ لأن المعصوم لا يغبط غيره فلا بد أن للعباس أعلى مرتبة من العصمة كما عرفت ومن هنا غبط منزلته التي أعدت له

٢١٤.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

جميع الشهداء حتى من كان معصوماً كعلي الأكبر وأمثاله غير
الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين.

الكرامات

من سنن الله الجارية في أوليائه ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾
 إكرامهم بإظهار ما لهم من الكرامة عليه والزلفى منه وذلك غير ما
 ادخره لهم من المثوبات الجزيلة في الآجلة تقديراً لعملهم
 وإصحاراً بحقيقة أمرهم ومبلغ نفوسهم من القوة وحثاً للملأ على
 اقتفاء آثارهم في الطاعة ومهما كان العبد يخفي الصالحات من
 أعماله فالمولى سبحانه يراغم ذلك الإخفاء بإشهار فضله كما
 يقتضيه لطفه الشامل ورحمته الواسعة وبره المتواصل وأنه جلّت
 آلاؤه يظهر الجميل من أفعال العباد ويزوي القبيح رأفة منه بهم
 وحناناً عليهم.

ومن هذا الباب ما نجده على مشاهد المقربين وقباب
 المستشهدين في سبيل طاعته من آثار العظمة وآيات الجلالة من
 إنجاح المتوسل بهم إليه تعالى شأنه وإجابة الدعوات تحت قبابهم
 المقدسة وإزالة المثلات ببركاتهم وتتأكد الحالة إذا كان المشهد
 لأحد رجالات البيت النبوي لأنه جلّت حكمته ذراً العالمين

٢١٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

لأجلهم ولأن يعرفوا مكانتهم فيحتذوا بمثالهم في الأحكام والأخلاق فكان من المحتم في باب لطفه وكرمه (عظمت نعمته) أن يصحح الناس بفضلهم الظاهر.

ومن سادات ذلك البيت الطاهر الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه أبو الفضل العباس فإنه في الطليعة من أولئك السادات وقد بذل في الله ما عزّ لديه وهان حتى اتصلت النوبة إلى نفسه الكريمة التي لفظها نصب عينه (عز ذكره) فأجرى سنته الجارية في الصديقين فيه بأجلى مظاهرها ولذلك تجد مشهده المقدس في آناء الليل وأطراف النهار مزدلف أرباب الحوائج من عافٍ يستمنحه برّه إلى عانٍ يتطلب عافيته إلى مضطهد يتحرى كشف ما به من غم إلى خائف ينضوي إلى حمى أمنه إلى أنواع من أهل المقاصد المتنوعة فينكفى ثلج الفؤاد بنجح طلبته قرير العين بكفاية أمره إلى متنجز بإعطاء سؤله كل هذا ليس على الله بعزيز ولا من المقربين من عباده ببعيد.

ولكثرة كراماته وآيات مرقدته التي لا يأتي عليها الحصر نذكر بعضاً منها تيمناً ولئلا يخلو الكتاب منها وتعريفاً للقراء بما جاد به قطب السخاء على من لا ذبه واستجار بتربته.

الأولى ما يحدث به الشيخ الجليل العلامة المتبحر الشيخ عبد الرحيم التستري المتوفى سنة ١٣١٣ هـ من تلامذة الشيخ

الأنصاري أعلى الله مقامه قال زرت الإمام الشهيد أبا عبد الله الحسين، ثم قصدت أبا الفضل العباس وبيننا أنا في الحرم الأقدس إذ رأيت زائراً من الأعراب ومعه غلام مشلول وربطه بالشباك وتوسل به وتضرع وإذا الغلام قد نهض وليس به علة وهو يصيح شافاني العباس فاجتمع الناس عليه وخرقوا ثيابه للتبرك بها فلما أبصرت هذا بعيني تقدمت نحو الشباك وعاتبته عتاباً مقذعاً وقلت يغتم المعيدي الجاهل منك المنى وينكفي مسروراً وأنا مع ما أحمله من العلم والمعرفة فيك والتأدب في المثل أمامك أرجع خائباً لا تقضى حاجتي فلا أزورك بعد هذا أبداً ثم راجعتني نفسي وتنبهت لجافي عتبي فاستغفرت ربي سبحانه مما أسأت مع (عباس اليقين والهداية) ولما عدت إلى النجف الأشرف أتاني الشيخ المرتضى الأنصاري قدس الله روحه الزاكية وأخرج صرتين وقال هذا ما طلبته من أبي الفضل العباس اشترِ داراً وحج البيت الحرام ولأجلهما كان توسلي بأبي الفضل^(١).

وما عجبت من أبي الفضل كما عجبت من أستاذك إذ علما
لأن شبل المرتضى لم يغرب إذا أتى بمعجز أو معجب
بكل يوم بل بكل ساعه لمن أتاه قاصداً رباعه

(١) طبعت هذه الكرامة مع صلاة الشيخ الأنصاري وذكرها في الكبريت الأحمر، ج ٣، ص ٥٠، قال وذكرها عنه جماعة من أكابر العلماء والثقات المتدينين.

٢١٨ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وهو من الشيخ عجيب بين لكن نور الله يرنو المؤمن^(١)
الثانية ما في أسرار الشهادة ص ٣٢٥، قال حدثني السيد
الأجل العلامة الخبير السيد أحمد ابن الحجة المتتبع السيد نصر
الله المدرس الحائري قال بينا أنا في جمع من الخدام في صحن
أبي الفضل إذ رأينا رجلاً خارجاً من الحرم مسرعاً واضعاً يده
على أصل خنصره والدم يسيل منها فأوقفناه نتعرف خبره فأعلمنا
بأن العباس قطعها فرجعنا إلى الحرم فإذا الخنصر معلق بالشباك
ولم يقطر منه دم كأنه قطع من ميت ومات الرجل من الغد وذلك
لصدور إهانة منه في الحرم المقدس.

الثالثة ما حدثني به العلامة البارع الشيخ حسن دخيل حفظه
الله عما شاهده بنفسه في حرم أبي الفضل عليه السلام قال: زرت
الحسين في غير أيام الزيارة وذلك في أواخر أيام الدولة العثمانية
في العراق في فصل الصيف وبعد أن فرغت من زيارة الحسين
توجهت إلى زيارة العباس عليه السلام قرب الزوال فلم أجد في الصحن
الشريف والحرم المطهر أحداً لحرارة الهواء غير رجل من الخدمة
واقف عند الباب الأول يقدر عمره بالسنتين سنة كأنه مراقب
للحرم وبعد أن زرت صليت الظهر والعصر ثم جلست عند الرأس
المقدس مفكراً في الأبهة والعظمة التي نالها قمر بني هاشم عن

(١) للعلامة الشيخ محمد السماوي.

تلك التضحية الشريفة وبيننا أنا في هذا إذ رأيت امرأة محجبة من القرن إلى القدم عليها آثار الجلالة وخلفها غلام يقدر عمره بالسته عشر سنة بزي أشرف الأكراد جميل الصورة فطافت بالقبر والولد تابع ثم دخل بعدهما رجل طويل القامة أبيض اللون مشرباً بحمرة ذو لحية شعرها أشقر يخالطه شعرات بيض جميل البزة كردي اللباس والزي فلم يأت بما تصنعه الشيعة من الزيارة أو السنة من الفاتحة فاستدبر القبر المطهر وأخذ ينظر إلى السيوف والخناجر والدرق المعلقة في الحضرة غير مكترث بعظمة صاحب الحرم المنيع فتعجبت منه أشد العجب ولم أعرف الملة التي ينتحلها غير أنني اعتقدت أنه من متعلقي المرأة والولد وظهر لي من المرأة عند وصولها في الطواف إلى جهة الرأس الشريف التعجب مما عليه الرجل من الغواية ومن صبر أبي الفضل عليه السلام عنه فما رأيت إلا ذلك الرجل الطويل القامة قد ارتفع عن الأرض ولم أر من رفعه وضرب به الشباك المطهر وأخذ ينبح ويدور حول القبر وهو يقفز فلا هو بملتصق بالقبر ولا بمبتعد عنه كأنه متكهرب به وقد تشنجت أصابع يديه واحمر وجهه حمرة شديدة ثم صار أزرقاً وكانت عنده ساعة علقها برقبته بزنجيل فضة فكلما يقفز تضرب بالقبر حتى تكسرت وحيث إنه أخرج يده من عباءته لم تسقط إلى الأرض نعم سقط الطرف الآخر إلى الأرض وبتلك القفزات تخرقت .

٢٢٠العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

أما المرأة فحينما شاهدت هذه الكرامة من أبي الفضل قبضت على الولد وأسندت ظهرها إلى الجدار وهي تتوسل به بهذه اللهجة (أبو الفضل دخيلك أنا وولدي).

فأدهشني هذا الحال وبقيت واقفاً لا أدري ما أصنع والرجل قوي البدن وليس في الحرم أحد يقبض عليه فدار حول القبر مرتين وهو ينبح ويقفز فرأيت ذلك السيد الخادم الذي كان واقفاً عند الباب الأول دخل الروضة الشريفة فشاهد الحال فرجع وسمعه ينادي رجلاً اسمه جعفر من السادة الخدام في الروضة فجاء معاً فقال السيد الكبير لجعفر اقبض على الطرف الآخر من الحزام وكان طول الحزام يبلغ ثلاثة أذرع فوقفا عند القبر حتى إذا وصل إليهما وضع الحزام في عنقه وأداراه عليه فوقف طيعاً لكنه ينبح فأخرجاه من حرم العباس وقالاً للمرأة اتبعينا إلى (مشهد الحسين) فخرجوا جميعاً وأنا معهم ولم يكن أحد في الصحن الشريف فلما صرنا في السوق بين (الحرمين) تبعنا الواحد والاثنان من الناس لأن الرجل كان على حالته من النبح والاضطراب مكشوف الرأس ثم تكاثر الناس.

فأدخلوه (المشهد الحسيني) وربطوه بشباك (علي الأكبر) فهدأت حالته ونام وقد عرق عرقاً شديداً فما مضى إلا ربع ساعة وإذا به قد انتبه مرعوباً وهو يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

خليفة رسول الله بلا فصل وأن الخليفة من بعده ولده الحسن ثم أخوه الحسين ثم علي بن الحسين وعد الأئمة إلى الحجة المهدي عجل الله فرجه .

فسُئِلَ عن ذلك قال إني رأيت رسول الله الآن وهو يقول لي اعترف بهؤلاء وعدَّهم عليّ وإن لم تفعل يهلكك العباس فأنا أشهد بهم وأتبرأ من غيرهم .

ثم سُئِلَ عما شاهده هناك فقال بينا أنا في حرم العباس إذ رأيت رجلاً طويلاً القامة قبض عليّ وقال لي يا كلب إلى الآن بعدك على الضلال ثم ضرب بي القبر ولم يزل يضربني بالعصا في قفائي وأنا أفر منه .

ثم سئلت المرأة عن قصة الرجل فقالت إنها شيعية من أهل بغداد والرجل سني من أهل السليمانية ساكن في بغداد متدين بمذهبه لا يعمل الفسوق والمعاصي يحب الخصال الحميدة ويتنزه عن الذميمة وهو بندرجي تنن وللمرأة أخوان حرفتهما بيع التنن ومعاملتهما مع الرجل فبلغ دينه عليهما مائتا (ليرة عثمانية) فاستقر رأيهما على بيع الدار منه والمهاجرة من بغداد فأحضرهما في دارهما (ظهراً) وأطلعاه على رأيهما وعرفاه أنه لم يكن دين عليهما لغيره فعندها أبدى من الشهامة شيئاً عجيباً فأخرج الأوراق وخرقها ثم أحرقها وطمئنها على الإعانة مهما يحتاجان .

٢٢٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

فطارا فرحاً وأرادا مجازاته في الحال فذاكرا المرأة على التزويج منه فوجدا منها الرغبة فيه لوقوفها على هذا الفضل مع ما فيه من التمسك بالدين واجتناب الدنيا وقد طلب منهما مراراً اختيار المرأة الصالحة له فلما ذكرا له ذلك زاد سروره وانشرح صدره بحصول أمنيته فعقدا له على المرأة وتزوج منها .

ولما حصلت عنده طلبت منه زيارة الكاظميين إذ لم تزرهما مدة كونها بلا زوج فلم يجبهها مدعيّاً أنه من الخرافات ولما ظهر عليها الحمل سألته أن ينذر الزيارة إن رزق ولداً ففعل ولما جاءت بالولد طالبت بالزيارة فقال لا أفي بالنذر حتى يبلغ الولد فأيست المرأة ولما بلغ الولد السنة الخامسة عشرة طلب منها اختيار الزوجة فأبت ما دام لم يفِ بالنذر فعندها وافقها على الزيارة مكرهاً وطلبت من الجوادين الكرامة الباهرة ليعتقد بإمامتهما فلم تر منهما ما يسرها بل ساءها سخريته واستهزاؤه .

ثم ذهب الرجل بالمرأة والولد إلى العسكريين وتوسلت بهما وذكرت قصة الرجل فلم تشرق عليه أنوارهما وزادت السخرية منه .

ولما وصلا كربلا قالت المرأة نقدم زيارة العباس عليه السلام وإذا لم تظهر منه الكرامة وهو أبو الفضل وباب الحوائج لا أزور أخاه الشهيد ولا أباه أمير المؤمنين وأرجع إلى بغداد وقصت على أبي

الفضل قصة الرجل وعرفته حال الرجل وسخريته بالأئمة الطاهرين وأنها لا تزور أخاه ولا أباه إذا لم يتلطف عليه بالهداية وينقذه من الغواية فأنجح سؤلها وفاز الرجل بالسعادة.

الرابعة ما في كتاب (إعلام الناس في فضائل العباس) تأليف الزاكي التقي السيد سعيد بن الفاضل المهذب الخطيب السيد ابراهيم^(١) البهبهاني قال تزوجت في أوائل ذي القعدة سنة ١٣٥١ هـ وبعد أن مضى أسبوع من أيام الزواج أصابني زكام صاحبه حمى وباشرني أطباء النجف فلم أنتفع بذلك والمرض يتزايد ومن جملة الأطباء الطبيب المركزي (محمد زكي أباطة) وفي أول جماد الأول من سنة ١٣٥٣ هـ خرجت إلى «الكوفة» وبقيت إلى رجب فلم تنقطع الحمى وقد استولى الضعف على

(١) هو ابن السيد محمد بن السيد جعفر بن سيد محمد بن سيد هاشم بن سيد محمد بن سيد عبدالله بن سيد محمد الكبير بن سيد عبدالله البلادي بن سيد علوي عتيق الحسين بن سيد حسين الغريفي بن سيد حسن بن سيد أحمد بن سيد عبدالله بن سيد عيسى بن سيد خميس بن سيد أحمد بن سيد ناصر بن سيد علي بن كمال الدين بن سيد سلمان بن سيد جعفر بن أبي العشا موسى بن أبي الحمراء محمد بن علي الطاهر بن علي الضخم بن أبي علي محمد الحسن بن محمد الحائري بن ابراهيم المجاب بن محمد العابد ابن الإمام الكاظم عليه السلام ولهذه الكرامة كتب السيد سعيد كتاباً في أحوال العباس يزيد على أربعمئة صفحة أجهد نفسه وسهر الليالي في جمعه وتبويبه جزاه الله خير الجزاء.

٢٢٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

بدني حتى لم أقدر على القيام ثم رجعت إلى النجف وبقيت إلى
ذي القعدة من هذه السنة بلا مراجعة طبيب لعجزهم عن العلاج
وفي ذي الحجة من هذه السنة اجتمع الطبيب المركزي المذكور
مع الدكتور محمد تقي جهان وطبيبين آخرين جاؤوا من بغداد
وفحصوني فاتفقوا على عدم نفع كل دواء وحكموا بالموت إلى
شهر وفي محرم من سنة ١٣٥٤ خرج والدي إلى قرية «القاسم بن
الإمام الكاظم عليه السلام» للقراءة في المآتم التي تقام لسيد الشهداء
وكانت والدي تمرضني ودأبها البكاء ليلاً ونهاراً.

وفي الليلة السابعة من هذه السنة رأيت في النوم رجلاً مهيباً
وسيماً جميلاً أشبه الناس بالسيد الطاهر الزكي (السيد مهدي
الرشتي) فسألني عن والدي فأخبرته بخروجه إلى القاسم فقال إذن
من يقرأ في عادتنا يوم الخميس وكانت الليلة ليلة خميس ثم قال
إذن أنت تقرأ.

ثم خرج وعاد إلي وقال إن ولدي السيد سعيد^(١) مضى إلى

(١) ولد السيد مهدي الرشتي سنة ١٣٠٣ وتوفي في النجف يوم ١٤ رجب سنة
١٣٥٨ ودفن في الحجرة الملاصقة لباب الصحن المعروفة بباب القزازين
وكان السيد رحمه الله باذلاً نفسه ونفيسه في خدمة أجداده الأئمة
المعصومين وداره العامرة (حسينية) لأهل طرفه (البراق) يقيمون فيها
مراسيم العزاء والفرح للأئمة عليهم السلام لا يعدلون بها بدلاً وفقهم الله لما يرضيه
وأما ولده السيد سعيد فكانت ولادته في سنة ١٣٢٢ وتوفي في ذي القعدة =

كربلا يعقد مجلساً لذكر مصيبة أبي الفضل العباس وفاءً لنذر عليه فامضِ إلى كربلا واقراً مصيبة العباس وغاب عني .

فانتبهت من النوم ونظرت إلى والدتي عند رأسي تبكي ثم نمت ثانياً فأتاني السيد المذكور وهو يقول ألم أقل لك إن ولدي سعيد ذهب إلى كربلا وأنت تقرأ في مآتم أبي الفضل فأجبتة إلى ذلك فغاب عني فانتبهت .

وفي المرة الثالثة نمت فعاد إلي السيد المذكور وهو يقول بزجر وشدة ألم أقل لك امضِ إلى كربلا فما هذا التأخير فهبته في هذه المرة وانتبهت مرعوباً .

وقصصت الرؤيا من أولها على والدتي ففرحت وتفألّت بأن هذا السيد هو أبو الفضل وعند الصباح عزمت على الذهاب بي إلى حرم العباس ولكن كل من سمع بهذا لم يوافقها لما يراه من الضعف البالغ حده وعدم الاستطاعة على الجلوس حتى في السيارة وبقيت على هذا إلى اليوم الثاني عشر من المحرم فأصرت الوالدة على السفر إلى كربلا بكل صورة فأشار بعض الأرحام على أن يضعوني في تابوت ففعلوا ذلك ووصلت ذلك اليوم إلى القبر المقدس ونمت عند الضريح الطاهر .

= ١٥ سنة ١٣٥٥ هـ ودفن في الحجرة مع أبيه وقام السيد صالح مكان أبيه في إقامة الأفراح والمآتم فنعم الخلف لذلك السيد الطاهر .

٢٢٦العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وبينا أنا في حالة الإغماء في الليلة الثالثة عشرة من المحرم
إذ جاء ذلك السيد المذكور وقال لي لماذا تأخرت عن يوم السابع
وقد بقي سعيد بانتظارك وحيث لم تحضر يوم السابع فهذا يوم
دفن العباس وهو يوم ١٣ فقم واقراً ثم غاب عني وعاد إلي ثانياً
وأمرني بالقراءة وغاب عني وعاد في الثالثة ووضع يده على كتفي
الأيسر لأنني كنت مضطجعاً على الأيمن وهو يقول إلى متى النوم
قم واذكر (مصيبتي) فقامت وأنا مدهوش مذعور من هيبتة وأنواره
وسقطت لوجهي مغشياً علي وقد شاهد ذلك من كان حاضراً في
الحرم الأطهر.

وانتبهت من غشوتي وأنا أتصبب عرقاً والصحة ظاهرة علي
وكان ذلك في الساعة الخامسة من الليلة الثالثة عشرة من المحرم
سنة ١٣٥٤هـجـ.

فاجتمع علي من في الحرم الشريف وأقبل من في الصحن
والسوق وازدحم الناس في الحضرة المنورة وكثر التكبير والتهليل
وخرق الناس ثيابي وجاءت الشرطة فأخرجوني إلى البهو الذي
هو أمام الحرم فبقيت هناك إلى الصباح.

وعند الفجر تطهرت للصلاة وصليت في الحرم بتمام الصحة
والعافية ثم قرأت مصيبة أبي الفضل عليه السلام وابتدأت بقصيدة السيد
راضي بن السيد صالح القزويني وهي:

أبا الفضل يا من أسس الفضل والإبا أبا الفضل إلا أن تكون له أبا
والأمر الأعجب أني لما خرجت من الحرم قصدت داراً لبعض
أرحامنا بكر بلا وبعد أن قرأت مصيبة العباس خلوت بزوجتي
ووبركات أبي الفضل حملت ولداً سميته «فاضل» وهو حي يرزق كما
رزقت عبدالله وحسناً ومحمداً وفاطمة كنيته أم البنين .

هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها
وذكر أن السيد الطاهر الزاكي السيد مهدي الأعرجي وكان
خطيباً نائحاً له مدائح ومراثٍ لأهل البيت عليهم السلام كثيرة ورد النجف
يوم خروجي إلى كربلا فبات مفكراً في الأمر وكيف يكون الحال
وفي تلك الليلة الثالثة عشرة رأى في المنام كأنه في كربلا ودخل
حرم العباس فرأى الناس مجتمعين علي وأنا أقرأ مصيبة العباس
فارتجل في المنام:

لقد كنت بالسل المبرح داؤه فشافاني العباس من مرض السل
ففضلت بين الناس قدراً وإنما لي الفضل إذ إنني عتيق أبي الفضل
وانتبه السيد من النوم يحفظ البيتين فقصد دارنا وعرفهم بما
رآه وفي ذلك اليوم وضح لهم الأمر .

وقد نظم هذه الكرامة جماعة من الأدباء الذين رأوا السيد
سعيد في الحالين الصحة والمرض .

٢٢٨العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

فمنهم السيد الخطيب العالم السيد صالح الحلبي رحمته الله:

بأبي الفضل استجرنا فحبانا منه منحه
وطلبنا أن يداوي ألم القلب وجرحه
فكسى الله سعيداً بعد سقم ثوب صحه
بدل الرحمن منه قرحة القلب بفرحه

وقال الخطيب الفاضل الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي:

بأبي الفضل زال عني سقامي مذ كساني من الشفاء برودا
وحباني من السعادة حتى صرت في النشاطين أدهى سعيدا

وقال العلامة الشيخ علي الجشي أيده الله:

سعيد سعدت وجزت الخطر من السل في مثل لمح البصر
غداة التجأت لمثوى به أبو الفضل حل فرد القدر

وقال السيد حسون السيد راضي القزويني البغدادي:

سعيد لقد نال الشفا من أبي الفضل ولولاه كان السقم يؤذن بالقتل
ولا غرو أن نال الشفا منه إنه أبو الفضل أهل للمكارم والفضل

وله أيضاً:

ذا سعيد بالبرء أضحى سعيدا وحباه الإله عمراً جديدا
من أبي الفضل بالشفا نال فضلاً وامتناناً ونال عيشاً رغيدا

وللأديب الكامل السيد محمد بن العلامة السيد رضا

الهندي رَحِمَهُ اللهُ :

لم أنس فضلك يا أبا الفضل الذي هيهات أن يحصى ثناه مفضلاً
يكفيك يوم الطف موقفك الذي قد كان ألمع ما يكون وأفضلاً
ولقد نصرت به النبي بسبطه وغدوت في دنيا الشهادة أوّلاً
وأنا الذي قد كان دائي مهلكاً وأجرتني لما استجرت مؤملاً
ألبستني ثوب الشفاء وعدت حياً فيك يا ساقى عطاشى كربلاً

وللخطيب الذاكر الفاضل الشيخ عبد علي الشيخ حسين :

سعيد التجي من ضره وسقامه بقبر أبي الفضل المفدى فعافاه
لعمري ترى الأقدار طوع يمينه كوالده الكرار يمناه يمناه
فأب وابراهيم قرت عيونه ببراء سعيد الندب يشكر مولاه
سعيد سعيداً عش بظل لوائه بأسعد يوم لا تزال وأهنائه
بفضل أبي الفضل الفضيلة حزتها ولولاه لم تنجو من الضر لولاه

وللشيخ جعفر الطريفي :

عجز الطبيب لعلتي وقلاني وعجزت من سقمي وطول زماني
هجر الصديق زيارتي وكأنني ما زرته في سقمه فجفاني
حتى إذا قالوا فقلوا خفية هجروا الأواني خيفة العدوان
فقصدت باباً للحوائج والشفاء العباس باباً للشفاء فشفاني
لولاه وارانى التراب بحفرتي نعم الطبيب الأوحى الرباني

٢٣٠العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وللشيخ كاظم السوداني :

فكم لأبي الفضل الأبيّ كرامات لها تليت عند البرية آيات
وشاراته كالشمس في الأفق شوهدت لها من بنات المجد أومت إشارات
سعيد سعيداً عاد منها إلى الشفا به انسل عنه السل إذ كم به ماتوا
أبو الفضل كم فضل له ومناقب فيا جاحديه مثل برهانه هاتوا
هو الشبل شبل من علي وفي الوغى له أثر من بأسه وعلامات
لقد شعت الأكوان من بدر فضله بأنواره أرخ (وفيها مضيئات)

وللخطيب الشيخ حسن سبتي :

ألا عش سعيداً يا سعيد منعماً مدى الدهر إذ عوفيت من فتكة السل
عتيق حسين كان جدك أولاً لذا صرت ثانيه عتيق أبي الفضل

وللسيد نوري بن السيد صالح بن السيد عباس البغدادي :

بشرى لإبراهيم في نجله من مرض السل غدا سالما
أبرأه العباس من فضله وفضله بين الورى دائماً

(الخامسة) حدثني الشيخ العالم الثقة الثبت الشيخ حسن بن
العلامة الشيخ محسن بن العلامة الشيخ شريف آل الشيخ المقدس
صاحب الجواهر قدس سره عن حاج منيشد بن سلمان آل حاج
عبوده من أهل الفلاحية وكان ثقة في النقل عارفاً بصيراً شاهداً
الكرامة بنفسه قال كان رجل من عشيرة البراجعة يسمى (مخيلف)
مصاباً بمرض في رجله وطال ذلك حتى يبستا وصارتا في رفع

الإصبع وبقي على هذا ثلاث سنين وشاهده الكثير من أهل المحمّرة وكان يحضر الأسواق ومجالس عزاء الحسين عليه السلام ويستعين بالناس وهو يزحف على أليتيه ويديه وقد عجز عن المباشرة ويئس وكان للشيخ خزعل بن جابر الكعبي في المحمّرة (حسينية) يقيم فيها عزاء الحسين عليه السلام في العشرة الأولى من المحرم ويحضر هناك خلق كثير حتى النساء يجلسن في الطابق الأعلى من الحسينية والعادة المطردة في تلك البلاد ونواحيها أن (الخطيب النائح) إذا وصل في قراءته إلى الشهادة قام أهل المجلس يلطمون بلهجات مختلفة وهكذا النساء.

في اليوم السابع من المحرم كان المتعارف أن تذكر مصيبة أبي الفضل العباس وهذا الرجل أعني «مخيلف» يأتي الحسينية (ويجلس تحت المنبر لأن رجليه ممدودتان^(١)) وحينما وصل الخطيب إلى ذكر المصيبة أخذت الحالة المعتادة من في المجلس رجالاً ونساءً وبيناهم على هذا الحال إذ يرون ذلك المصاب بالزمانة في رجليه «مخيلف» واقفاً معهم يلطم ولهجته «أنا مخيلف قيمني العباس» وبعد أن تبين الناس هذه الفضيلة من أبي الفضل تهافتوا عليه وخرقوا ثيابه للتبرك بها وازدحموا عليه يقبلون رأسه

(١) هذه الجملة التي بين قوسين حدثني بها في دار الشيخ الجليل الشيخ حسن المذكور ملا عبد الكريم وقد شاهد الرجل بعينه ذلك اليوم.

٢٣٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ويديه فأمر الشيخ خزعل غلمانته أن يرفعوه إلى إحدى الغرف
ويمنعوا الناس عنه وصار ذلك اليوم في المحمرة أعظم من اليوم
العاشر من المحرم وصار البكاء والعيول والصراخ من الرجال
وأما النساء فمنهن من تهلهل وأخرى تصرخ وغيرها تلطم.

وذكر لي ملا عبد الكريم الخطيب من أهل المحمرة وكان
حاضراً وقت الحديث أن الشيخ خزعل في كل يوم يصنع طعاماً
لأهل المجلس في الظهر وفي ذلك اليوم تأخر الغداء إلى الساعة
التاسعة من النهار لبكاء الناس ووعويلهم.

قال العلامة الشيخ حسن المذكور ثم إنه سئل مخيلف عما
رآه وشاهده فقال بينا الناس يلطمون على العباس أخذتني سنة
وأنا تحت المنبر فرأيت رجلاً جميلاً طويلاً القامة على فرس
أبيض عالٍ في المجلس وهو يقول يا مخيلف لم لا تلطم على
العباس مع الناس فقلت له يا أغاتي لا أقدر وأنا بهذا الحال فقال
لي قم والطم على العباس قلت له يا مولاي أنا لا أقدر على
القيام فقال لي قم والطم قلت له يا مولاي أعطني يدك لأقوم
فقال «أنا ما عندي يدين» فقلت له كيف أقوم قال إلزم ركاب
الفرس وقم فقبضت على ركاب الفرس وأخرجني من تحت المنبر
وغاب عني وأنا في حالة الصحة وعاش سنتين أو أكثر ومات.

وحدثني المهذب الكامل ميرزا عباس الكرمانى أنه تعسرت

الكرامات ٢٣٣

عليه حاجة فقصد أبا الفضل واستجار بضريحه فما أسرع أن فتح له باب الرحمة وعاد بالمسرة بعد اليأس مدة طويلة فأنشأ:

أبا الفضل إني جئتك اليوم سائلاً لتيسير ما أرجو فأنت أخو الشبل
فلا غرو إن أسعفت مثلي بائساً لأنك للحاجات تدعى أبا الفضل

هذا ما أردنا إثباته من الكرامات وهو قطرة من بحر فإن الإتيان عليها كلها يحتاج إلى مجلد كبير لأن الله سبحانه منح (حامي الشريعة) جزيل الفضل وأجرى عليه من الفيض الأقدس ما لم يحوه بشر غير الأنبياء المقربين والأئمة المعصومين جزاءً لذلك الموقف الباهر الذي لم يزل يرن رجع صداه المؤلم في مسامع القرون والأجيال مذكراً بما أبداه أبو الفضل من إباء وشمم وكر وإقدام وتضحية دون الشرع القويم.

٢٣٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

اللواء

اللواء ما يعقد على رمح أو عصا ويقال له الراية كما يطلق عليهما العلم هذا عند أهل اللغة وعند المؤرخين أنهما شيان فذكروا أن الرسول الأعظم ﷺ عقد لحمزة بن عبد المطلب لواءً أبيض في رمضان أول الهجرة وفيه يقول حمزة:

فما برحوا حتى انتدبت لغارة لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل
بأمر رسول الله أول خافق عليه لواء لم يكن راح من قبل
لواء لديه النصر من ذي كرامة إله عزيز فضله أفضل الفعل
وأول راية عقدها للمسلمين في شوال من هذه السنة^(١).

والمعقود على رمح أو غيره إن كان واسعاً فهو الراية وإلا فاللواء، ويقال للعلم الكبير البند والعقاب وإن خص الثاني بما يعقد للولادة^(٢) والتسمية بالعقاب اقتبسها العرب من الروم فإن

(١) سيرة ابن هشام بهامش الروض الأنف: ج ٢، ص ٥٦.

(٢) تاج العروس، بمادة عقب.

٢٣٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

العقاب والنسر شارة الرومان يرسمونها على أعلامهم وينقشونها على أبنيتهم^(١).

وكانت أعلام الروم كباراً تحت كل علم عشرة آلاف أو أكثر^(٢).

وكانت راية كسرى يوم الجسر سنة ١٣ هـ من جلود النمر في عرض ثمانية أذرع وطول اثني عشر ذراعاً وهي المسماة «درفش كايان»^(٣).

وهذه الراية كانت محفوظة في خزائهم ولم تكن بهذه السعة وإنما زادوا عليها تبركاً والأصل فيها أن الضحاك بيوراسف خرجت في منكبها سلعتان فكان إذا اشتد عليه الألم طلاههما بدماع إنسان يذبحه فلاقى الناس منه عناءً ونكداً وجوراً فأخذ ابنين لرجل من أهل أصبهان اسمه «كابي» فشق عليه فدعا الناس للخروج على الضحاك وأخذ عصا وعلق عليها جراباً وتبعه الناس فتغلب على الضحاك وخلعوه عن الملك واستراحوا من جوره فعظموا ذلك العلم وتفاءلوا به وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم العلم الأكبر الذي يتبركون به وسمّوه «درفش كايان»^(٤).

(١) التمدن الإسلامي: ج ١، ص ١٦٥.

(٢) تاج العروس.

(٣) ابن الأثير: ج ١، ص ١٦٨.

(٤) الطبري: ج ١، ص ١٠٠ وابن الأثير، ج ١، ص ٢٦.

كما احتفظ الأمويون براية ابن زياد التي أخرجها يوم الطف ففي تاريخ (يزد) للآيتي ص ٧٢ أن أبا العلاء الطوفي كان هو وأبوه من عمال الأمويين طاف البلاد لأخذ البيعة لهم فلقب (بالطوفي) وكان معلماً لهشام بن عبد الملك فلما ولي هشام الملك أراد أن يكافئه على خدمته فبعثه عاملاً (على يزيد) ودفع إليه تلك الراية فسار أبو العلاء إلى (يزد) ونصب الراية في البستان المشهور باسمه ودعا أهل يزيد إلى بيعة الأمويين وكانوا على طريقة أهل البيت عليهم السلام وأخذهم على ذلك أخذاً شديداً وعاملهم بالقسوة والجور وبقوا يتقلبون على حسك الظلم إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني أيام مروان الحمار وتصرف في خراسان وفارس سنة ١٣٢ سنة ١٣٣ هـ فراسله اليزديون وطلبوا إنقاذهم من مخالاب الطوفي فبعث أبو مسلم محمداً الزمجي إلى أصفهان ويزد وبلغ الطوفي إقباله بجيش جرار وأن اليزديين معه فخرج ليلاً من يزيد إلى قرية «ابرنداباد» فبعث محمد الزمجي جماعة فقبضوا عليه وأتوا به إلى يزيد وتجمهر اليزديون رجالاً ونساءً عليه واستقر الرأي على إحراقه والراية معه ففعل بهما ذلك وانتهبوا القصر والبستان.

وإن المصادر التاريخية لم ترشدنا إلى أول من رفع اللواء ويقوى في الظن أن (كابي) المتقدم أول من اتخذه كما أن الخليل ابراهيم عليه السلام أول من اتخذ الرايات وذلك لما غلب الروم على

٢٣٨العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

لوط وأسروه رفع الخليل راية وسار لمحاربة الروم فغلبهم واسترجع لوطاً^(١).

ولما جاء الإسلام وانتشر العرب في أنحاء الشام وفارس ومصر وتعددت دولهم كثرت ضروب الألوية عندهم وتنوعت أشكالها وتعددت ألوانها وأطالوها وسموها بأسماء مختلفة حتى تفاخروا بتعدادها فقد بلغت رايات العزيز بالله الفاطمي لما خرج إلى فتح الشام خمسمائة راية ومثلها البوقات.

وكانوا ينقشون على راياتهم أسماء الخلفاء والسلاطين والقواد إرهاباً وإعزازاً وتفاؤلاً بالظفر فقد كتب ابن بجكم على رايته (الرائقي) نسبة إلى ابن رائق وربما كتبوا آيات القرآن عليها فقد وجد في دير الظاهر مدينة برغوس في الأندلس راية من الحرير الخالص مطرزة بالنقوش الجميلة وعليها آيات قرآنية^(٢).

(١) تهذيب الشيخ الطوسي في باب النوادر من كتاب الجهاد والمستدرك للنوري: ج ٢، ص ٢٦٦.

(٢) التمدن الإسلامي، ج ١، ص ١٦٦، وفي ص ١٦٨، ذكر اهتمام الفاطميين بالولاية والرايات والدرق فمن ذلك أنهم صنعوا بيتاً بمصر يقال له «خزانة البنود» اختزنوا فيها الأعلام والرايات والأسلحة والسروج واللجم المذهبة والمفضضة وكانوا ينفقون عليها في كل سنة ثمانين ألف دينار ولما احترقت الدار بما فيها قدرت الخسارة بثمانية ملايين دينار وكان في جملتها لواء يسمونه لواء الحمد.

وكتب أبو مسلم الخراساني بالحبر على لوائه :

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(١) ثم إنه عقد لواءً بعثه إليه ابراهيم الإمام اسمه «الظل» على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً وعقد آخر بعث به إليه اسمه «السحاب» على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً^(٢).

أما ألوان الألوية والرايات فلا يعرف عنها شيء في الجاهلية سوى راية العقاب فإنها سوداء وكذلك راية النبي ﷺ ويقال إن رايات العرب كانت بيضاء^(٣) أما رايات النبي ﷺ في مغازيه فمختلفة ففي بدر كانت راية حمزة حمراء وراية أمير المؤمنين صفراء ويوم أحد وخيبر اللواء والراية أبيضان^(٤) وفي عين الوردية الراية بلقاء^(٥).

وكانت أعلام بني أمية حُمراً وكل من دعا إلى الدولة العلوية فعلمه أبيض ومن دعا إلى الدولة العباسية فعلمه أسود ويقرب في الظن أن شعار العلويين الخضرة حتى في راياتهم فإن المأمون لما

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٧٣، ج ١، ص ١٦٦.

(٢) التمدن الإسلامي: ج ١، ص ١٦٦.

(٣) آثار الدول للقرماني.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٢٢.

(٥) طبري: ج ٧، ص ٧٩.

٢٤٠ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

عقد ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام ألزم الناس بالخضرة وترك شعار العباسيين .

نعم لما عقد المتوكل لبنيه البيعة عقد لكل واحد منهم لواءين أحدهما أسود وهو لواء العهد والآخر أبيض وهو لواء العمل^(١) .

وكيف كان فالراية عقد نظام العسكر وآية زحفهم فلا يخالون انجفلاً ما دامت تسري أمامهم فهي بتقدمها شارة الظفر وعلامة الفوز فلن تجد جحفاً مثلاً وفيلقاً ملتائاً إلا إذا انكفأت الراية أو أصيب حاملها فخرت ولذلك لا تعطى إلا للأكفاء الحماية الغيارى على المبدأ ممن لا يجبنه الخور أو يفشله الضعف أو يخذله الطمع .

وفي قول سيد الوصيين عليه السلام شاهد عدل على هذا فإنه كان يحرض الناس يوم صفين ويقول «ولا تميلوا براياتكم ولا تزيلوا ولا تجعلوها إلا مع شجعانكم فإن المانع للذمار والصابر عند نزول الحقائق أهل الحفاظ واعلموا أن أهل الحفاظ هم الذين يحتفون براياتهم ويكتنفونها ويصيرون حفافها وأمامها ووراءها ولا يضيعونها ولا يتأخرون عنها فيسلموها ولا يتقدمون عليها فيفردوها»^(٢) .

(١) التمدن الإسلامي: ج ١، ص ١٦٦ .

(٢) نهج البلاغة، ص ١٨٠ خ ١٢٤ .

ولقد كان حملة الرايات يتهالكون دون حملها إلى آخر قطرة تسقط من دمائهم حذراً من وصمة الجبن وشية العار وسمية الخزي ولا يدع لهم ثبات الجأش وحمي الذمار وآصرة الشرف أن يلقوها ما دامت أيديهم تقلها:

لا عيب فيهم غير قبضهم اللوا عند اشتباك السمر قبض ضنين من أجل ذلك كانت راية الإسلام مع أمير المؤمنين في جميع مغازي الرسول ولم يفته مشهد إلا تبوك حيث لم يقع فيها قتال^(١) وإلا لما تركه النبي في المدينة مع ما يعلمه من بلائه وإقدامه وفي يوم بدر أعطاه الرسول راية الإسلام فزحف بها والمسلمون خلفه ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره فأظهر أمير المؤمنين فيها من البسالة والنجدة والبأس ما أطاش الألباب وحيّر العقول وجبّن الشجعان ووضع من قدرها فطار (أبو الحسن) بذكرها وحاز مجدها واستأثر بفضلها وإن عمله في هذا اليوم الذي كسر الله به شوكة المشركين وفلّ حدهم لمن خوارق العادة وأجلّ الكرامات إذ لم يباشر قبله حرباً ولا نازل قرناً فعمل في ذلك الجمع من النكاية والقتل الذريع ما لم يشاهد مثله مع أن أكثر الجمع قد مارس الحرب وقاسى الأهوال وخاض الغمرات وبارز الشجعان.

(١) الصواعق المحرقة: ص ٧٢.

٢٤٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وأما يوم أحد فكان اللواء مع مصعب بن عمير من بني عبد
الدار وإنما أعطاه النبي ﷺ جبراً لقلوب من آمن به من بني عبد
الدار خصوصاً لما كان لواء المشركين مع قومهم من بني عبد
الدار وبعد أن فعل مصعب ذلك اليوم ما يبهر العقول وأدى حق
اللواء حتى قطعت يده اليمنى ثم اليسرى وإذ قطعت ضم اللواء
إلى صدره حتى طعن بالرمح في ظهره فسقط إلى الأرض قتيلاً
دفع النبي ﷺ اللواء إلى صاحبه (أبي الريحانتين) فكان لأمر
المؤمنين من البلاء العظيم والمقامات المحمودة ما لم يكن لأحد
قط حتى عجت من ثباته وجلالته الملائكة بقتله أصحاب الألوية
ولما كانت الدبرة على المسلمين كان له الموقف المشهود أبصر
النبي ﷺ جماعة فقال لعلي فرقمهم وفرقمهم وقتل عمرو بن عبدالله
الجمحي ثم أبصر جماعة أخرى فقال له فرقمهم فحمل عليهم
وقتل شيبه بن مالك فقال جبرئيل هذه المواساة.

قال النبي ﷺ وما يمنعه، إنه مني وأنا منه.

فقال جبرئيل وأنا منكما.

وسمعوا صوتاً:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي^(١)

(١) الطبري: ج ٣، ص ١٧، وابن الأثير، ج ٢، ص ٧٥، والأغاني: ج ١٤، ص ١٧.

وفي يوم خيبر لما شاهد النبي خور المسلمين وضعفهم وانتصار اليهود لانكسار «الرجلين» في اليوم الأول والثاني ساءه ذلك فقال لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاستطالت لها أعناق الرجال رجاء أن يدعوا لها فيحظون بالفتح والسعادة الخالدة:

فأتاه الوصي أرمداً عين فسقاها من ريقه فشفاها
ومضى يطلب الصفوف فولت عنه علماً بأنه أمضاها
وبرى مرحباً بكف اقتدار أقوياء الأقدار من ضعفها
ودحى بابها بقوة بأس لو حمتها الأفلاك منه دحاها
وأما يوم حنين فلم يلق المسلمون أشد منه فلقد ضاقت عليهم
الأرض بما رحبت وبلغت القلوب الحناجر وعاتبهم الله على
فرارهم عن حبيبه وخاتم رسله ولكن ظهرت في هذا اليوم عظمة
(صاحب الراية) ومكانته من الرسول وموقفه من الدين ومبلغه من
الدفاع وثباته في وجه الخطوب حتى تراجع المسلمون.

ثم لقت هذه الراية خمساً وعشرين سنة ونشرها أمير المؤمنين
يوم (الجمل) وأعطها لولده محمد بن الحنفية وقال له هذه راية
رسول الله لا تردّ قط فزحف بها (ابن حيدرة) والجيش خلفه
وقيس بن سعد بن عبادة يقول^(١).

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد، ص ١٦٥.

٢٤٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

هذا اللواء الذي كنا نحف به مع النبي وجبريل لنا مددا ما ضر من كانت الأنصار عيبته أن لا يكون له من غيرها أحدا قوم إذا حاربوا طالت أكفهم بالمشرفية حتى يفتحوا البلدا وأدى شبل علي عليه السلام حقها حتى كان الفتح كما أنها كانت معه يوم النهروان^(١).

أما يوم صفين فكانت راية الهمدانين مع سفيان بن يزيد فلما قتل أخذها أخوه عبيد ثم أخوه كرب ثم عمير بن بشير ثم الحرث ابن بشير ثم وهب بن كرب وكلهم قتلوا دونها^(٢) وفي هذا اليوم الباهر كان لحملة الرايات من أهل العراق المقام المشكور حتى تضعع من أقدامهم عرش معاوية لولا القضاء وإبرام المحتوم.

فكان ذوو الرايات يحرصون على رفعها لكونها معقد الجيش وبها يتم نظامهم وتتطامن نفوسهم ولم ينكسر الجيش إلا بقتل صاحب الراية وسقوطها.

ومن هنا نعرف مكانة أبي الفضل من البسالة وموقفه من الشهامة ومحله من الشرف ومبوءاًه من الدين ومنزلته من الغيرة ومرتقاه من السؤدد يوم عبأ الحسين أصحابه فأعطى رايته أخاه «العباس» ومع أن للعباس إخوة من أمه وأبيه وهناك من أولاد أبيه

(١) الاختصاص للمفيد مخطوط.

(٢) رجال المامقاني بترجمة سفيان.

من لا يسلم اللواء كما أن في الأصحاب من هو أكبر سناً منه مع صدق المفاداة ولكن سيد الشهداء وجد أخاه أبا الفضل أكفى ممن معه لحملها ، وأحفظهم لذمامه وأرأفهم به وأدعاهم إلى مبدئه وأوصلهم لرحمه وأحماهم لجواره وأثبتهم للطعان وأربطهم جأشاً وأشدهم مراساً فكان «صاحب الراية» عند معتقد أخيه الإمام ثابت الجأش في ذلك الموقف الرهيب ثبات الأسد الخادر وهذا بيان مطرد تلهج به الألسن وإلا فما موقف الأسد منه ومن أين له طمأنينة هذا البطل المغوار الثابت في ما يفر عنه الضرغام .

ولولا احتقار الأسد شبهتها به ولكنها معدودة في البهائم نعم أنسب تشبيه يليق بمقامه أنه كان يصول ومعه صولة أبيه المرتضى .

وللعباس مزية على من حمل اللواء وبارز الأبطال وتقدم للطعان فإنه عليه السلام قد ألمات به الكوارث والمحن من نواح متعددة من جروح وعطش وفئة صرعى وحرائر ولهى وأطفال أمض بها الظماً والواحدة منها كافية في أن تهدي إلى البطل ضعفاً وإلى الباسل فراراً لكن صريخة بني هاشم بالرغم من كل هاتيك الرزايا كان يزحف بالراية في جحفل من بأسه وصارم من عزمه وكان في حد حسامه الأجل المتاح وملك الموت طوع يمينه إذاً فليس من الغريب إذا ظهر في غصن الخلافة ما يبهر العقول .

٢٤٦العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

قسماً بصارمه الصقيل وإنني في غير صاعقة السما لا أقسم
لولا القضا لمحا الوجود بسيفه والله يقضي ما يشاء ويحكم

موقفه قبل الطف

يسترسل بعض الكتاب عن موقفه قبل الطف فيثبت له منازل الأقران والضرب والطعن وبالغ في ذلك حتى حكى عن المنتخب أنه يقول كان كالجبل العظيم وقلبه كالطود الجسيم لأنه كان فارساً هماماً وجسوراً على الضرب والطعن في ميدان الكفار ويحدث صاحب الكبريت الأحمر، ج ٣، ص ٢٤، عن بعض الكتب المعتبرة لتتبع صاحبها أنه عليه السلام كان عضداً لأخيه الحسين يوم حمل على الفرات وأزاح عنه جيش معاوية وملك الماء.

قال ومما يروى أنه في بعض أيام صيفين خرج من جيش أمير المؤمنين عليه السلام شاب على وجهه نقاب تعلوه الهيبة وتظهر عليه الشجاعة يقدر عمره بالسبع عشرة سنة يطلب المبارزة فهابه الناس وندب معاوية إليه أبا الشعثاء فقال إن أهل الشام يعدونني بألف فارس ولكن أرسل إليه أحد أولادي وكانوا سبعة وكلما خرج أحد منهم قتله حتى أتى عليهم فساء ذلك أبا الشعثاء وأغضبه ولما برز إليه ألحقه بهم فهابه الجمع ولم يجرؤ أحد على مبارزته

٢٤٨العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وتعجب أصحاب أمير المؤمنين من هذه البسالة التي لا تعدو الهاشميين ولم يعرفوه لمكان نقابه ولما رجع إلى مقره دعاه أبوه أمير المؤمنين وأزال النقاب عنه فإذا هو «قمر بني هاشم» ولده العباس عليه السلام.

قال صاحب الكبريت بعد هذه الحكاية وليس ببعيد صحة الخبر لأن عمره يقدر بالسبع عشرة سنة وقد قال الخوارزمي كان تاماً كاملاً.

وهذا نص الخوارزمي في المناقب ص ١٤٧ خرج من عسكر معاوية رجل يقال له كريب كان شجاعاً قوياً يأخذ الدرهم فيغمزه بإبهامه فتذهب كتابته فنأدى ليخرج إلي علي فبرز إليه مرتفع بن وضاح الزبيدي فقتله ثم برز إليه شرحبيل بن بكر فقتله ثم برز إليه الحرث بن الحلاج الشيباني فقتله فساء أمير المؤمنين ذلك فدعا ولده العباس عليه السلام وكان تاماً كاملاً من الرجال وأمره أن ينزل عن فرسه وينزع ثيابه فلبس علي ثياب ولده العباس وركب فرسه وألبس ابنه العباس ثيابه وأركبه فرسه لئلا يجبن كريب عن مبارزته إذا عرفه فلما برز إليه أمير المؤمنين ذكره الآخرة وحذره بأس الله وسخطه فقال كريب لقد قتلت بسيفي هذا كثيراً من أمثالك ثم حمل علي أمير المؤمنين فاتقاه بالدرقة وضربه علي رأسه فشقه نصفين ورجع أمير المؤمنين وقال لولده محمد بن الحنفية قف عند مصرع كريب فإن طالب وتره يأتيك فامثل محمد أمر

موقفه قبل الطف ٢٤٩

أبيه فأتاه أحد بني عمه وسأله عن قاتل كريب قال محمد أنا مكانه فتجاولا ثم قتله محمد وخرج إليه آخر فقتله محمد حتى أتى على سبعة منهم.

وفي ص ١٠٥ من المناقب ذكر حديث العباس بن الحارث ابن عبد المطلب وقد برز إليه عثمان بن وائل الحميري فقتله العباس فبرز إليه أخوه حمزة وكان شجاعاً قوياً فنهاه أمير المؤمنين عن مبارزته وقال له انزع ثيابك وناولني سلاحك وقف مكانك وأنا أخرج إليه فتنكر أمير المؤمنين وبرز إليه وضربه على رأسه فقطع نصف رأسه ووجهه وإبطه وكتفه فتعجب اليمانيون من هذه الضربة وهابوا العباس بن الحارث.

هذا ما حدث به في المناقب ومنه نعرف أن هناك واقعتين جرتا لأمير المؤمنين مع ولده العباس ومع العباس بن الحارث فإنكار شيخنا الجليل المحدث النوري في حضور العباس في صفين مدعياً اشتباه الأمر على بعض الرواة بالعباس بن الحارث في غير محله فإن الحجة على تفنيد الخبر غير تامة لأن آحاد هذا البيت ورجالاتهم قد فاقوا الكل في الفضائل جميعاً وجاءوا بالخوارق في جميع المراتب فليس من البدع إذا صدر من أحدهم ما يمتنع مثله عن الشجعان وإن لم يبلغوا مبالغ الرجال.

فهذا القاسم بن الحسن السبط لم يبلغ الحلم يوم الطف وقد

٢٥٠ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ملاً ذلك المشهد الرهيب هيبة وأهدى إلى قلوب المقارعين فرقاً
وإلى الفرائص ارتعاداً وإلى النفوس خوراً غير مبالٍ بالجحفل
الجرار ولا بمكترث بمزدحم الرجال حتى قتل خمسة وثلاثين
فارساً^(١) وبطبع الحال فيهم من هو أقوى منه لكن البسالة وراثة
بين أشبال (علي) على حد سواء فهم فيها كأسنان المشط
صغيرهم وكبيرهم كما أنهم في الأنفة عن الدنيا سيان فلم يفتالوا
الشبل الباسل حتى وقف يشد شسع نعله وهو لا يزن الحرب إلا
بمثله وقد أنف (شبل الوصي) أن يحتفي في الميدان.

أهوى يشد حذاءه والحرب مشرعة لأجله
ليسومها ما إن غلت هيجاؤها بشراك نعله
متقلداً صمصامة متفياً بظلال نصله
لا تعجبن لفعله فالفرع مرتهن بأصله
السحب يخلفها الحيا والليث منظور بشبله
يردي الطليعة منهم ويريهم آيات فعله^(٢)

وهذا عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب بارز يوم الطف
الألوف مع صغر سنه حتى قتل منهم على رواية محمد بن أبي
طالب ثلاثة وتسعين رجلاً بثلاث حملات.

(١) نفس المهموم: ص ١٧٠، وحكى عن أمالي الصدوق أنه قتل ثلاثة.

(٢) للعلامة السيد مير علي أبو طيخ رحمته الله.

موقفه قبل الطف ٢٥١

وهذا محمد بن الحنفية فإن له مواقف محمودة في الجمل وصفين والنهروان وكانت الراية معه فأبلى بلاءً حسناً سجله له التاريخ وشكره الإسلام وكان صغير السن على ما يظهر من السبط في تذكرة الخواص وابن كثير في البداية ج ٩، ص ٣٨، فإنهما نصا على وفاته سنة ٨١ عن خمس وستين فتكون ولادته سنة ١٦ وله يوم البصرة الواقع سنة ٣٦ عشرون سنة.

وحينئذ فلا غرابة في التحدث عن موقف أبي الفضل وما أبداه من كر وإقدام خصوصاً بعدما أوقفنا النص النبوي الآتي على ما حواه ولد أبي طالب من بسالة وبطولة.

وأما يوم شهادة أخيه الإمام المجتبي فله أربع وعشرون سنة وقد ذكر صاحب كتاب «قمر بني هاشم» ص ٨٤ أنه لما رأى جنازة سيد شباب أهل الجنة ترمى بالسهم عظم عليه الأمر ولم يطق صبراً دون أن جرد سيفه وأراد البطش بأصحاب «البغلة» لولا كراهية السبط الشهيد الحرب عملاً بوصية أخيه (لا تهرق في أمري محجمة من دم) فصبر أبو الفضل على أحر من جمر الغضا ينتظر الفرصة ويترقب الوعد الإلهي فأجهد النفس وبذل النفيس في مشهد (النواويس) وحاز كلتا الحسنين.

٢٥٢.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

موقفه في الطف

ربما يستعصي البيان عن الإفاضة في القول في هذا الفصل لشدة وضوحه وربما أعقب الظهور خفاء فإن من أغرز الصفات الحميدة في الهاشميين الشجاعة وقد جبلوا عليها وبالأخص الطالبين وقد أوقفنا على هذه الظاهرة الحديث النبوي «لو ولد الناس أبو طالب كلهم لكانوا شجعاناً»^(١) إذاً فما ظنك بطالبيّ أبوه أمير المؤمنين قاتل عمرو بن عبد ود ومزهق مرحب وقالع باب خيبر وقد عرق في ولده البسالة كلها والشهامة بأسرها وعلمه قراع الكتائب فنشأ بين حروب طاحنة وغارات شعواء وخوؤولته العامريون الذين شهد لهم عقيل بالفروسية وللخوؤولة كالعمومة عرق ضارب في الولد ومن هنا قالت العرب فلان معّم مخول إذا كان كريمهم وحوى المزايا الحميدة عنهما^(٢) ولم يعقد أمير

(١) غرر الخصائص للوطواط ص ١٧، في باب حفظ الجوار.

(٢) تاج العروس: ج ٧، ص ٣١٢ وج ٨، ص ٤٠٠ وقد نظم هذه الخاصة أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي المتوفى سنة ٣٧٣ ففي معجم البلدان: =

٢٥٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المؤمنين على أم البنين إلا لتلد له هذا الفارس المغوار والبطل
المجرب فما أخطأت إرادته الغرض ولا عدى سهمه المرمى .

فكان أبو الفضل رمز البطولة ومثال الصولات يلوح البأس
على أسيرة جبهته فإذا يمم كميأ قصده الموت معه أو التقى بمقبل
ولاه دبره ولم يبرح هكذا تشكره الحرب والضرب وتشكوه
الهامات والأعناق ما خاض ملحمة إلا وكان ليلها المعتكر ولم
يُلفَ في معركة إلا وقابل ببشره وجهها المكفهر:

يمثل الكرار في كراته بل في المعاني الغر من صفاته
ليس يد الله سوى أبيه وقدرة الله تجلت فيه
فهو يد الله وهذا ساعده تغنيك عن إثباته مشاهده
صولته عند النزال صولته لولا الغلو قلت جلّت قدرته
وهل في وسع الشاعر أن ينضد خياله أو يتسنى للكاتب أن

= ج ١ ، ص ٦٣ بمادة أمل أنه قال :

بأمل مولدي وبنو جرير فأخوالي ويحكي المرء خاله
فها أنا رافضي عن تراث وغيري رافضي عن كلاله
عرض بابن جرير صاحب التأريخ فإنه أخو أمه وكان من أهل السنة وإنما
نسبه إلى التشيع الحنابلة لتصحيحه حديث الغدير فتشيعه ادعائي وهو
المعبر عنه (بالكلالة) فإنها في اللغة ما لم يكن من النسب لحاً فقول
الحموي في المعجم كذب الخوارزمي لأن ابن جرير من أعلام السنة مبني
على عدم فهمه الغرض من البيت فالخوارزمي لم يعترف بتشيعه .

موقفه في الطف ٢٥٥

يسترسل في وصف تلك البسالة الحيدرية وجوهر الحقيقة قائم بنفسه ماثل أمام الباحث بأجلى من كل هاتيك المعارف في مشهد يوم الطف .

ولعمري إن حديث كربلا لم يبقِ لسابق في الشجاعة سبقاً ولا للاحق طريقاً إلا الالتحاق به فلقد استملينا أخبار الشجعان في الحروب والمغازي يوم شأوا الأقران في الفروسية فلم يفدهم في الغالب الاستظهار بالعدد وتوفر العتاد وتهيئة ممدات الحياة من المطعم والمشرب وفي الغالب أن الكفاية بين الجيشين المتقابلين موجودة .

يسترسل المؤرخون لذكر شجعان الجاهلية والحالة كما وصفناها واهتزوا طرباً لقصة ربيعة بن مكرم - وهي أن ربيعة بن مكرم بن عامر بن حريثان من بني مالك بن كنانة كان أحد فرسان مضر المعدودين خرج بالظعينة وفيها أمه أم سنان من بني أشجع ابن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة وأخته أم عزة وأخوه أبو القرعة ورأى الظعينة دريد بن الصمة فقال لرجل معه صح بالرجل أن خلّ الظعينة وانجُ بنفسك وهو لا يعرفه فلما رأى ربيعة أن الرجل قد ألح عليه ألقى زمام الناقة وحمل على الرجل فصرعه فبعث دريد آخر فصرعه ربيعة فبعث الثالث ليعلم خبر الأولين فقتله ربيعة وقد انكسر رمحه فلما وافاه دريد ورأى الثلاثة صرعى ورمحه مكسوراً قال له يا فتى مثلك لا يقتل وهؤلاء يثأرون ولا

٢٥٦العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

رمح لك ولكن خذ رمحي وانج بنفسك والظعينة ثم دفع إليه رمحه ورجع دريد إلى القوم وأعلمهم أن الرجل قتل الثلاثة وغلبه على رمحه وقد منع بالظعينة فلا طمع لكم فيه^(١).

هذا الذي حفظته السيرة ماثرة لربيعة بن مكرم بتهالكه دون الظعائن حتى انكسر رمحه ولكن أين هو من (حامي الظعينة) يوم قاتل الألو ف وزعزع الصفوف عن المشرعة حتى ملك الماء وملاً القربة والكل يرونه ويحذرونه وأنى لربيعة من بواصل ذلك المشهد الرهيب فضلاً عن سيدهم أبي الفضل فلقد كان جامع رأيهم فلم يقدمهم إلا إلى محل الشرف منكباً بهم عن خطة الخسف والضعفة على حين أن الأبطال تتقاذف بهم سكرات الموت هذا وللسبب المقدس طرف شاخص إلى صنوه البطل المقدم كيف يرسب ويطفو بين بهم الرجال ووجهه متهلل لكراته ولحرائر بيت النبوة أمل موطن لحامية الظعائن.

وإليك مثلاً من بسالته الموصوفة في ذلك المشهد الدامي وهي لا تدعك إلا مذعناً بما له من ثبات ممنوع عند الهزاهز وطمأنينة لدى الأهوال.

الأول - في اليوم السابع من المحرم حوَّصر سيد الشهداء

(١) أمالي القالي: ج ٢، ص ٢٧١، والسمط: ج ٢، ص ٩١٠، والأغاني: ج ١٤، ص ١٢٩.

ومن معه وسد عنهم باب الورد ونفذ ما عندهم من الماء فعاد كل منهم يعالج لهب الأوام^(١). وبطبع الحال كانوا بين أنة وحنة وتضور ونشيج ومتطلب للماء إلى متحرٍ ما يبيل غلته وكل ذلك بعين «أبي علي» والغيارى من آله والأكارم من صحبه وما عسى أن يجدوا لهم وبينهم وبين الماء رماح مشرعة وبوارق مرهفة في جمع كثيف يرأسهم عمرو بن الحجاج لكن «ساقى العطاشى» لم يتطامن على تحمل تلك الحالة.

أوتشتكي العطش الفواطم عنده وبصدر سعدته الفرات المفعم
ولو استقى نهر المحمرة لارتقى وطويل ذابله إليها سلم
لو سد ذو القرنين دون وروده نسفته همته بما هو أعظم
في كفه اليسرى السقاء يقله وبكفه اليمنى الحسام المخدم
مثل السحابة للفواطم صوبه فيصيب حاصبه العدو فيرجم

هناك قيض الحسين لهذه المهمة أخاه العباس في حين أن نفسه الكريمة تنازعه إلى ذلك قبل الطلب ويحدوه إليه حفاظه المر فأمره أن يستقي للحرائر والصبية وإن كان دونه شق المرائر وسفك المهج وضم إليه ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معهم عشرين قرية وتقدم أمامهم نافع بن هلال الجملي فمضوا غير مبالين وكل بحفظ الشريعة لأنهم محتفون بأسد آل محمد فتقدم

(١) مقتل محمد بن أبي طالب.

٢٥٨ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

نافع باللواء وصاح به عمرو بن الحجاج من الرجل وما جاء بك قال جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه فقال له اشرب هنيئاً قال نافع لا والله لا أشرب منه قطرة والحسين ومن ترى من آله وصحبه عطاشى .

فقال لا سبيل إلى سقي هؤلاء وإنما وضعنا ههنا لنمنعهم الماء ثم صاح نافع بأصحابه املأوا قربكم وشد عليهم أصحاب ابن الحجاج فكان بعض القوم يملأ القرب وبعض يقاتل وحاميههم «ابن بجدتها» مسدد الكماة المتربي في حجر البسالة الحيدرية والمرتضع من لبانها «أبو الفضل» فجاؤوا بالماء وليس في القوم المناوئين من تحدثه نفسه بالدنو منهم فرقاً من ذلك البطل المغوار فبلت غلة الحرائر والصبية الطيبة من ذلك الماء وابتهجت به النفوس^(١) .

ولكن لا يفوت القارئ معرفة أن تلك الكمية القليلة من الماء ما عسى أن تجدي أولئك الجمع الذي هو أكثر من مائة وخمسين رجلاً ونساءً وأطفالاً أو أنهم ينيفون على المائتين على بعض الروايات ومن المقطوع به أنه لم ترو أكبادهم إلا مرة واحدة أو أنها كمصة الوشل فسرعان أن عاد إليهم الظماً وإلى الله سبحانه المشتكى .

(١) تاريخ الطبري: ج ٦، ص ٢٣٤، والأخبار الطوال: ص ٥٣.

الثاني - كان أصحاب الحسين عليه السلام بعد الحملة الأولى التي استشهد فيها خمسون يخرج الاثنان والثلاثة والأربعة وكل يحمي الآخر من كيد عدوه فخرج الجابريان وقاتلا حتى قتلا وخرج الغفاريان فقاتلا معاً حتى قتلا وقاتل الحر الرياحي ومعه زهير بن القين يحمي ظهره حتى فعلا ذلك ساعة فكان إذا شد أحدهما واستلحم شد الآخر واستنقذه حتى قتل الحر^(١).

وفي تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٢٥٥ أن عمرو بن خالد الصيداوي وسعد مولاه وجابر بن الحارث السلماني ومجمع بن عبدالله العائذي شدوا جميعاً على أهل الكوفة فلما أوغلوا فيهم عطف عليهم الناس من كل جانب وقطعوهم عن أصحابهم فندب إليهم الحسين أخاه العباس فاستنقذهم بسيفه وقد جرحوا بأجمعهم وفي أثناء الطريق اقترب منهم العدو فشدوا بأسيافهم مع ما بهم من الجراح وقاتلوا حتى قتلوا في مكان واحد وفازوا بالسعادة الخالدة.

(١) الطبري: ج ٦، ص ٢٥٢.

٢٦٠.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الشهادة

لم يفتأ لقمر بني هاشم دؤوب على مناصرة الحق في شمم
 وإباء عن النزول على حكم الدنية منذ كان يرتضع لبان البسالة
 وتربى في حجر الإمامة فترعرع ونصب عينه أمثلة الشجاعة
 والتضحية دون النواميس الإلهية لمطاردة الرجال ومجالدة الأبطال
 فإما فوز بالظفر أو ظفر بالشهادة فمن الصعب عنده النزول على
 الضيم وهو يرى الموت تحت مشبك الأسنة أسعد من حياة تحت
 نير الاضطهاد فكان لا يرى للبقاء قيمة «وإمام الحق» مكثور
 وعقائل بيت الوحي قد بلغ منهن الكرب كل مبلغ ولكن لما كان
 سلام الله عليه أنفس الذخائر عند السبط الشهيد وأعز حامته لديه
 وطمأنينة الحرم بوجوده وبسيفه الشاهر ولوائه الخفاق وبطولته
 المعلومه لم يأذن له إلى النفس الأخير من النهضة المقدسة فلا
 الحسين يسمح به ولا العائلة الكريمة تألف بغيره ولا الحالة تدعه
 لأن يغادر حرائر أبيه بين الوحوش الكواسر.

هكذا كان أبو الفضل بين نزوع إلى الكفاح بمقتضى غريزته

٢٦٢ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وتأخر عن الحركة لباعث ديني وهو طاعة الإمام عليه السلام حتى بلغ الأمر نصابه فلم يكن لجاذب الغيرة أو دافعها مكافئ وكان ملء سمعه ضوضاء الحرم من العطش تارة ومن البلاء المقبل أخرى (ومركز الإمامة) دارت عليه الدوائر وتقطعت عنه خطوط المدد وتفانى صحبه وذووه هنالك هاج (صاحب اللواء) ولا يلحقه الليث عند الهياج فمثل أمام أخيه الشهيد يستأذنه فلم يجد أبو عبدالله بدأ من الأذن حيث وجد نفسه لتسبق جسمه إذ ليس في وسعه البقاء على تلك الكوارث الملمة من دون أن يأخذ ثاره من أولئك المردة فعرفه الحسين أنه مهما ينظر اللواء مرفوعاً كأنه يرى العسكر متصلاً والمدد متتابعاً والأعداء تحذر صولته وترهب إقدامه وحرائر النبوة مطمئنة بوجوده فقال له (أنت صاحب لوائي) ولكن اطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء فذهب العباس إلى القوم ووعظهم وحذرهم غضب الجبار فلم ينفع فرجع إلى أخيه وأخبره فسمع الأطفال يتصارخون من العطش فنهضت (بساقى العطاشى) غيرته السماء وأخذ القربة وركب فرسه وقصد الفرات فلم يرعه الجمع المتكاثر وكشفهم شبل علي عن الماء وملك الشريعة ومد أحس ببرده تذكر عطش الحسين فرأى من واجبه ترك الشرب لأن الإمام ومن معه أضربهم العطش فرمى الماء من يده^(١) وأسرع بالقربة

(١) البحار: ج ١، ومقتل العوالم: ص ٩٤، عن بعض التأليفات.

محافظاً على مهجة الإمام ولو في آن يسير وقال^(١):

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني

فتكاثروا عليه وقطعوا طريقه فلم يبال بهم وجعل يضرب فيهم
بسيفه ويقول:

لا أرهب الموت إذا الموت زقا حتى أوارى في المصاليت لقي
إني أنا العباس أغدو بالسقا ولا أهاب الموت يوم الملتقى
فكمن له زيد بن الرقاد الجهني وعاونه حكيم بن الطفيل
السنبسي فضربه على يمينه فقطعها فأخذ السيف بشماله وجعل
يضرب فيهم ويقول:

والله إن قطعتمو يميني إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين
فكمن له حكيم بن الطفيل من وراء نخلة فضربه على شماله
فبراها فضمّ اللواء إلى صدره.

فعند ذلك أمنوا سطوته وتكاثروا عليه وأتته سهام كالمطر
فأصاب القربة سهم وأريق ماؤها وسهم أصاب صدره وسهم

(١) أسرار الشهادة: ص ٣٢٢.

٢٦٤ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

أصاب عينه وحمل عليه رجل بعمود من حديد وضربه على رأسه المقدس .

وهوى بجنب العلقمي فليته للشاربين به يداف العلقم
ونادى بصوت عالٍ عليك مني السلام يا أبا عبدالله^(١) فأتاه
الحسين عليه السلام ويا ليتني علمت بماذا أتاه أبحياة مستطارة منه بذلك
الفادح الجلل أو بجاذب من الأخوة إلى مصرع صنوه المحبوب
نعم حصل الحسين عنده وهو يبصر هيكل البسالة وقربان القداسة
فوق الصعيد وقد غشيته الدماء السائلة وجللته النبال ورأى ذلك
الغصن الباسق قد ألم به الذبول فلا يمين تبطش ولا منطق يرتجز
ولا صولة ترهب ولا عين تبصر ومرتكز الدماغ على الأرض
مبدد .

أصحيح أن الحسين ينظر إلى تلكم الفجائع ومعه حياة تقدمه
أو عافية تنهض به لاها الله لم يبق الحسين بعد أبي الفضل إلا
هيكلاً شاخصاً معرّياً عن لوازم الحياة وقد أعرب سلام الله عليه
عن هذا الحال بقوله (الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي وشممت بي
عدوي).

وبان الانكسار في جبهته فاندكت الجبال من حنيته

(١) تظلم الزهراء: ص ١٢٠ .

كافل أهله وساقى صبيته وحامل اللوا بعالي همته
وكيف لا وهو جمال بهجته وفي محياه سرور مهجته
ورجع إلى المخيم منكسراً حزيناً باكياً يكفكف دموعه بكمه
كيلا تراه النساء^(١) وقد تدافعت الرجال على مخيمه فنادى بصوت
عالٍ أما من مجير يجيرنا أما من مغيث يغيثنا أما من طالب حق
ينصرنا أما من خائف من النار فيذبّ عنا.

كل هذا: لإبلاغ الحجة وإقامة العذر حتى لا يعتذر أحد
بالغفلة يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ولما رآته سكينه مقبلاً أخذت بعنان جواده وقالت أين عمي
العباس أراه أبطأ بالماء فقال لها إن عمك قتل فسمعتة زينب
فنادت وأخاه وا عباساه وا ضيعتنا بعدك وبكين النسوة وبكى
الحسين معهن ونادى وا ضيعتنا بعدك أبا الفضل.

(١) الكبريت الأحمر: ص ١٥٩، عن إكسير العباداة.

٢٦٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المشهد المطهر

مما لا شك فيه أن الإمام الشهيد أبا عبد الله عليه السلام لم يترك القتلى في حومة الميدان وإنما كان يأمر بحملهم إلى الفسطاط الذي يقاتلون دونه وهذا وإن لم نجده صريحاً في كل واحد من المستشهدين إلا أن التأمل في ما يؤثر في الواقعة يقتضيه وإن طبع الحال يستدعيه ويؤيده ما في البحار من حمل الحر حتى وضع بين يدي الحسين وعند سقوط علي الأكبر أمر الحسين فتياه أن يحمله إلى الفسطاط الذي يقاتلون دونه وقد حمل القاسم بنفسه المقدسة حتى وضعه مع ابنه الأكبر وقتلى حوله من أهل بيته .

هذا لفظ ابن جرير وابن الأثير ومن البعيد جداً أن يحمل سيد الشهداء أهل بيته خاصة إلى الفسطاط ويترك أولئك الصفوة الأكارم الذين قال فيهم «لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي» ففضلهم على كل أحد حتى على أصحاب جده وأبيه وإن كل أحد لا يرضى من نفسه هذه الفعلة فكيف بذلك السيد الكريم الذي علم الناس الشمم والإباء والغيرة .

٢٦٨العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

على أن الفاضل القزويني يحكي في تظلم الزهراء، ص ١١٨
عن غيبة النعماني أن أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول كان الحسين يضع
قتلاه بعضهم مع بعض ويقول قتلة مثل قتلة النبيين وآل النبيين.

نعم مما لا شك فيه أنه عليه السلام ترك أخاه العباس في محل
سقوطه قريباً من المسناة لا لما يمضى في بعض الكتب من كثرة
الجروح وتقطع الأوصال فلم يقدر على حمله^(١) لأن في وسع
الإمام أن يحرك ذلك الشلو الموضع إلى حيث أراد ومتى شاء.

ولا لما قيل من أن العباس أقسم عليه بجده الرسول أن يتركه
في مكانه لأنه وعد سكينه بالماء ويستحي منها^(٢) لعدم الشاهد
الواضح على كل منهما.

بل إنما تركه لسر دقيق ونكتة لا تخفى على المتأمل ومن له
ذوق سليم ولولاه لم يعجز الإمام عن حمله مهما يكن الحال وقد
كشفت الأيام عن ذلك السر المصون وهو أن يكون له مشهد
يقصد بالحوائج والزيارات وبقعة يزدلف إليها الناس وتتزلف إلى
المولى سبحانه تحت قبته التي تحك السماء رفعة وسناء فتظهر
هنالك الكرامات الباهرة وتعرف الأمة مكانته السامية ومنزلته عند
الله فتقدره حق قدره وتؤدي ما وجب عليهم من الحب المتأكد

(١) الدمعة الساكبة: ص ٣٣٧، عن بعض التأليفات.

(٢) الكبريت الأحمر: ج ١، ص ١٥٨، عن اكسير العبادات.

والزورة المتواصلة ويكون ﷺ حلقة الوصل بينهم وبين الله تعالى وسبب الزلفى لديه .

فشاء المهيمن تعالى شأنه وشاء وليه وحجته أن تكون منزلة أبي الفضل الظاهرية شبيهة بالمنزلة المعنوية الأخروية فكان كما شاء وأحبا .

ولو حمله سيد الشهداء إلى حيث مجتمع الشهداء في الحائر الأقدس لغمره فضل الإمام الحجة ﷺ ولم تظهر له هذه المنزلة التي ضاهت منزلة الحجج الطاهرين خصوصاً بعدما أكد ذلك الإمام الصادق ﷺ بإفراد زيارة مختصة به وإذناً بالدخول إلى حرمة الأطهر كما شرع ذلك لأئمة الهدى غير ما يزار به جميع الشهداء بلفظ واحد وليس هو إلا لمزايا اختصت به .

وقد أرشدتنا آثار أهل البيت على هذا الموضع من مرقده الطيب ففي كامل الزيارة لابن قولويه ص ٢٥٦ بسند صحيح عن أبي حمزة الثمالي عن الصادق ﷺ قال إذا أردت زيارة العباس ابن علي وهو على شط الفرات بحذاء الحير فقف على باب السقيفة وقل سلام الله وسلام ملائكته إلخ .

وحكى المجلسي أعلا الله مقامه في مزار البحار عن الشيخ المفيد وابن المشهدي زيارة أخرى له في هذا المشهد الذي أشار إليه الصادق برواية غير مقيدة بوقت من الأوقات .

٢٧٠ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وهكذا حكى عن المفيد والشهيد والسيد ابن طاووس في زيارة النصف من رجب وليلة القدر ويومي العيدين ومثله العلامة النوري في (تحية الزائر).

وعبارة المفيد في الإرشاد صريحة في ما نصت به رواية أبي حمزة الثمالي فإنه قال عند ذكر من قتل من آل الحسين «وكلهم مدفونون مما يلي رجلي الحسين في مشهده حفر لهم حفيرة وألقوا فيها جميعاً إلا العباس بن علي فإنه دفن في موضع مقتله على المسناة بطريق الغاضرية وقبره ظاهر وليس لقبور إخوته وأهله الذين سميناهم أثر وإنما يزورهم الزائر من عند قبر الحسين ويومئ إلى الأرض التي نحو رجليه بالسلام عليهم وعلى ابن الحسين في جملتهم ويقال إنه أقربهم دفناً إلى الحسين فأما أصحاب الحسين الذين قتلوا معه فإنهم دفنوا حوله ولسنا نحصل لهم أجداً على التحقيق إلا أنا لا نشك أن الحائر محيط بهم».

وعلى هذا مشى العلماء المحققون والمنقبون في الآثار من كون مشهده بحذاء الحائر الشريف قريباً من شط الفرات نص عليه الطبرسي في إعلام الوري ص ١٤٧ والسيد الجزائري في الأنوار النعمانية ص ٣٤٤ والشيخ الطريحي في المنتخب والسيد الداودي في عمدة الطالب ص ٣٤٩ وحكاه في رياض الأحران ص ٣٩ عن كامل السقيفة.

وهو الظاهر من ابن ادريس في السرائر والعلامة في المنتهى والشهيد الأول في مزار الدروس والأردبيلي في شرح الإرشاد والسبزواري في الذخيرة والشيخ اغا رضا في مصباح الفقيه فإنهم نقلوا كلام المفيد ساكتين عليه .

ملاحظة

تقدم في نقل البحار أن الحر الرياحي حمل من الميدان ووضع أمام الحسين وعليه يكون مدفوناً في الحائر الأطهر ولكن في الكبريت الأحمر ج ٣، ص ١٢٤، جاءت الرواية عن مدينة العلم للسيد الجزائري أن السجاد دفنه في موضعه منحازاً عن الشهداء وفي ص ٧٥ ذكر أن جماعة من عشيرته نقلوه عن مصرع الشهداء لئلا يوطأ بالخيل إلى حيث مشهده ويقال إن أمه كانت معه فأبعدته عن مجتمع الشهداء .

وإذا صح حمل العشيرة إياه إلى حيث مشهده فلا يتم ما في مدينة العلم من دفن السجاد له فإنه من البعيد جداً أن تحمله العشيرة ثم تترك عميدها في البيداء عرضة للوحوش بل لم يعهد ذلك في أي أمة وملة .

وعلى كل فهذا المشهد المعروف له مما لا ريب في صحته للسيرة المستمرة بين الشيعة على زيارته في هذا المكان وفيهم العلماء والمتدينون ويظهر من الشهيد الأول المصادقة عليه فإنه

٢٧٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

قال في مزار الدروس (وإذا زار الحسين فليزر علي بن الحسين وهو الأكبر على الأصح وليزر الشهداء وأخاه العباس والحر بن يزيد) ووافقه العلامة النوري في اللؤلؤ والمرجان، ص ١١٥ واعتماد السلطنة محمد حسن المراغي من رجال العهد الناصري في حجة السعادة على حجة الشهادة ٥٦ طبع تبريز.

وقال المجلسي في مزار البحار عند قوله عليه السلام في زيارة الشهداء العامة (فإن هناك حومة الشهداء) المراد منه معظمهم أو أكثرهم لخروج العباس والحر عنهم ويشهد له ما في الأنوار النعمانية ص ٣٤٥ أنّ الشاه اسماعيل لما ملك بغداد وزار قبر الحسين وبلغه طعن بعض العلماء على الحر أمر بنبشه لكشف الحقيقة ولما نبشوه رآه بهيئته لما قتل ورأى على رأسه عصابة قيل له إنها للحسين فلما حلها نبع الدم كالميزاب وكلما عالج قطعه غيرها لم يتمكن فأعادها إلى محلها وتبينت الحقيقة فبنى عليه قبة وعين له خادماً وأجرى لها وقفاً.

الحائر

جاء في حديث الصادق عليه السلام لفظ الحير فإنه قال:

«وهو على شط الفرات بحذاء الحير» والحير بالفتح فالسكون كالحائر هو المكان المنخفض الذي يسيل إليه ماء الأمطار ويجتمع فيه^(١) وفي تاج العروس بمادة حور: الحائر اسم موضع فيه مشهد الإمام المظلوم الشهيد أبي عبدالله الحسين.

ولم تحدث التسمية بالحائر من استدارة الماء حول القبر المقدس حين أُجري عليه بأمر المتوكل العباسي لأن لفظ الحائر والحير وقع في لسان الصادق والكاظم قبل استخلاف المتوكل.

نعم إن الله سبحانه أكرم حجته ووليّه المذبوح دون دينه القويم ممنوعاً من ورود الماء الذي جعل شرعاً سواءً لعامة المخلوقات باستدارة الماء حول قبره يوم أُجري عليه لإعفاء أثره ومحو رسمه (ولن يزداد أثره إلا علواً).

(١) نص عليه في الصحاح والمصباح والقاموس ومعجم البلدان.

٢٧٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ولقد شعت هذه الآية الباهرة فاستضاءت منها الحقب والأعوام واهتزت لها الأنديّة والمحافل ارتياحاً وتناقلها العلماء المنقبون في جوامعهم منهم الشهيد الأول في الذكرى والأردبيلي في شرح الإرشاد والسبزواري في الذخيرة والشيخ الطريحي في المنتخب والشيخ المحقق في «الجواهر».

وكم لآل الرسول من براهين كاثرت النجوم فكثرتها وقد اجتهد أهل العناد في إغفالها أو افتعال نظائرها لأئمتهم حقداً وحسداً (ويأبى الله إلا أن يتم نوره).

من يباريهم وفي الشمس معنى مجهد متعب لمن باراها
ورثوا من محمد سبق أولاً ها وحازوا ما لم تحز أخراها
قادة علمهم ورأي حجاهم مسمعا كل حكمة منظراها
علماء أئمة حكماء يهتدي النجم باتباع هداها

يتحدث اليافعي في مرآة الجنان ج ٤، ص ٢٧٣ عن كرامة لأحمد بن حنبل فيقول زادت دجلة زيادة مفرطة حتى خربت مقبرة أحمد بن حنبل سوى البيت الذي فيه ضريحه فإن الماء دخل في الدهليز علو ذراع ووقف بإذن الله وبقيت البواري عليها الغبار حول القبر، صح الخبر.

هكذا يرتاح لهذه الكرامة ويصحح الخبر ولكنه يتوقف عن إثبات تلك الكرامة لسيد شباب أهل الجنة وفلذة كبد الإسلام وريحانة النبي الأعظم.

وما أدري بماذا يعتذر يوم جرفت دجلة قبر ابن حنبل ومحت
أثره حتى لم يعرف له ضريح إلى اليوم^(١).

وقد أجاد العلامة الشيخ محمد السماوي إذ يقول:

ألا من عذيري يا بني العلم والحجى من اليافعي الحنبلي المجمل
يكذبني إن قلت قبر ابن فاطم عليه استدار الماء للمتوكل
ويزعم حار الماء ولم تجل غبرة على حصر كانت بقبر ابن حنبل
وإن لأمثال ذلك في كتبهم الشيء الكثير أرادوا به المقابلة لما
صدر من آل النبي المعصومين والإشارة إلى بعض ما أوقفنا
البحث عليه وإن يخرجنا عن وضع الرسالة إلا أن الغرض تعريف
القارئ بأن العداء كيف يأخذ بالشخص إلى إنكار البديهي
والتعامي عن النيرات.

ذكر اليافعي في مرآة الجنان ج ٣، ص ١١٣ أن أبا اسحق
الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ لما ورد بلاد العجم خرج أهلها
إليه بنسائهم وأطفالهم للتبرك به فكانوا يمسحون أردانهم به
ويأخذون من تراب نعله فيستشفون به.

وإذا صح مثل هذا فلماذا كان الاستشفاء بتربة الحسين وهو
سيد شباب أهل الجنة بدعة وضلالة.

(١) بغداد في عهد العباسيين، ص ١٤٦.

٢٧٦العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ثم في ج ٣، ص ١٣٣ منه يعد من فضائل أحمد وكراماته وما حباه الله عن خدمته في الدين أن ابراهيم الحربي رأى في المنام بشراً الحافي خارجاً من مسجد الرصافة وفي كفه شيء فسأله عنه فقال لما قدم علينا روح أحمد بن حنبل نثر عليه الدر والياقوت فهذا مما التقطته .

أصحیح أن تعد هذه الرؤيا من الكرامات ويعد من الباطل حديث الرسول الأعظم في حق سيد الوصيين ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى ولولاه لما قام للدين عمود ولما اخضر له عود وذلك لما تزوج أمير المؤمنين من سيدة نساء العالمين بأن الله تعالى أمر شجرة طوبى أن تحمل صكاً فيها براءة لمحبي علي وفاطمة من النار وأنشأ تحتها ملائكة التقطوا ما نثرته عليهم يحفظونه إلى يوم القيامة كرامة لعلي وفاطمة .

ثم يرمى راوي هذه الكرامة بالجهالة والرفض ويعد الحديث من الموضوعات^(١) مع شهرة الحديث بين المحدثين والمنقبين في الآثار .

وجاء السبكي فعد في طبقات الشافعية ج ١، ص ٢١٥، من فضائل أحمد بن نصر الخزاعي الذي قتله الواثق على مسألة خلق القرآن تكلم رأسه بالقرآن لما قطع وبقي يقرأه إلى أن ألحق بالجسد ودفن .

(١) اللآلئ المصنوعة للسيوطي: ج ١، ص ١٩٨ .

وإذ سمعوا بأن رأس الحسين الذي قتل في سبيل الدعوة الإلهية وإحياء الدين يتكلم بالقرآن لإتمام الحجة وتعريفاً للأمة طغيان أولئك الأمراء ولئلا تذهب تلك التضحية المقدسة أدراج التمويهات، طعنوا في الحديث ونسبوا راويه إلى الرفض والجهالة مع أن الحسين لم يخرج عن كونه ابن الرسول وقد شهد الصادق الأمين له ولأخيه المجتبي بأنهما إماما هذه الأمة إن قاما وإن قعدا وأنهما سيذا شباب أهل الجنة ولم يخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً للعباد ولا غاصباً للحقوق.

ولم يقتنع بذلك حتى ادعى كرامة لإسماعيل الحضرمي وأنها من المستفيض قال في ج ٥، ص ٥١ من طبقات الشافعية إن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الحضرمي كان في سفر ومعه خادمه فأشرفت الشمس على الغروب فقال لخادمه قل للشمس تقف حتى نصل المنزل ونصلي فقال الخادم إن الفقيه اسماعيل يقول لك قفي فوقفت حتى بلغ المنزل وصلى ثم قال للخادم أما تطلق ذلك المحبوس فأمرها الخادم بالغروب فغابت وأظلم الليل في الحال.

هكذا يقول الخبر من المستفيض في رجل قصارى ما يتخيل فيه أنه أحد الأولياء وينكر حديث رد الشمس لأمير المؤمنين وكان من أعلام النبوة.

٢٧٨العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ويرتاح الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤٢٣ إلى حديث الوركاني بوقوع المآثم والنوح في أربعة أصناف من الناس المسلمين واليهود والنصارى والمجوس يوم وفاة أحمد بن حنبل.

ولا يكون هذا من البدعة والشناعة والخروج عن أخلاق المؤمنين كما تحاملوا بذلك على الشيعة في إقامتهم المآثم والنياحة على سليل الرسول وريحانته حتى قال الغزالي في مكاشفة القلوب، ص ١٨٧ (إياك أن تشتغل ببدع الرافضة من الذب والنياحة والحزن فإن ذلك ليس من أخلاق المؤمنين).

وضرب على وتره غير واحد من المؤرخين وما ذنب الشيعة والمشرع الأعظم بكى على ولده الحسين وهو حي يرزق لمجرد تذكر ما يجري عليه فيخرج إلى المسجد ودموعه جارية فتبكي الصحابة لبكائه وفيهم أبو بكر وعمر وأبو ذر وعمار ويُسأل عن سبب بكائه فيقول الآن حدثني جبرئيل بما يجري على الحسين^(١).

ويمر أمير المؤمنين بوادي كربلاء في ذهابه إلى صفين فيقف هناك ويرسل عبرته ويقول هذا مناخ ركابهم ومهراق دمائهم طوبى

(١) أعلام النبوة للماوردي: ص ٥٣، والخصائص الكبرى للسيوطي: ج ٢،

لك من تربة تراق عليك دماء الأحبة^(١) .

إذن فهلا تحسن مواساة صاحب الشريعة ووصيه المقدم بعد وقوع الحادثة على فلذة كبده صاحب النهضة المقدسة والله عز وجل يقول ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ .

على أن الأحاديث الصحيحة عندهم عن أئمتهم تحثهم على التظاهر بما فيه إحياء أمرهم من الدعوة إلى سبيل الدين وإظهار الجزع والبكاء والنوح على سيد شباب أهل الجنة .

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في دعائه الطويل وهو ساجد:

(اللهم ارحم تلك الصرخة التي كانت لنا اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم إلينا فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا رغبة في برنا وصلة لرسولك وخلافاً منهم على ما خالفنا اللهم أعطهم أفضل ما يأملون في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا به على أبنائهم).

ويقول عليه السلام لحماد الكوفي بلغني أن أناساً من الكوفة وغيرهم من نواحيها يأتون قبر الحسين في النصف من شعبان فيبين قارئ يقرأ وقاص يقص ومادح يمدح ونساء يندبنه فقال حماد قد شهدت بعض ما تصف فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعل في شيعتنا

(١) قرب الإسناد .

٢٨٠.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا وجعل في عدونا من يقبح ما يصنعون.

ولما قال له ذريح المحاربي إني إذا ذكرت فضل زيارة الحسين لقومي وبنّي كذبوني فقال (دع الناس يذهبون حيث شاؤوا وكن معنا).

فإذا كان هذا وأمثاله الكثير مما أوجب فعل الشيعة لتلك المظاهر فلماذا يطعن عليهم عند إيمانهم بها وما ذنبهم أفلا يتأول عملهم والحال هذا كما أولوا عمل خالد وغيره (أين المنصفون).

نعم ليس السر في ما حكموا به على الشيعة من الرياء والتصنع والشنعة والبدعة إلا قيامهم بهذه الشعائر التي فيها إظهار مظلومية أهل البيت العلوي وتفضيع أعمال المناوئين لهم وإعلام الملاء بما نشره من الجور واسترداد الجاهلية الأولى كما اعترف به ابن كثير في البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٠٢ قال إن الشيعة لم يريدوا بهذه الأعمال إلا أن يشنعوا على دولة بني أمية لأنه قتل في دولتهم.

وعليه فلا يكون العمل المستلزم للتشنيع على عمل الجبابرة وطواغيت الأمة بقتلهم سيد شباب أهل الجنة وتلاعبهم بالدين الحنيف تلاعب الصبيان بالأكر مقرباً للمولى زلفة ورضى لرب العالمين.

نهر العلقمي

لم يذكر أصحاب المعاجم هذا الوصف وأهمله المؤرخون كما لم يصفه حديث الصادق في الزيارة المتقدمة فإن فيها (وهو مدفون بشط الفرات بحذاء الحير) لكن شيخنا الطريحي ذكر في المنتخب، ص ٩١ أن رجلاً من أهل الكوفة حداد قال خرجت في البعث الذي سار إلى كربلا فخيمننا على شاطئ العلقمي وحموا الماء عن الحسين ومن معه حتى قتلوا وأهله وأنصاره عطاشاً ثم رجعنا إلى الكوفة وبعد أن سير ابن زياد السبايا إلى الشام رأيت في المنام كأن القيامة قامت والناس يموجون وقد أخذهم العطش وأنا أعتقد بأني أشدهم عطشاً مع شدة حرارة الشمس والأرض تغلي كالقار إذ رأيت رجلاً عم الموقف نوره وفي أثره فارس وجهه أنور من البدر وبيننا أنا واقف إذ أتاني رجل وقادني بسلسلة إليه فقلت له أقسم عليك بمن أمرك من تكون قال أنا من الملائكة قلت ومن هذا الفارس قال هذا علي أمير المؤمنين قلت ومن ذلك الرجل قال محمد ﷺ ثم رأيت عمر بن

٢٨٢ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

سعد وقوماً لم أعرفهم في أعناقهم سلاسل من حديد والنار تخرج من أعينهم وآذانهم ورأيت النبيين والصديقين قد أحدقوا بمحمد صلى الله عليه وآله فقال رسول الله لعلي ما صنعت قال لم أترك أحداً من قاتلي الحسين إلا جئت به فقدموهم أمام رسول الله وهو يسألهم عما صنعوا بولده يوم كربلاء فواحد يقول أنا حميت الماء عنه والآخر يقول أنا رميته والثالث يقول أنا وطئت صدره ورابع يقول أنا قتلت ولده وهو يبكي حتى بكى من حوله لبكائه ثم أمر بهم إلى النار وجيء برجل قال له ما صنعت قال كنت نجاراً وما حاربت ولا قتلت فقال لقد كثرت السواد على ولدي فأمر به إلى النار ثم قدموني إليه فحكيت له فعلي فأمر بي إلى النار فلما قص الرؤيا على من حضر عنده يبس لسانه ومات نصفه وهلك بأسوأ حال وقد تبرأ منه كل من سمع وشاهد.

وفي مدينة المعاجز ص ٢٦٣ باب ١٢٧ ، روى عن رجل أسدي قال كنت زارعاً على نهر العلقمي بعد ارتحال عسكر بني أمية فرأيت عجائباً لا أقدر أحكي إلا بعضاً منها إذا هبت الريح تمر علي نفحات كنفحات المسك والعنبر وأرى نجوماً تنزل من السماء وتصعد مثلها من الأرض ورأيت عند غياب الشمس أسداً هائل المنظر يتخطى القتلى حتى وقف على جسد جللته الأنوار فكان يمرغ وجهه وجسده بدمه وله صوت عالٍ ورأيت شموعاً معلقة وأصواتاً عالية وبكاءً وعويلاً ولا أرى أحداً.

نهر العلقمي ٢٨٣

وفي مناقب ابن شهر آشوب، ج ٢، ص ١٩٠ روى جماعة من الثقات أنه لما أمر المتوكل بحرث قبر الحسين وأن يجرى عليه الماء من العلقمي أتى زيد المجنون وبهلول المجنون إلى كربلا ونظرا إلى القبر لم يتغير بما صنعوا.

وفي هذا دلالة على وصف النهر بالعلقمي في تلك الأيام ويؤكد ذلك ما في مزار البحار ص ١٦١، عن مزارى المفيد وابن المشهدي من ورود رواية بزيارة العباس عليه السلام غير مقيدة بوقت وفيها إذا وردت أرض كربلا فانزل منها بشاطئ العلقمي ثم اخلع ثياب سفرك واغتسل غسل الزيارة مندوباً وقل إلخ.

وفي تحية الزائر، ص ١٣٥، ذكر عنهما وعن الشهيد الأول وابن طاووس ورود رواية بزيارة للحسين وقالوا إذا وردت قنطرة العلقمي فقل إليك اللهم قصد القاصد إلخ والظاهر منه ورود لفظ العلقمي في الرواية وليس من كلام العلماء خصوصاً بعد العلم بأنهم لا يذكرون إلا ما يعتمدون عليه في الروايات ومنه نعرف أن نهر العلقمي كان معروفاً في الأزمنة السابقة على زمان ابن العلقمي الذي هو في القرن السابع وجاء في نص الشيخ الطوسي ففي مصباح المتهجد، ص ٤٩٩ أن الصادق عليه السلام قال لصفوان الجمال إذا أتيت الفرات (أعني شرعة الصادق بالعلقمي) فقل اللهم أنت خير من وفد إلخ.

٢٨٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وعلى هذا يكون قول الفاضل السيد جعفر الحلبي على الحقيقة:

وهوى بجنب العلقميّ فليته للشاربين به يداف العلقم
نعم لم يعرف السبب في التسمية به وما قيل في وجهها إن
الحافر للنهر رجل من بني علقمة بطن من تميم ثم من دارم جدهم
علقمة بن زرارة بن عدس لا يعتمد عليه لعدم الشاهد الواضح
ومثله في ذكر السبب كثرة العلقم حول حافتي النهر وهو كالقول
بأن عضد الدولة أمر بحفر النهر ووكله إلى رجل اسمه علقمة
فإنها دعاوي لا تعضدها قرينة على أنك عرفت أن التسمية كانت
قبل عضد الدولة.

وحكى في الكبرى الأحمر، ج ٢، ص ١١٢، عن السيد
مجد الدين محمد المعروف بمجدي من معاصري الشيخ البهائي
في كتابه زينة المجالس المؤلف سنة ١٠٠٤ أن الوزير السعيد ابن
العلقمي لما بلغه خطاب الصادق عليه السلام للنهر «إلى الآن تجري وقد
حرم جدي منك» أمر بسد النهر وتخريبه ومن أجله حصل خراب
الكوفة لأن ضياعها كانت تسقى منه.

مشهد الرأس

ذكر أرباب المقاتل أن عمر بن سعد أمر بالرؤوس فقطعت فكانت ثمانية وسبعين رأساً أخذت كندة ثلاثة عشر وأقبلت هوازن باثني عشر وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً وأقبلت بنو أسد بستة عشر رأساً واختصت مذبح بسبعة ولسائر الجيش ثلاثة عشر رأساً^(١).

وساروا بها إلى الكوفة ثم سيّر ابن زياد رأس الحسين ورؤوس من قتل معه من أهله وصحبه مع السبايا إلى يزيد بالشام^(٢).

ولم يترك سيد الشهداء الدعوة إلى الدين وتفنيدهم عمل الظالمين حتى في هذه الحال وهو مرفوع على القناة فكان متمماً لنهضته المقدسة التي أراق فيها دمه الطاهر وقد استضاء خلق كثير

(١) اللهوف: ص ٨١.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٦، ص ٢٦٤، وابن الأثير: ج ٤، ص ٣٤، والبداية لابن كثير: ج ٨، ص ١٩١، ومقتل الخوارزمي مخطوط وإعلام الوري: ص ١٤٨، والإرشاد للمفيد والبحار: ج ١٠، ص ٢٤٣.

من إشراقات رأسه الأزهر:

لهفي لرأسك فوق مسلوب القنا يكسوه من أنواره جلبابا
يتلو الكتاب على السنان وإنما رفعوا به فوق السنان كتابا

ولا غرابة بعد أن كان سيد الشهداء دعامة من دعائم الدين
ومنار هداة وعنه يأخذ تعاليمه ومنه يتلقى معارفه وهو صراطه
المستقيم ومنهجه القويم دونه كانت مفاداته وفي سبيله سبقت
تضحيته فهو حليف القرآن منذ أنشئ كيانه لأنهما ثقلا رسول الله
وخليفته على أمتة وقد نص المشرع الأعظم عليه السلام بأنهما لن يفترقا
حتى يردا عليه الحوض فبذلك كان سلام الله عليه غير مبارح
تلاوته طول حياته في تهذيبه وإرشاده في دعوته وتبليغه في حله
ومرتحله حتى في موقفه يوم الطف ذلك المأزق الحرج بين
ظهراني أولئك الطغاة المتجمهرين عليه ليطم عليهم الحجة
ويوضح لهم المحجة.

هكذا كان يسير إلى غايته المقدسة سيرا حثيثا حتى طفق يتلو
القرآن رأسه الكريم فوق عامل السنان عسى أن يحصل من يكهر به
نور الحق غير أن داعية الحق والرشاد لم يصادف إلا قصرا في
الإدراك وطبعاً في القلوب وصمماً في الآذان ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ﴾.

وبلغ من غلواء ابن زياد وتيهه في الضلال أن أمر بالرأس

الشريف فطيف به في شوارع الكوفة وسككها^(١) يقول زيد بن أرقم كنت في غرفة لي فمروا بالرأس على رمح فسمعتة يقرأ ﴿أَمْرٌ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ ﴿٩﴾ فقف شعري وقلت رأسك أعجب وأعجب^(٢).

ولما صلب في سوق الصيارفة وهناك ضوضاء فأراد ﷺ لفت الأنظار نحوه تنحنح تنحنحاً عالياً فاتجه الناس نحوه وأبهرهم الحال فشرع في قراءة سورة الكهف إلى قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ فلم يزداهم إلا ضلالاً^(٣).

وعجب الحاضرون إذ لم تعهد هذه الفصاحة والإتيان على مقتضى الحال من رأس مقطوع وبقي الناس واجمون لا يدرون ما يصنعون.

ولما صلب على شجرة بالكوفة سمع يقرأ قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

قال هلال بن معاوية سمعت رأس الحسين يخاطب حامله ويقول فرقت رأسي وبدني فرق الله بين لحمك وعظمك وجعلك آية ونكالا للعالمين فرفع اللعين سوطاً وأخذ يضرب بين رأسه المطهر^(٤).

(١) تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٢٦٤.

(٢) إرشاد المفيد.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب.

(٤) شرح قصيدة أبي فراس.

٢٨٨ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وحدث سلمة بن الكهيل أنه سمع رأس الحسين بالكوفة يقرأ وهو مرفوع على الرمح ﴿فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

كما سمعه ابن وكيدة يقرأ القرآن فشك أنه صوته حيث لم يعهد مثله يتكلم فإذا الإمام عليه السلام يخاطبه يابن وكيدة أما علمت أن معاشر الأئمة أحياء عند ربهم يرزقون فزاد تعجبه وحدث نفسه أن يسرق الرأس ويدفنه فنهاه الإمام وقال يابن وكيدة ليس إلى ذلك سبيل إن سفكهم دمي أعظم عند الله من إشهارهم رأسي فذرهم فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون^(٢).

وفي طريقهم إلى الشام نزلوا عند صومعة راهب وفي الليل أشرف عليهم الراهب فرأى نوراً ساطعاً من الرأس الشريف وسمع تسبيحاً وتقديساً وتهليلاً وقائلاً يقول السلام عليك يا أبا عبد الله فتعجب الراهب ولم يعرف الحال حتى إذا أصبح وأراد القوم الرحيل سألهم عن الرأس فأخبروه أنه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة وجده محمد المصطفى فطلب الرأس من خولي الأصبحي فأبى عليه فاسترضاه بمال كثير دفعه إليه وأخذ الراهب الرأس الشريف وقبله وبكى وقال تبا لكم أيتها الجماعة لقد صدقت الأخبار في قولها إذا قتل هذا الرجل تمطر

(١) أسرار الشهادة: ص ٤٨٨.

(٢) تظلم الزهراء.

السماء دماً ثم أسلم ببركة الرأس الطاهر وبعد أن ارتحلوا نظروا إلى الدراهم فإذا هي خزف مكتوب عليها ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(١).

وحدث المنهال بن عمر قال رأيت رأس الحسين بدمشق أمام الرؤوس ورجل يقرأ سورة الكهف فلما بلغ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ وإذا الرأس يخاطبه بلسان فصيح: وأعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي^(٢).

وفي هذا الحال كله لم ينقطع الدم من الرأس الشريف وكان طرياً ويشم منه رائحة طيبة^(٣).

وبالرغم من جد يزيد في محو آثار أهل البيت واحتقار حرم النبوة حتى أنزلهم في الخربة التي لا تكنهم من حرّ ولا برد^(٤) واستعماله القسوة بالرأس المقدس من صلبه على باب الجامع الأموي^(٥) وفي البلد ثلاثة أيام^(٦) وعلى باب داره^(٧).

(١) تظلم الزهراء، والدمعة الساكبة.

(٢) الخصائص الكبرى للسيوطي: ج ٢، ص ١٢٧.

(٣) الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٢٨٤.

(٤) الأنوار النعمانية.

(٥) أمالي الصدوق: ص ١٠٠.

(٦) الخطط المقرزية: ج ٢، ص ١٢٩، والاتحاف بحب الأشراف.

(٧) مقتل العوالم: ص ١٥١.

٢٩٠ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ولم يزل أهل الشام ومن حضر فيها من غيرهم يشاهدون كرامات باهرات من الرأس الزاهر لا تصدر إلا من نبي أو وصي نبي فأخرجهم الموقف خصوصاً بعدما وقفت العقيلة زينب الكبرى سلام الله عليها في ذلك المجلس المغمور بالتمويهات والأضاليل فأفادت الناس بصيرة بنوايا ابن ميسون السيئة وموقفه من الشريعة الطاهرة وأنه لم يرد إلا استئصال آل الرسول حيث لم يشهد في الإسلام مثل هذا الفعل الشنيع خصوصاً مع عيال النبي الكريم ذلك الذي ما زال يهتف في مواقفه الكريمة باحترام المرأة وعدم التعرض لها بسوء وكان عليه السلام يشدد النكير إذا بلغه في مغازيه قتل النساء^(١).

حتى إن جماعة من المسلمين لما استأذنه لقتل ابن أبي الحقيق اذن لهم وأمرهم بعدم التعرض للنساء والصبيان وهم مشركون^(٢).

وعلى سيرته مشى المسلمون وإن سيدهم أمير المؤمنين عليه السلام لما أنزل عائشة في الدار قال له رجل من الأزد والله لا تفلتنا هذه المرأة فغضب أمير المؤمنين وقال صه لا تهتكن ستراً ولا تدخلن داراً ولا تهيجن امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسفهن أمراءكم

(١) صحيح مسلم: ج ٢، ص ٤٨، وموطأ مالك: ج ٢، ص ٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٣، ص ٧.

وصلحاءكم فإنهن ضعاف ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات وإن الرجل ليكافئ المرأة بالضرب فيعيّر بها عقبه من بعده فلا يبلغني عن أحد تعرض لامرأة فأنكل به^(١).

من هذا عرف الناس ضلال يزيد وتيهه في الباطل فأكثروا اللائمة عليه حتى من لم ينتحل دين الإسلام وحديث رسول ملك الروم مع يزيد في مجلسه أحدث هزة في المجلس وعرف يزيد الإنكار منهم وأنه لم تجد فيهم تلك التمويهات وكيف تجدي وقد سمع من حضر المجلس صوتاً عالياً من الرأس المقدس لما أمر يزيد بقتل ذلك الرسول (لا حول ولا قوة إلا بالله^(٢)).

وأي أحد رأى أو سمع قبل يوم الحسين رأساً مقطوعاً ينطق بالكلام الفصيح وهل يقدر ابن ميسون أن يقاوم أسرار الله؟ أو يطفئ نوره تعالى شأنه؟ — كلا —

ولقد أنكرت عليه زوجته هند بنت عمرو بن سهيل وكانت عند عبدالله بن عامر بن كريز وهو ابن خال عثمان بن عفان فإن عامراً وأروى أم عثمان أمهم أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف فأجبره معاوية على طلاقها لرغبة يزيد بها^(٣).

(١) المصدر: ج ٥، ص ٢٢٢.

(٢) مقتل العوالم: ص ١٥٠.

(٣) مقتل الخوارزمي مخطوط وذكر قصة طويلة في تحيل معاوية لأخذها من زوجها وإجباره على الطلاق وليس هذا بغريب من معاوية لمحض رغبة=

٢٩٢ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

فإنها لما أبصرت الرأس الزاهي مصلوباً على باب دارها ورأت الأنوار النبوية تتصاعد إلى عنان السماء وشاهدت الدم يقطر منه طرياً أدهشها الحال وعظم مصابه في قلبها فلم تتمالك دون أن دخلت على يزيد في مجلسه مهتوكة الحجاب وهي تصيح رأس ابن بنت رسول الله على دارنا فقام إليها وغطاها وقال لها أعولي وابكي على الحسين فإنه صريخة بني هاشم عجل عليه ابن زياد^(١).

ورأت في منامها كأن رجالاً نزلوا من السماء وطافوا برأس الحسين يسلمون عليه ولما انتبهت جاءت إلى الرأس فأبصرت نوراً حوله فطلبت يزيد لتقص عليه الرؤيا فإذا هو في بعض الغرف يبكي ويقول ما لي ولحسين وقد رأى مثل ما رأيت^(٢) فأصبح يزيد وملاء أذنه حديث الأندية عن القسوة التي استعملها والجور الشديد فلم ير مناصاً من إلقاء التبعة على عاتق ابن زياد وتبعيداً

= يزيد فلقد روى ابن زيدون في شرح قصيدة ابن عبدون، ص ١٧٢، وابن قتيبة في السياسة والإمامة: ج ١، ص ١٦١، أن أرينب كانت تحت عبدالله ابن سلام القرشي فرغب يزيد فيها لجمالها المفرط فأجبره معاوية على الطلاق ورواها النوري في نهاية الأرب، ج ٦، ص ١٨٠، وسماها زينب بالزاء المعجمة.

(١) مقتل العوالم: ص ١٥١، وتاريخ الطبري: ج ٦، ص ١٥٠.

(٢) البحار: ج ١٠، ص ٢٤٦.

للسببة عنه ولكن الثابت لا يزال وهذا هو السر في إنشاء كتاب صغير وصفه المؤرخون بأنه مثل (أذن الفأرة) أرفقه بكتابه الكبير إلى الوالي بأخذ البيعة من المدينة عامة وفي الكتاب الصغير إلزام الحسين بالبيعة وإن أبي تضرب عنقه^(١).

وليس الغرض من إنشاء الكتاب الصغير إلا أن يزيد لما كان عالماً بأن النبي ﷺ لم يجعله خليفة ولا كانت بيعته مما اتفق عليها صلحاء الوقت وأشراف الأمة وما صدر من الموافقة منهم يوم أرادها أبوه معاوية إنما هو للوعيد والتهديد فأراد يزيد أن يخلي رسمياته عن الأمر بقتل الحسين بحيث لو صدر ذلك من عامله ولامه الناس وخطأوه تذرع بالعذر بخلو كتابه للعامل بهذا الفعل وإنما هو شيء جاء به من قبل نفسه وكان له المجال حينئذ في إلقاء التبعة على العامل.

ولكن هلم واقراً العجيب الغريب في إحياء العلوم، ج ٣، ص ١٠٦، في الآفة الثامنة من آفات اللسان فهناك ترى الغزالي تائهاً في الغلواء لما وشجت عليه عروق النصب والتحيز إلى الأمويين فأبى أن يلعن قاتل الحسين حتى على الإجمال فيقال (لعنة الله على قاتل الحسين) معللاً باحتمال موته بعد التوبة وقد فاته أن

(١) الطبري: ج ٦، ص ١٨٨، وابن الأثير: ج ٤، ص ٥، والبداية: ج ٨،

٢٩٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

التائب إن قبلت توبته لا يشملہ اللعن فإذن أي بأس إذا قيل لعنة الله على قاتل الحسين لولا ذلك العداء المحتدم بين الجوانح والبغض لأهل هذا البيت الطاهر.

وأغرب من ذلك قياسه يزيد بوحشي قاتل حمزة أسد الله وأسد رسوله فقال فيه إن وحشي تاب عن الكفر والقتل جميعاً ولا يجوز أن يلعن مع أن القتل كبيرة فإذا لم يقيده بالتوبة وأطلق كان فيه خطر. إلخ.

لا قياس بين يزيد ووحشي فإن وحشياً قتل حمزة وهو كافر فلما أسلم سقطت عنه كل تبعة كانت عليه لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف يزيد فإنه قتل الحسين وهو يظهر الإسلام وقد ارتد بقتله إما لأن الحسين إمام معصوم أو لتشفيه بذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله بما صنعه مع خاله وجده يوم بدر على أن من المقطوع به أن من باء بذلك الإثم العظيم وهو قتل الحسين لا يتوفق للتوبة نهائياً فإنه من الذنوب التي لا تدع صاحبها أن يتحيز إلى خير أبداً كما أن من المقطوع به أن وحشياً وإن أظهر الإسلام أمام الرسول وسكت عنه النبي وقال غيب وجهك عني فلا يختم له بالصلاح والسعادة أبداً ولا يأتي يوم القيامة وعليه شارة الهدى وقد قتل سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب الشاهد للأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة.

كيف لا يلعن يزيد وقد جوز العلماء المنقبون لعنه وصرحوا
بخروجه عن طريقة الإسلام كما أفصح عن ذلك شعره فإنه لما
وردت عليه سبايا آل الرسول وأشرفوا على ثنية جيرون ونعب
الغراب قال^(١):

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشمس على ربي جيروني
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فقد اقتضيت من الرسول ديوني
فمن أولئك العلماء القاضي أبو يعلى وأحمد بن حنبل وابن
الجوزي^(٢) والكيه الهراسي^(٣) والشيخ محمد البكري وسعد
التفتازاني^(٤) وسبط ابن الجوزي^(٥).

وقال الجاحظ إن المنكرات التي اقترفها يزيد من قتل الحسين
وإخافته أهل المدينة وهدم الكعبة وحمل بنات رسول الله سبايا
وقرعه ثنانيا الحسين بالعود هل تدل هذه القسوة والغلظ على
نصب وسوء رأي وحقد وبغضاء ونفاق ويقين مدخول؟ أم تدل
على الإخلاص وحب النبي والحفظ له وصحة السيرة؟ وعلى هذا

(١) روح المعاني: ج ٨، ص ١٢٥، في تفسير قوله تعالى ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ إلخ.

(٢) تذكرة الخواص: ص ١٦٢.

(٣) ابن خلكان.

(٤) السيرة الحلبيّة: ج ١، ص ١٧٢.

(٥) التذكرة.

٢٩٦العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

فلا يعدو الفسق والضلال وذلك أدنى منازلهم . فالفاسق ملعون
ومن نهى عن شتم الملعون فملعون^(١) .

وقال العلامة الألويسي لا توقف في لعن يزيد لكثرة أوصافه
الخبیثة وارتكابه الكبائر في جميع أيام تكاليفه ويكفي ما فعله أيام
استيلائه بأهل المدينة ومكة والطامة الكبرى ما فعله بأهل البيت
ورضاه بقتل الحسين على جده وعليه أفضل الصلاة والسلام
واستبشاره بذلك وإهانته بأهل بيته مما تواتر معناه والذي يغلب
على ظني أن الخبيث لم يكن مصدقاً بالرسالة وإن مجموع ما فعله
مع أهل حرم الله وأهل نبيه وعترته الطيبين الطاهرين في الحياة
وبعد الممات وما ورد منه من المخازي ليس بأضعف دلالة على
عدم تصديقه من إلقاءه ورقة من المصحف الشريف في قدر ولا
أظن أمره خافياً على أجلة المسلمين إذ ذاك ولكن كانوا مغلوبين
مقهورين لم يسعهم إلا الصبر ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

ولو سلم أن الخبيث كان مسلماً فهو مسلم جمع من الكبائر
ما لا يحيط به نطاق البيان وأنا أذهب إلى جواز لعن مثله على
التعيين ولو لم يتصور أن يكون له مثل من الفاسقين والظاهر أنه
لم يتب واحتمال توبته أضعف من إيمانه .

ويلحق به ابن زياد وابن سعد وجماعة فلعنة الله عليهم

(١) رسائل الجاحظ : ص ٢٩٨ ، الحادية عشرة في بني أمية .

أجمعين ، وعلى أنصارهم وشيعتهم ومن مال ميلهم إلى يوم الدين ما دمعت عين على أبي عبدالله الحسين ويعجبني قول شاعر العصر عبد الباقي أفندي العمري :

يزيد على لعن عريض جناية فأغدو به طول المدى ألعن اللعنا
ومن يخشَ القيل والقال بلعن ذلك الضليل فليقل لعن الله من
رضي بقتل الحسين ومن آذى عترة النبي بغير حق ومن غصبهم
حقهم فإنه يكون لاعناً له لدخوله تحت العموم دخولاً أولياً في
نفس الأمر .

ولا يخالف أحد في جواز اللعن بهذه الألفاظ سوى ابن
العربي المالكي وموافقيه فإنهم على ظاهر ما نقل عنهم يجوزون
لعن من رضي بقتل الحسين وذلك لعمرى هو الضلال البعيد الذي
كاد يزيد على ضلال يزيد إلخ^(١) .

وبعد هذا فهل يتوقف أحد عن لعن يزيد والبراءة منه وإن كان
فليس هؤلاء إلا أصحاب الضلال والعناد أعاذ الله أوليائه من شر
الحقد .

لما كثرت اللائمة على يزيد خشي الفتنة وانقلاب الأمر
فتداركه بإرجاع السجاد والعيال إلى وطنهم ومكنهم مما يريدون

(١) روح المعاني : ج ٨ ، ص ١٢٥ ، في تفسير قوله تعالى ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ الآية .

٢٩٨ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

من الرجوع برأس الحسين إلى كربلاء ودفنه مع الجسد ولم يختلف في ذلك اثنان من علماء الإمامية المعروفين بالبحث والتنقيب ومن هنا نسبة المجلسي في البحار إلى المشهور بين العلماء وفي روضة الواعظين ص ١٦٥، قال رد الرأس إلى الجسد وقال ابن نما في مثير الأحزان، ص ٥٨، إنه المعول عليه وفي اللهوف لابن طاووس ص ١١٢: عليه عمل الإمامية وقال ابن شهر آشوب في المناقب، ج ٢، ص ٢٠٠: ذكر المرتضى في بعض رسائله أن رأس الحسين أُعيد إلى بدنه في كربلاء وقال الطوسي ومنه زيارة الأربعين وفي مقتل العوالم ص ١٥٤، أنه المشهور بين علمائنا وهو ظاهر الطبرسي في إعلام الوري، ص ١٥١، والسيد في رياض المصائب.

وأما باقي الرؤوس فلم يتعرض لها أرباب المقاتل ولكن في نفس المهموم ص ٢٥٣، ورياض الأحزان ص ١٥٥، عن حبيب السير أن يزيد سلم جميع الرؤوس إلى علي بن الحسين فألحقها بالأبدان الطاهرة في العشرين من صفر ثم توجه إلى المدينة.

ولعل الاعتبار يساعده فإن يزيد لما نقم عليه الناس وكثر الاضطراب لم ير بدأً من موافقة الإمام السجاد على كل ما يريد وإخراجهم من الشام عاجلاً.

نعم ذكر العلامة السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٢٩٠، قسم أول أنه رأى في سنة ١٣٢١ هـ في المقبرة

مشهد الرأس ٢٩٩

المعروفة بمقبرة باب الصغير بدمشق مشهداً وضع على بابه صخرة مكتوب عليها «هذا مدفن رأس العباس بن علي ورأس علي الأكبر بن الحسين ورأس حبيب بن مظاهر».

قال «ثم إنه انهدم بعد ذلك بسنين هذا المشهد وأعيد بناؤه وأزيلت هذه الصخرة وبني ضريح داخل المشهد ونقش عليه أسماء كثيرة لشهداء كربلا ولكن الحقيقة أنه منسوب إلى الرؤوس الشريفة الثلاثة المقدم ذكرها بحسب ما كان موضوعاً على بابه كما مر وهذا المشهد الظن القوي بصحة نسبته لأن الرؤوس بعد حملها إلى دمشق والطواف بها وانتهاء غرض يزيد من إظهار الغلبة والتنكيل بأهلها والتشفي لا بد أن تدفن في إحدى المقابر فدفنت هذه الرؤوس الثلاثة في مقبرة باب الصغير وحفظ محل دفنها والله أعلم) إلخ.

هذا ما ذكره السيد أيده الله ولو اطلع على حبيب السير لاعتقد عدم صحة الدفن هناك على أن التغيير الذي ذكره يدلنا على أن الحفظة لذلك المشهد لهم غرض آخر وليس بالمستبعد أن ذلك المشهد محل صلب الرؤوس.

وحقيق أن يقال في كل منها:

هامة في الحياة طاولت الشهب وما نالها هبوب الرياح
أنفت بعد موتها الترب فاختارت لها مسكناً رؤوس الرماح

٣٠٠ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

مشهد الكفّين

لم يفتأ شيعة أهل البيت عليهم السلام كما أنهم يقتصون آثارهم في معارفهم وتعاليمهم يتبركون بتعيين كل ما يتعلق بهم من مشهد أو معبد أو مقام فيتبعونها بالحفاوة والتبجيل ويرون ذلك من متممات الولاء ولوازم الاتباع والمشايعة.

وهو كما يرون لأنه إما مشهد يزار أو معبد يقصد للعبادة أو محل مسرة فيسرهم ذلك أو موقف مأساة فيستاؤون لهم وهذا هو التشيع المحض والاقتراد الصحيح.

ومن ذلك ما نشأه في كربلاء المشرفة من المقام (الكفّي أبي الفضل) اللتين تناقلت حديثهما الألسن وأخذ الخلف عن السلف والسيرة المستمرة بين الإمامية كافية في القطع بثبوت (المقامين) ولولاها لانتقض الأمر في كثير من المشاهد والمعابد والمقامات.

يقع مقام (الكف اليمنى) في جهة الشمال الشرقي على حد

٣٠٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

محلة باب بغداد ومحلة باب الخان قريباً من باب الصحن المطهر الواقعة في الجهة الشرقية وعلى جدار المقام شباك صغير وعلى جبهته بيتان بالفارسية لم يكتب اسم ناظمهما ولا تاريخ البناء ولا وضع الشباك والبيتان:

افتاد دست راست خدا يا زپيكرم

بر دا من حسين پيسان دست ديگرم

دست چپم بجاست اگريست دست راست

اما هزار حيف كه يك دست بيصداست

ويقع مقام (الكف اليسرى) في السوق الصغير القريب من الباب الصغير للصحن الواقعة في الجنوب الشرقي ويعرف بسوق باب العباس الصغير وعلى الجدار شباك وكتب بالقاشاني عليه (هذا نظم الشيخ محمد المعروف بالسراج).

سل إذا ما شئت واسمع واعلم
إن في هذا المقام انقطعت
ههنا يا صاح طاحت بعدما
أجر دمع العين وابكيه اسأ
ثم خذ مني جواب المفهم
يسرة العباس بحر الكرم
طاحت اليمنى بجنب العلقم
حق أن يبكي بدمع عن دم

الزيارة

ذكرنا في ما تقدم أن الزيارة من المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام ولكمال فضله وعلمه الجم وورعه الموصوف وكراماته الخارجة عن حد الإحصاء كان في المثل حول مرقد الأقدس بداعي الزلفى إلى المولى تعالى مزيد لرسوخ العقيدة بأمر الدين وتعريف للأمة بما وجب من حق الله تعالى على خلقه وأن العبد كيف يجب عليه بذل ذاته في مرضاة الله عز وجل .

ثم إن الزيارة وإن كانت مجرد الحضور عند المزور والسلام عليه بأي لفظ جاء به المسلم كما يؤيده حديث مسلم بن ظبيان عن الصادق عليه السلام إذا أتيت القبر يعني قبر الحسين فقل صلى الله عليك أبا عبدالله فقد تمت زيارتك^(١) . ولكن الألفاظ الواردة عن أهل البيت يلزم الاحتفاظ بها لأنها اشتملت على ما يناسب مقام المزور من الخواص وما له من جهاد نافع في سبيل الدين مضافاً إلى ما فيها من التأدب عند أداء السلام عليه .

(١) أسرار الشهادة: ص ١٤٦ .

٣٠٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

فالقول المأثور من أهل البيت عليهم السلام في السلام عليهم أو على أحد أولادهم أو أصحابهم راجح ومن هنا أفتى صاحب الوسائل فيها وخاتمة المحدثين النوري في المستدرک باستحباب زيارة الحسين بالزيارة المأثورة وآدابها ولا خصوصية له على غيره من أئمة الهدى عليهم السلام وبذلك المناط يتسرى إلى غيرهم .

ومن يقرأ ما ورد عن الإمام الصادق في زيارة أبي الفضل بتدبر وإمعان يعرف رجحان الأخذ بقوله عليه السلام وأن الزائر مهما يبلغ من المعرفة والكمال لا يحيط خبراً بحقيقة أبي الفضل وما يليق بجليل قدره وعظيم منزلته ومن هنا كان الراجح للزائر عند زيارة العباس أن يقف مواجهاً له مستدبراً القبلة كما هو الشأن في زيارة المعصومين وهو مقتضى التأدب أمام «قمر بني هاشم» فإن زيارته ميتاً كزيارته حياً والشهداء ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ولا شك أنه لو كان حياً ودخل عليه الزائر فلا يسلم عليه إلا مواجهاً له .

ويشهد لذلك ما في مزار البحار، ص ١٦٥، عن المفيد وابن المشهدي والشهيد الأول أنهم قالوا إن الزائر للعباس يقف أولاً على باب السقيفة ويستأذن للدخول فيقول سلام الله وسلام ملائكته . إلخ . ثم يدخل وينكب على القبر ويقول السلام عليك أيها العبد الصالح . إلخ ثم ينحرف إلى عند الرأس فيصلي ويدعو ويعود إلى الضريح ويقف عند الرجلين ويقول السلام عليك يا أبا الفضل العباس إلخ .

وقد يدعى أن هذه العبارة وما رواه ابن قولويه عن أبي حمزة الشمالي يقتضي الوقوف على قبر العباس من دون تخصيص بجهة من الجهات فإن العبارة «ثم ادخل وانكب على القبر وقل إلخ» ولم يبين كيفية الانكباب هل أنه من جهة القبلة كما هو شأن زيارة الإمام المعصوم أو من جهة عكسها أو من جهة الرجلين أو الرأس .

إلا أن المنصرف من الإطلاق إرادة جهة القبلة خصوصاً لو كان الباب الذي يدخل منه إلى الروضة المطهرة في ذلك الزمان كما عليه اليوم وحينئذ تكون زيارة أبي الفضل على حد زيارة المعصوم مواجهاً له مستدبر القبلة .

فالتوقف عن رجحان مواجهته حال الزيارة في غير محله واستظهار المجلسي تخيير الوقوف في زيارته محل المناقشة فإنه لم يرد عن الأئمة خبر بالتفصيل بين المعصوم وغيره باستحباب المواجهة له في الأول واستقبال القبلة في الثاني .

وغاية ما ورد في زيارة الحسين وأبيه عليهما السلام مواجهة القبر وجعل القبلة بين كتفيه وهناك أخبار مطلقة بالوقوف على قبريهما كإطلاقها على قبري الجوادين والعسكريين والرضا عليه السلام .

فلا تخصيص للمعصوم على غيره وما ورد في صفة زيارة المؤمنين من استقبال القبلة ووضع اليد على القبر والتوقيع المروي في الإقبال عن صاحب الزمان عجل الله فرجه : إذا أردت

٣٠٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

زيارة الشهداء فقف عند رجلي الحسين فاستقبل القبلة بوجهك
فإن هناك حومة الشهداء وأومئ وأشر إلى علي بن الحسين وقل
السلام عليك يا أول قتيل من نسل خير سليل . إلخ .

أخص من المدعى على أن الاعتبار يشهد بأن السلام والثناء
على المزور يستدعي مواجهته لا استدباره وكيف يكون الحال
فأبو الفضل ممتاز عن سائر المؤمنين بخواص لا يأتي البيان على
حصرها كيف وقد بلغ من الدرجات الرفيعة ما يغبطه عليها جميع
الشهداء والصديقين وقد أعلمنا الإمام الصادق بالزيارة التي
علمها أبا حمزة الثمالي بأن لأبي الفضل مكانة سامية ودرجات
عالية لا ينالها إلا أولو العزم من الرسل فرجحان مواجهته عند
السلام عليه متعين كما هو الحال في أئمة الهدى عليهم السلام وبذلك أفتى
شيخنا الحجة الشيخ عبد الحسين مبارك قدس سره في بشارة
الزائرين ثم قال (ولعمر أبيه الطاهر صلوات الله وسلامه عليهما
إنه بذلك لحقيق جدير فإنه ابن سيد الوصيين والمواسي ريحانة
خير الخلق أجمعين عليهم السلام) .

ومن هنا كان بعض العارفين من العلماء الأعلام يقدم زيارة العباس
على زيارة الحسين لأنه باب في الحوائج وهو في محله وعليه العمل منذ
عهد قديم وفي هذا يقول الأديب السيد مهدي الأعرجي رحمته الله .

قصدتك قبل ابن النبي محمد وأدمع عيني كالحيا في انسكابها
لأنك في كل الحوائج بابه وهل يقصدون الدار من غير بابها

صلاة الزيارة

إن من الراجح المؤكد صلاة ركعتين بعد الفراغ من زيارة أبي الفضل عليه السلام ويشهد له ما في مزار البحار ص ١٦٥ عن مزار المفيد وابن المشهدي من الرواية عن الأئمة عليهم السلام في كيفية زيارته وبعدها قال ثم انحرف إلى عند الرأس فصلّ ركعتين ثم صل بعدهما ما بدا لك .

وذكر السيد ابن طاووس في مصباح الزائر الصلاة ركعتين بعد الفراغ من الزيارة .

كما أن الشيخ المفيد وابن المشهدي وابن طاووس ذكروا في مزاراتهم عند زيارة العباس يوم عيد الفطر والأضحى وليلة عرفة ويومها الأمر بركعتي الزيارة بعد الفراغ منها .

وجاء في زيارة الأربعين أن جابراً الأنصاري زار العباس بن أمير المؤمنين ثم صلى ركعتين ومن البعيد جداً أن يكون الحكم ممنوعاً منه عند الأئمة ولا يعلمه مثل جابر المتخرج من

٣٠٨العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

مدرستهم الكبرى أو أنه كان يغض الطرف عن هذا المنع بل
ظاهر الفعل منه أنهما ركعتا الزيارة وأنه لما علمه من أئمة فسار
على نهجهم.

وإن من المستبعد جداً أن يثبت هؤلاء الأعاظم وهم عمد
المذهب المنقبون في الآثار مثل هذه الوظائف من دون تخريج
عن أئمتهم بحيث يتورطون في التشريع المحرم والبدعة التي لا
تقال عشرتها (كلا وحاشا) بل لم يودعوا في كتبهم ومزاراتهم إلا
ما وقفوا عليه عن أئمتهم وإن لم نحط به خيراً بكثير مما وقفوا
عليه.

وقد ذكر السيد ابن طاووس في آخر مصباح الزائر أن ما وقع
اختياره عليه في هذا الكتاب قد وصل على الوجه الذي استحسنته
واعتمد عليه من جهة الرواية.

وذكر ابن المشهدي في أول مزاره أن ما أودعه في الكتاب ما
حصل لديه من الروايات الواردة عن أئمة الهدى.

إذن فكيف يسعنا نسبة ما أودعوه في كتبهم إلى محض آرائهم
من دون تخريج عن أهل البيت.

ولقد أفادنا بصيرة في تأكيد هذا شيخ المحققين الشيخ أسد
الله الكاظمي قدس سره في (كشف القناع) ص ٢٣٠ وحاصل ما
ذكره أن من الجائز أن يحصل لبعض حملة أسرار الأئمة العلم

بقول الإمام الغائب عن الأبصار إما بنقل أحد سفرائه سرّاً على وجه يفيد اليقين وإما بتوقيعه ومكاتبته كذلك وإما بالسماع منه عليه السلام مشافهة على وجه لا ينافي الرؤية في زمن الغيبة فلا يسعه التصريح بما حصله من الحكم على هذه الوجوه ولم يجد في الأدلة ما يدل عليه ولم يكن مخصوصاً بذلك الحكم وممنوعاً عن إظهاره لسائر الناس فلا مندوحة حينئذ من إظهار هذا الذي اطلع عليه بصورة الاتفاق عليه والتسالم وهذا هو الأصل في كثير من الزيارات والآداب والأعمال المعروفة التي تداولت بين الإمامية ولا مستند ظاهراً من أخبارهم ولا من كتب قدمائهم الواقفين على آثار الأئمة وأسرارهم .

ومن ذلك ما رواه والد العلامة الحلبي والسيد ابن طاووس عن السيد الكبير العابد رضيّ الدين محمد بن محمد الأزدي الحسيني المجاور بالمشهد الأقدس الغروي عن صاحب الزمان في طريق الاستخارة بالسبحة وكما سمعه منه صلوات الله عليه ابن طاووس في السرداب وكدعاء العلوي المصري المعروف الذي علمه محمد بن علي العلوي الحسيني المصري في حائر الحسين وقد أتاه في خمس ليالٍ حتى تعلمه .

وهذا هو الأصل في كثير من الأقوال المجهولة القائل فيكون المطلع على قول الإمام لما وجدته مخالفاً لما عليه الإمامية أو معظمهم ولم يتمكن من إظهاره على وجهه وخشي أن يضيع الحق

٣١٠.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

جعله قولاً من أقوالهم واعتمد عليه وأفتى به من دون تصريح بدليله .

فتحصل من ذلك أن العلماء لم يدعوا في كتبهم حكماً من الأحكام من دون أن يعثروا عليه عن أئمتهم وقد يكون بطريق المشافهة من إمام العصر أرواحنا له الفداء فما ذكره المشايخ المتقدمون في مزاراتهم من صلاة ركعتي الزيارة بعد الفراغ من زيارة أبي الفضل لا ينبغي الوقفة في رجحانه عند أهل البيت إذ لعله وصل إليهم بالخصوص وإن جهلنا طريق الوصول إليهم .

ولو تنازلنا عن ذلك لدلنا حديث أبي حمزة الشمالي المروي في كامل الزيارة ص ٢٤٠ عن الإمام الصادق الواردة في زيارة الحسين المشتملة على المقدمات والمقارنات الكثيرة وفيه قال الصادق:

(فإذا فرغت فصلّ ما أحببت إلا أن ركعتي الزيارة لا بد منهما عند كل قبر) فإنه أثبت بعمومه رجحان ركعتي الزيارة عند كل مزور وليس له مخصص يدفع العموم .

وخلو بعض الروايات الواردة في زيارة غير المعصومين من التعرض لركعتي الزيارة لا ينهض لمصادمة العموم فالعام محكم في موارده حتى يجيء المخصص المخرج .

كما أن خلو رواية أبي حمزة الشمالي الواردة في زيارة

العباس عليه السلام عن ذكر صلاة الزيارة لا يدل على عدم المشروعية .
والتنصيص في زيارة المعصومين لا يدل على عدم المشروعية
في غيرهم .

فهذا العموم وما ذكر في مزارات من تقدم ذكرهم من النص
عليها كافٍ في المشروعية والرجحان .

فما حكي عن بعض معاصري العلامة المجلسي من منع
صلاة الزيارة لغير المعصومين مستدلاً بخلو الأخبار الواردة في
زياراتهم عنها في غير محله لما عرفت من الدليل عليه مضافاً إلى
ما حكاه المجلسي في مزار البحار ص ١٨٠ عن مؤلف المزار
الكبير عن صفوان الجمال عن الصادق عليه السلام من الأمر بصلاة
ركعتي الزيارة بعد الفراغ من زيارة علي الأكبر ويتم في أبي
الفضل بعدم القول بالفصل .

وفيه عن المزار الكبير ومزار الشهيد بعد ذكر زيارة مسلم بن
عقيل قال ثم انحرف إلى عند الرأس فصلّ ركعتين ثم صل
بعدهما ما بدا لك وظاهره أن الركعتين للزيارة ولكنه نقل عن
مزار السيد ابن طاووس التصريح بذلك فإنه بعد الفراغ من الزيارة
قال ثم تقبل الضريح وتصلي صلاة الزيارة وتهدي ثوابها له ثم
تودعه وتنصرف .

وفي مزار البحار عند ذكره زيارة هاني بن عروة قال ثم صلّ

٣١٢.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

صلاة الزيارة واهدّها له وادعُ لنفسك بما شئت وودعه وانصرف .

وعلى ما تقدم من أن هؤلاء الأعلام لم يودعوا في مزاراتهم
إلا ما رووه عن أئمتهم أو وجدوه مروياً واعتمدوا عليه .

يتضح لنا رجحان ركعتي الزيارة لمسلم وهاني على أن
الإطلاق المذكور يشملهما .

فإذن في أبي الفضل عليه السلام بطريق أولى .

تقبيل القبر

مما يدل على رجحان تقبيل قبر العباس ابن أمير المؤمنين ما رواه في مزار البحار ص ١٨٠ عن مؤلف المزار الكبير عن صفوان الجمال عن الصادق عليه السلام وساق الزيارة للحسين إلى أن قال ثم تأتي إلى قبر العباس بن علي وتقول السلام عليك أيها الولي إلى أن قال: (ثم تنكب على القبر وتقبله وتقول بأبي وأمي يا ناصر دين الله السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين السلام عليك يا ناصر الحسين الصديق السلام عليك يا شهيد ابن الشهيد السلام عليك مني أبداً ما بقيت وصلى الله على محمد وآله وسلم).

وفيه كفاية لمن يتطلب النص على المشروعية والرجحان ويضاف إليه ما ذكره المفيد وابن المشهدي وابن طاووس في مزاراتهم فإنهم قالوا بعد الاستئذان ثم ادخل وانكب على القبر وقل السلام عليك أيها العبد الصالح. إلخ.

ولهذا وأمثاله كان شيخ المحققين ونخبة المرتاضين مجدد المذهب في المائة الثانية عشرة محمد باقر البهبهاني إذا دخل إلى

٣١٤.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

حرم أبي الفضل عليه السلام يقبل عتبة الباب كما يفعل في حرم سيد الشهداء عليه السلام ^(١) وفعل هذا المتبحر حجة وعمله أكبر برهان لمن يتبع الحق (إن من يهدي إلى الحق أحق أن يتبع).

(١) أسرار الشهادة: ص ٦٦.

أولاده وأحفاده

كان للعباس من الأولاد خمسة عبيد الله والفضل^(١) والحسن^(٢) والقاسم^(٣) وبنـت^(٤) وعدّ ابن شهر آشوب من الشهداء في الطف ولد العباس محمد فأما عبيد الله والفضل فأمهـما لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وأمها أم حكيم جويرية بنت خالد بن قرظ الكنانية .

كانت من أجمل النساء وأوفرهن عقلاً ولما قتل بسر بن أرطاة ولديها عبد الرحمن وقثماً وكانا صبيين صغيرين وهي تنظر إليهما فقدت الصبر وأخذها الوجد فكانت تدور في البيت ناشرة

(١) أما عبيد الله فذكره أهل النسب والمقاتل وأما الفضل فذكره صاحب الناسخ والوزير بهامش مقاتل الطالبين .

(٢) ذكره الشيخ الفتوني في حديقة النسب ومعارف ابن قتيبة : ص ٩٦ ، أمه أم ولد .

(٣) ذكر عن بعض كتب المقاتل .

(٤) حدائق الأنس .

شعرها وتقول في رثائهما^(١):

يا من أحس بابنيّ اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحس بابنيّ اللذين هما سمعي وقلبي فمخي اليوم مختطف
نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
أنحى على ودجنيّ ابنيّ مرهفة مشحوذة وكذاك الإفك يقتترف
حتى لقيت رجالاً من أرومته شم الأنوف لهم في قولهم شرف
فالآن العن بسراً حق لعنته هذا لعمر أبي بسر هو السرف
من دل والهة حرى مولهة على صبيين ضلاً إذ غدا السلف

فسمع قولها هذا رجل من أهل اليمن فرق لها واتصل ببسر
حتى وثق به ثم احتال لقتل ابني بسر فخرج بهما إلى وادي
أوطاس فقتلهما وهرب وقال^(٢):

يا بسر بسر بني أرطاة ما طلعت شمس النهار ولا غابت على الناس
خير من الهاشميين الذين هم عين الهدى وسمام الأسواق القاسي
ماذا أردت إلى طفليّ مولهة تبكي وتنشد من أثكلت في الناس
أما قتلتها ظلماً فقد شرقت من صاحبك قناتي يوم أوطاس
فاشرب بكاسهما ثكلى كما شربت أم الصبيين أو ذاق ابن عباس

ولما بلغ قتلها أمير المؤمنين دعا على بسر فقال اللهم اسلبه

(١) مروج الذهب: ج ٢، ص ٦٦.

(٢) الأغاني: ج ١٥، ص ٤٥.

أولاده وأحفاده ٣١٧.

دينه وعقله فخرف بسر حتى كان يلعب بخرئه ويقول لمن حضر انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان ابنا عبيدالله هذا الخرق فشدوا يديه إلى ورائه ليمنع من ذلك فأنجا يوماً في مكانه وأهوى بفمه ليتناول منه فمنع منه فقال أنتم تمنعوني وعبد الرحمن وقثم يطعماني وبقي على هذا حتى مات في سنة ٨٦هـ أيام الوليد بن عبد الملك^(١).

خلف على لبابة بعد أبي الفضل عليه السلام زيد بن الحسن بن أمير المؤمنين فأولدها نفيسة تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان^(٢).

فولدت له ولداً فكان زيد بن الحسن يفد إلى الوليد ويجلس معه على السرير ويكرمه لمكان ابنته عنده ووهب له ثلاثين ألف دينار دفعة واحدة^(٣).

وخلف عليها بعد زيد بن الحسن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فولدت له القاسم^(٤).

واتفق أرباب النسب على انحصار عقب العباس ابن أمير

(١) مروج الذهب: ج ٢، ص ١٥٥.

(٢) تذكرة السبط: ص ٢٢٣.

(٣) سر السلسلة.

(٤) المجدي

٣١٨ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المؤمنين في ولده عبيد الله وزاد الشيخ الفتوني العقب للحسن بن العباس وكان عبيدالله من كبار العلماء موصوفاً بالجمال والكمال والمروءة مات سنة ١٥٥ هـجـ^(١).

تزوج من ثلاث عقائل كرام رقية بنت الحسن بن علي وبنت معبد بن عبدالله بن عبد المطلب وبنت المسور بن مخزوم الزبيري^(٢) ولعبيدالله هذا منزلة كبيرة عند السجاد كرامة لموقف أبيه (قمر بني هاشم) وكان إذا رأى عبيد الله رق واستعبر باكياً فإذا سئل عنه قال إنني أذكر موقف أبيه يوم الطف فما أملك نفسي.

وانحصر عقب عبيدالله في ولده الحسن وكان لأم ولد عاش سبعا وستين سنة. أولد الحسن بن عبيد الله بن العباس خمسة ١ - الفضل ٢ - حمزة ٣ - ابراهيم ٤ - العباس ٥ - عبيدالله وكلهم أجلاء فضلاء أدباء.

فأما الفضل فكان لساناً متكلماً فصيحاً شديد الدين عظيم الشجاعة محتشماً عند الخلفاء ويقال له ابن الهاشمية^(٣) أعقب من ثلاثة جعفر والعباس الأكبر ومحمد ولكل منهم أولاد فيهم الأدباء^(٤).

(١) المجدي.

(٢) ذخيرة الدارين.

(٣) المجدي.

(٤) عمدة الطالب.

فمنهم أبو العباس الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس كان خطيباً شاعراً وقع عقبه إلى قم وطبرستان وله أبيات في موقف جده العباس يوم الطف نذكرها في فصل المديح.

وأما حمزة فيشبهه جده أمير المؤمنين خرج توقيع المأمون بخطه وفيه: يعطى لحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين ألف درهم لشبهه بجده أمير المؤمنين تزوج زينب بنت الحسين بن علي بن عبدالله بن جعفر الطيار المعروف بالزيني نسبة إلى أمه زينب بنت أمير المؤمنين وكان حفيده محمد ابن علي بن حمزة متوجهاً شاعراً نزل البصرة وروى الحديث عن الرضا وغيره مات سنة ٢٨٦^(١) وسيأتي في ترجمة ابن أخيه الحمزة صاحب المشهد بقرب الحلة أن أم صاحب الزمان التجأت إلى بيته وترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ج ٢، ص ٦٣، وقال كان راوية للأخبار وهو صدوق وله الرواية عن جماعة كثيرة وفي تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٣٥٢، وصفه بالعلوي البغدادي ونقل عن ابن أبي حاتم أنه صدوق ثقة.

وأما ابراهيم ويعرف بجردقة كان من الفقهاء الأدباء والزهاد وابنه علي أحد الأجواد له جاه وشرف مات سنة ٢٦٤ أولد تسعة

(١) عمدة الطالب.

٣٢٠العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

عشر ولداً ومن أحفاده أبو الحسن علي بن يحيى بن علي بن ابراهيم جردقة كان خليفة أبي عبدالله بن الداعي على النقابة ببغداد^(١).

وعبدالله بن علي بن ابراهيم جردقة جاء إلى بغداد ثم سكن مصر وكان يمتنع من التحدث بها ثم حدث وعنده كتب تسمى الجعفرية فيها فقه على مذهب الشيعة توفي في مصر في رجب سنة ثلاثمائة واثنى عشر^(٢).

وقال أبو نصر البخاري في سر السلسلة في العباس بن الحسن بن عبيدالله بن العباس السقاء ما رأي هاشمي أعضب لساناً منه ولا أجراً.

قدم بغداد في أيام الرشيد وأقام في صحبته ثم صحب المأمون بعده وكان من رجال بني هاشم فصاحة وشعراً^(٣) ولجلالته وفضله وبلاغته وفصاحته يكنى عند الرشيد^(٤) ومن شعره في إخوان أبي طالب لعبدالله والد الرسول الأقدس عليه السلام^(٥):

(١) عمدة الطالب.

(٢) تاريخ بغداد: ج ١٠، ص ٣٤٦.

(٣) تاريخ بغداد: ج ١٢، ص ١٢٦.

(٤) عمدة الطالب.

(٥) تاريخ بغداد: ج ١٢، ص ١٢٦، والحجة على الذهاب: ص ٦٦.

إنا وإن رسول الله يجمعنا أب وأم وجدّ غير موصوم
جاءت بنا ربة من بين أسرته غراء من نسل عمران بن مخزوم
حزنا بها دون من يسعى ليدركها قرابة من حواها غير مسهوم
رزقاً من الله أعطانا فضيلته والناس من بين مرزوق ومحروم
وفي المجدي مما رثى به أخاه محمداً:

واری البقیع محمد لله ما واری البقیع
من نائل وندي ومعروف إذا ضنّ المنوع
وحباً لأيتام وأرملة إذا جف الربيع
ولى فولى الجود والمعروف والحسب الرفيع
قال وله أيضاً:

وقالت قريش لنا مفخر رفيع على الناس لا ينكر
بنا تفخرون على غيرنا فأما علينا فلا تفخروا
أولد العباس عشرة ذكور منهم عبدالله وأمه افطسية كان أديباً
شاعراً فمن شعره ما في المجدي:

إني لأستحيي أخي أن ابره قريباً وأن أجفوه وهو بعيد
علي لإخواني رقيب من الهوى تبيد الليالي وهو ليس يبید
وفي سر السلسلة قدم على المأمون فتقدم عنده ولما سمع
بموته قال استوى الناس بعدك يا بن عباس ومشى في جنازته وكان

٣٢٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

يسميه الشيخ ابن الشيخ .

وفي العمدة كان من أحفاد العباس السقاء أبو الطيب محمد ابن حمزة بن عبدالله بن العباس بن الحسن بن عبيدالله بن العباس السقاء من أكمل الناس مروءة وسماحة وصلة رحم وكثرة معروف مع فضل كثير وجاهٍ واسع اتخذ بمدينة الأردن وهي طبرية ضياعاً وأموالاً فحسده طعج بن جف الفرغاني فدرس إليه جنداً قتلوه في بستان له بطبرية في صفر سنة ٢٩١ ورثته الشعراء فمن ذلك ما في المجدي :

أي رزء جنى على الإسلام أي خطب من الخطوب الجسام ويقال لعقبه بنو الشهيد وترجمه المرزباني في معجم الشعراء ص ٤٣٥ وقال شاعر يكثر الافتخار بأبائه وكان في أيام المتوكل وبعده وهو القائل :

وإني كريم من أكارم سادة أكفهم تندى بجزل المواهب
هم خير من يحفى وأفضل ناعل وذروة هضب العرب من آل غالب
هم المن والسلوى لدانٍ بوده وكالسم في حلق العدو المجانب
وترجم له شيخنا الجليل العلامة ميرزا عبد الحسين الأميني
في شعراء الغدير ج ٣، ص ٣، طبع النجف .

وأما عبيدالله بن الحسن بن عبيدالله بن العباس السقاء عليه السلام
ففيه يقول محمد بن يوسف الجعفري ما رأيت أحداً أهيب ولا

أولاده وأحفاده ٣٢٣

أهنأ ولا أمراً من عبید الله بن الحسن تولى إمارة الحرمین مكة والمدينة والقضاء بهما أيام المأمون سنة ٢٠٤هـج^(١).

وفي سنة ٢٠٤ سنة ٢٠٦ ولاء إمارة الحاج^(٢) مات ببغداد في زمن المأمون وكانت أمه وأم أخيه العباس أم ولد^(٣) وقع عقب علي بن عبیدالله قاضي الحرمین إلى دمیاط ويقال لهم بنو هارون وإلى فسا ويقال لهم بنو الهدهد وإلى اليمن.

وأما الحسن بن عبید الله الأمير القاضي فأولد عبیدالله كان له أحد عشر ذكراً لهم أعقاب منهم القاسم بن عبیدالله بن الحسن ابن عبید الله قاضي الحرمین بن الحسن بن عبید الله بن العباس الشهيد السقاء له خطر بالمدينة وأحد أصحاب الرأي لسناً متكلماً سعى بالصلح بين بني علي وجعفر وهو صاحب أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام^(٤).

فأحفاد العباس كلهم أجلاء لهم المكانة العالية بين الناس لأنهم بين فقهاء ومحدثين ونسابين وأمراء وأدباء ولا بدع بعد أن عرق فيهم (أبو الفضل) فحووا عنه المزايا الحميدة والصفات

(١) تاريخ بغداد: ج ١٠، ص ٣١٣.

(٢) تاريخ الطبري: ج ١٠، ص ٣٥٥.

(٣) تاريخ بغداد: ج ١٠، ص ٣١٤.

(٤) عمدة الطالب.

٣٢٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الجميلة فكانت ملامح الشرف والسؤدد تلوح على أسرة جبهاتهم
وملاء إهابهم علم وعمل وحشو الردى هيبة ومنعة .

ومنهم السيد الجليل صاحب الحرم المنيع والقبة السامية
(الحمزة) المدفون بالمدحيتة قرب الحلة .

الحمزة

من أحفاد أبي الفضل السيد الجليل أبو يعلى الحمزة بن
القاسم بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيدالله بن العباس ابن
أمير المؤمنين عليه السلام وقد كتب الشيخ الجليل العلامة ميرزا محمد
علي الأوردبادياً صحائف غر في حياته نذكرها بنصها .

قال: كان أبو يعلى أحد علماء العترة الطاهرة وفذاً من أفذاذ
بيت الوحي وأوحدياً من سروات المجد من هاشم .

روى الحديث فأكثر واختلف إليه العلماء للأخذ منه منهم
الشيخ الأجل أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري وأحد أعظم
الشيعة ومن حملة علومهم توفي سنة ٣٨٥ .

والحسين بن هاشم المؤدب .

وعلي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق وكلاهما من
مشايخ الصدوق بن بابويه القمي .

وعلي بن محمد القلانسي من مشايخ الشيخ المبجل أبي
عبدالله الحسين بن عبدالله الغضائري .

وأبو عبدالله الحسين بن علي الخزاز القمي^(١).

ويظهر من هذا أنه كان في طبقة ثقة الإسلام الكليني قد أدرك القرنين آخر الثالث وأوائل الرابع ولأجله عقد له الشيخ العلامة الشيخ أغا بزرك الرازي في كتابه (نابغة الرواة في رابعة المئات) ترجمة ضافية فهو من علماء الغيبة الصغرى.

وله من الآثار والمآثر كتاب التوحيد وكتاب الزيارات والمناسك وكتاب الرد على محمد بن جعفر الأسدي وكتاب من روى عن جعفر بن محمد عليه السلام من الرجال استحسنة النجاشي والعلامة ولهذا ترجمه شيخنا الرازي في مصفى المقال في مصنفى علماء الرجال وأسند النجاشي إلى هذه الكتب عن ابن الغضائري عن القلانسي عن سيدنا المترجم.

وإليك كلمات العلماء في الثناء عليه قال النجاشي والعلامة إنه ثقة جليل القدر من أصحابنا كثير الحديث وقال المجلسي في الوجيزة ثقة وفي تنقيح المقال للعلامة المامقاني السيد حمزة ثقة جليل القدر عظيم المنزلة وفي الكنى والألقاب لشيخنا المحدث الشيخ عباس القمي أنه أحد علماء الإجازة وأهل الحديث وقد ذكره أهل الرجال في كتبهم وأثنوا عليه بالعلم والورع.

(١) انظر: رجال الشيخ الطوسي وفهرست النجاشي والأمالى والإكمال للصدوق.

٣٢٦العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

إن دون مقام سيدنا المترجم أن نقول فيه إنه من مشايخ الإجازة الذين هم في غنى عن أي تزكية وتوثيق كما نص به الشهيد الثاني وتلقاه من بعده بالقبول فإن ذلك شأن من لا يعرف وجهلت شخصيته وإن مكانة سيدنا أبي يعلى فوق ذلك كله على ما عرفته من نصوص علماء الرجال ومن كراماته المربية على حد الإحصاء المشهودة من مرقد المطهر فهو من رجالات أهل البيت المعدودين من أعيان علمائهم بكل فضيلة ظاهرة ومأثرة باهرة (والشمس معروفة بالعين والأثر) فليس هو ممن نتحرى إثبات ثقته حتى نتشبت بأمثال ذلك نعم كثرة روايته للحديث تنم عن فضل كثير من غزارة علمه ومن قولهم عليه السلام (اعرفوا منازل الرجال منا بقدر روايتهم عنا) فإن ذلك يشف عن التصلب في أمرهم والتضلع في علومهم والبث لمعارفهم وبطبع الحال إن كلاً من هذه يقرب العبد إلى الله تعالى وإليهم عليهم السلام زلفى فكيف بمن له الحظوة بها جمعاء كسيدنا المترجم على نسبه المتألق المتصل بدوحهم القدسي اليانع.

أما مشايخه في الرواية فجماعة عرفناهم بعد الفحص في المعاجم وكتب الحديث كرجال الطوسي وفهرست النجاشي وإكمال الدين للصدوق منهم:

١ - الشيخ الثقة الجليل سعد بن عبدالله الأشعري.

- ٢ - محمد بن سهل بن ذارويه القمي .
 - ٣ - الحسن بن ميثل .
 - ٤ - علي بن عبد بن يحيى .
 - ٥ - جعفر بن مالك الفزاري الكوفي .
 - ٦ - أبو الحسن علي بن الجنيد الرازي .
 - ٧ - وأجلّ مشيخته عمه مستودع ناموس الإمامة والمؤتمن على وديعة المهيمن سبحانه ، أبو عبدالله - أو عبيدالله - محمد بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس عليه السلام .
- ومن جلالته أنه لما وقعت الفتنة بعد وفاة أبي محمد العسكري عليه السلام وكثر الفحص والطلب من زبانية الإلحاد وطواغيت الوقت على بيت الإمامة ونسائه وجواريه وإمائه حذار وجود البقية منه أو وجود حامل منهن تلده لما بلغ الطاغية أن الخلف بعد أبي محمد العسكري يدمر دولة الباطل فحسبه في العاجل وهو آجل فعند ذلك انتقلت الكريمة الطاهرة أم الإمام المنتظر عجل الله فرجه (نرجس) سلام الله عليه وعليها إلى بيت أبي عبد الله هذا كما نص به النجاشي للحفظ من عادية المرجفين^(١) .

(١) انظر: ص ١٤٥ من فهرست النجاشي ولكن في إكمال الدين للصدوق أنّ أم الحجة ماتت في أيام أبي محمد الحسن العسكري .

٣٢٨العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وإن الاعتبار لا يدعنا إلا أن نقول بأن بيتاً يحوي أم الإمام لا بد أن يكون مختلف ولي الدهر وصاحب العصر الناهض بعبء خلافة الله الكبرى ومحط أسراره ومرتكز أمره ومجرى علومه ومصب معارفه ليتعاهد الحرة الطيبة أمه نرجس ويكون عليه السلام هو المحتبى في صدر ذلك الدست والمتربع على منصة عزه .

ولا شك أن أبا عبدالله هذا يقتبس من علومه ويستضيء بأنواره وحينئذ فدون مقامه إطراء العلماء له كقول النجاشي والعلامة ثقة جليل وكقول ابن داود عين في الحديث صحيح الاعتماد كتوثيقات الوجيزة والبلغة والمشاركات وحاوي الأقوال وقال ابن عنبه في العمدة نزل البصرة وروى الحديث عن علي بن موسى الكاظم عليه السلام وغيره بها وبغيرها وكان متوجهاً عالماً شاعراً وقال النجاشي له رواية عن أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام وإن له مكاتبة وله مقاتل الطالبين .

فحسب سيدنا المترجم أبو يعلى من الشرف أن يكون معماً بمثله وناهيه من الفضيلة أن يكون خريجاً لمدرسته .

ووالد أبي عبدالله هذا هو علي بن حمزة بن الحسن نص النجاشي والعلامة الحلبي في الوجيزة والبلغة على ثقته .

وأبو حمزة الشبيه بجده أمير المؤمنين جليل القدر عظيم المنزلة خرج توقيع المأمون بخطه (يعطى لحمزة بن الحسن لشبهه

أولاده وأحفاده ٣٢٩

بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مائة ألف درهم) قاله ابن عنبه في العمدة .

وأبو حمزة هذا الحسن بن عبيدالله فذكر النسابة العمري في المجدي أنه كان لأم ولد روى الحديث وعاش سبعاً وستين سنة ووافقه على عمره أبو نصر البخاري في سر السلسلة وذكر أن العدد والثروة في ولده وأن أمه وأم شقيقه عبدالله بنت عبدالله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب .

قلت والظاهر أن في النسخة غلط نسياني فإن أبا نصر نفسه ذكر أن التي كانت تحت عبيدالله بن العباس عليه السلام هي أم أبيها بنت معبد بن العباس لا ابنة ابنه .

وعبيد الله بن العباس أبو الحسن ذكر الشيخ العلامة علي بن يوسف بن المطهر أخو آية الله العلامة الحلبي في العدد القوية عن الزبير بن بكار أنه من العلماء وقال أبو نصر البخاري تزوج أربع عقائل كراماً رقية بنت الإمام الحسن السبط وأم علي بنت السجاد لم تلد منه وأم أبيها بنت معبد بن العباس بن عبد المطلب وابنة المسور بن مخزوم الزبيري .

وأما سيدنا أبو الفضل العباس قمر بني هاشم الذي هو بمنقطع الفضل ومنتهى الشرف وغاية الجلالة وقصارى السؤدد فالبيان يتقاعس عن مدحه ، إذا أنه جاء ممدوحاً بلسان أئمة الدين كابن أخيه الإمام السجاد ثم الإمام الصادق .

٣٣٠العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ولسيدنا المترجم أبي يعلى في أرض الجزيرة بين الفرات ودجلة من جنوب الحلة السيفية مشهد معروف في قرية تعرف باسمه (قرية الحمزة) بالقرب من قرية (المزيدية) يقصد بالزيارة وتساق إليه الذور ويتبرك به ويعزى إليه الكرامات تتناقلها الألسن ويتسالم عليها المشاهدون وتخبت بها النفوس وكان في ذي قبل يعرف بمشهد حمزة بن الإمام موسى الكاظم .

وبما أن الثابت في التاريخ والرجال أن قبر حمزة المذكور في الري إلى جنب مشهد السيد الأجل عبد العظيم الحسيني سلام الله عليهما .

كان سيد العلماء والفقهاء المجاهدين سيدنا المهدي القزويني بعد أن هبط الحلة الفيحاء وأقام فيها دعامة الدين وشيد أركان المذهب يمر بهذا المشهد حين وفوده إلى بني زبيد للإرشاد والهداية ولا يزوره ولذلك قلّت فيه رغبة الناس في زمانه فصادف أن مر به مرة فطلب منه أهل القرية زيارة المرقد المطهر فاعتذر بما قدمناه وقال لا أزور من لا أعرفه فبات ليلة وغادر القرية من غد إلى المزيدية وبات بها حتى إذا قام للتهجد في آخر الليل وفرغ من عمله طفق يراقب طلوع الفجر إذ دخل عليه رجل في زي علوي شريف من سادة تلك القرية يعرفه المهدي بالصلاح والتقوى فسلم وجلس وقال له استضعفت أهل الحمزة وما زرت مشهده؟ قال نعم قال ولم ذلك؟ فأجابه بما قدمناه من جوابه

أولاده وأحفاده ٣٣١

لأهل القرية فقال العلوي المذكور «رب مشهور لا أصله» وليس هذا قبر حمزة بن موسى الكاظم كما اشتهر وإنما هو قبر أبي يعلى حمزة بن القاسم العلوي العباسي أحد علماء الإجازة وأهل الحديث وقد ذكره أهل الرجال في كتبهم وأثنوا عليه بالعلم والورع.

فحسب سيدنا الحجة المهدي أنه أخذ هذا من أحد العلماء لأنه كان من عوام السادة وأين هو من الاطلاع على الرجال والحديث فأغفل عنه ونهض لفحص الفجر وخرج العلوي من عنده ثم أدى السيد الفريضة وجلس للتعقيب حتى مطلع الشمس.

وراجع كتب الرجال التي كانت معه فوجد الأمر كما وصفه الشريف العلوي الداخل عليه قبيل الفجر ثم ازدلف أهل القرية إليه مسلمين عليه وفيهم العلوي المشار إليه فسأله عن دخوله عليه قبيل الفجر وإخباره إياه عن المشهد وصاحبه عمن أخذه ومن أين له ذلك فحلف العلوي بالله إنه لم يأت قبل الفجر وأنه كان بائناً خارج القرية في مكان سماه وأنه سمع بقدوم السيد فأتاه زائراً في وقته هذا وأنه لم يره قبل ساعته تلك.

فنهض السيد المهدي من فوره وركب لزيارة المشهد وقال الآن وجب علي زيارته وإني لا أشك أن الداخل عليّ هو الإمام الحجة وركب الطريق معه أهل المزيدية.

٣٣٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ومن يومئذ اشتهر المرقد الشريف بالاعتبار والثبوت وازدلفت الشيعة إلى زيارته والتبرك والاستشفاع إلى الله تعالى به .

وبعد ذلك نص سيدنا المهدي عليه في فلك النجاة وتبعه على ذلك من بعده العلامة النوري في تحية الزائر والعلامة المامقاني في تنقيح المقال وشيخنا المحدث القمي في الكنى والألقاب .

أخذنا هذا النبأ العظيم من جنة المأوى للعلامة النوري .

هذا ما كتبه شيخنا العلامة ميرزا محمد علي الأوردبادي أيده

الله .

عمارة المشهد

تمهيد

لا شك في رجحان عمارة قبور الأولياء المقربين لا سيما من حظي منهم بشرف المنبت النبوي الطاهر الذي هو معدود من أكبر الفضائل لأنه لا يزال بمجرد متواصل العرى يحدو بصاحبه إلى أوج العظمة وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا نسبه وسببه ﷺ فهو مشرف من تحلى به في الدنيا والآخرة فكيف به إذا كان مشفوعاً بعلم وتقى ومآثر ومفاخر.

١ - لأنه من تعظيم شعائر الله ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(١) ومن موارد حرماته المعينة بقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾^(٢).

وإذا كانت البدن من الشعائر له سبحانه ﴿وَالْبَدَنُ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ

(١) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الحج، الآية: ٣٠.

٣٣٤ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

مِّنْ شَعْبِرِ اللَّهِ ﴿١﴾ وليست البدن إلا بهيمة تنحر في مرضاة الله سبحانه وفي سبيل طاعته والشعار فيها نحرها .

فلماذا لا يكون عمل الولي المقرب الشهيد الصديق المنحور على الدعوة الإلهية والمراق دمه الطاهر على مجزرة الشهادة من مستوى القدس من جملة الشعائر والحرمان التي يجب تعظيمها بتعاهد مرقد الأظهر وقصده بالزيارة والعبادة فيه وعمارته عند الانهدام ليأوي إليه الزائر ويتفياً بظله المتعبّد كما أن الأمر بطواف البيت يستدعي عمارته كلما أوشك أن يتضعع بنيانه .

٢ - على أن رجالات بيت النبوة هم ﴿فِي بُيُوتِ أٰذِنَ اَللّٰهُ اَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اَسْمُهُ﴾ (٢) والمراد من البيت ما كان مسقوفاً ولذلك أطلقه في الكتاب المجيد على الكعبة المعظمة حيث يقول: ﴿جَعَلَ اَللّٰهُ اَلْكَعْبَةَ اَلْبَيْتِ اَلْحَرَامِ﴾ لكونها مسقوفة ولم يرد من البيوت مطلق المساجد أو المساجد الأربعة وهي المسجد الحرام ومسجد النبي ومسجد الكوفة والبصرة فالمساجد كلما ذكر في القرآن أطلق عليها المسجد دون البيت مثل قوله تعالى:

﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ (٣) .

﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (٤) .

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٩٠ .

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٨ .

(١) سورة الحج، الآية: ٣٦ .

(٢) سورة النور، الآية: ٣٦ .

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾^(١).

﴿لَتَتَّخِذَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ مَّسْجِدًا﴾^(٢).

﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٣).

﴿وَلَا تُقْنَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٤).

والمساجد بمقتضى تشريعها مكشوفة والسقف الموجودة فيها حادثة لقصد أن يأوي إليها الوفود من المرامي السحيقة الذين لا مأوى لهم لتكنهم من قائل الحر وقارص البرد فلا يناسب إطلاق البيت عليها لأنه عبارة عن المحل المسقوف ولا يطلق على غير المسقوف ولذلك تجد إطلاق بيوت الأعراب على أخبتهم دون الصحارى التي يسكنونها ومن ذلك أطلق البيت على الكعبة لكونها مسقوفة.

وكما لا يراد من تلك البيوت التي يجب أن ترفع ويذكر فيها اسمه المساجد لا يراد منها خصوص الكعبة المشرفة لأن لفظ البيوت في الآية جمع وحينئذ فمن المتعين أن يراد منها بيوتات تكون مستوى لذكر الله والدعوة إليه إما بألسنة ساكنيها أو بأعمالهم وجهادهم فتكون تلك البيوت منبثق أنوار الله.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٨ . (٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٤ .

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢١ . (٤) سورة البقرة، الآية: ١٩١ .

٣٣٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وإذا فتشنا بيوت العالم فلا نجد ما هو أولى بصدق هذه البيوت عليهم إلا بيوت رسول الله ﷺ الذين أنفدوا طاقتهم في رفع كلمة الله العليا وتوحيده والتذكير بوعدده ووعيدة فكانت مقصورة على ذلك دعوتهم منحصرأً به هتافهم حتى أثبتوه على جبهة الدهر وكتبوا بدمائهم الزاكية على صحيفة الزمان مع ما لهم من الدؤوب على العبادة والتلاوة في آناء الليل وأطراف النهار وللناس بهم أسوة حسنة.

وليس من الرأي السيد قصرها على بيوتهم التي يسكنونها أيام حياتهم بل تعمها ومشاهدهم المقدسة فإنهم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وإذا ثبت في الشهداء وهم دونهم بمراتب أنهم أحياء فإن أهل البيت أولى بذلك لأنهم الدعاة إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة أحياءً وأمواتاً وشهداء في سبيل تلك الدعوة المقدسة وشهداء على أعمال الأمة المرحومة.

وعليه فلا يخلو إما أن يراد من الرفع في الآية خصوص العمارة وتشبيدها كما هو الظاهر على حد قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ أو يراد مطلق التعظيم ومما لا شك فيه أن من أظهر مصاديقه عمارتها وتجديدها عند أولها إلى الخراب لتتم بقية أقسام التعظيم من تفيؤ المتعبدين وانتجاع المزدلفين إليها واختلاف الزوار إليها وذكر الله سبحانه والصلاة والترحم على أولياء الله المتبويين هاتيك المشاهد المطهرة وتكون تلك القباب

والأبنية الشاهقة كمنار تدل الوافدين على ما هناك من ضالتهم المنشودة.

٣ - ثم إن في الكتاب العزيز شيء آخر دلنا على مشروعية البناء على مراقد الصالحين واتخاذ خصوص المساجد عليها وهو قوله جل شأنه ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ وذلك أن المؤمنين مع ملكهم بيدروس وكان موحداً لما وصلوا إلى أصحاب الكهف واطلعوا على موتهم في مكانهم أمر الملك أن يتركوا في مكانهم ويبنى على باب الكهف مسجد يتعبد فيه الناس ويتبركون بمكانهم^(١).

وهذا منه سبحانه وإن كان إخباراً عن عمل أمة سابقة على الإسلام لكنه مقرون بالتقرير من الله عز ذكره وعدم الإنكار عليهم وكلما كان الحكم غير منكر من الإسلام فهو مستصحب البقاء والنسخ وإن وقع في الشريعة لكنه لمجموع هاتيك الشرائع لا لجمعها فهو كالعشرة الإبراهيمية^(٢) التي لم تنسخ ولا تنسخ أبداً

(١) نص عليه الزمخشري في الكشاف والنيسابوري في غرائب القرآن وأبو السعود في تنوير المقباس والبغوي في معالم التنزيل بهامش الخازن والطبرسي في مجمع البيان والفيض في الصافي وزاد الخازن في تفسيره أن الملك بيدروس جعل لهم عيداً عظيماً وأمر أن يؤتى هذا المحل كل سنة.

(٢) خمسة من هذه العشرة في الرأس وهي أخذ الشارب وإعفاء اللحى وطم الشعر والسواك والخلال وخمسة في البدن الختان وتقليم الأظفار =

٣٣٨ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

كغيرها من الأحكام المستصحة .

وإذا أجازت الشريعة الإلهية بناء المسجد على أولئك الصالحين من فتية الكهف للعبادة والتبرك بهم فالحكم شرع سواء فيهم وفي من هو أفضل منهم ألا وهم الحجج المعصومون والأولياء المقربون من هذه الأمة المرحومة .

وعلى هذا النهج اللاحب جاءت سنة الرسول الأعظم فإنه عليه السلام لما دفن عثمان بن مظعون أمر بحجر فوضع عند رأسه معللاً بأنه يتعلم منه قبر أخيه ليدفن إليه من مات من أهل بيته وهذا الحجر أخذه مروان بن الحكم ووضعه على قبر عثمان بن عفان فكلمته بنو أمية وقالوا كيف تأخذ حجراً وضعه رسول الله فلم يعبا بهم^(١) .

وإذا كان وضع الحجر للتعريف بالقبر فلا ريب أن البناء على القبر أوفى بهذه العلة من وضع الحجر فيكون راجحاً بالأولوية .

على أن اهتمام النبي عليه السلام بتعريف قبر عثمان دون غيره من المسلمين يدلنا على امتياز بعضهم عن بعض بالفضل والعلم والورع والمعرفة وحينئذ يكون البناء على قبور الأنبياء والأوصياء

= والغسل من الجنابة والظهور بالماء وحلق الشعر من البدن (مجمع

البيان: ج ١، ص ٢٠٠) في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ .

(١) وفاء الوفاء للسمهودي: ج ٢، ص ٨٥ .

والأولياء والأمثل فالأمثل امتيازاً عن غيرهم وإعلاماً بما لهم من شأن ورفعة أولى وأرجح .

وكانت فاطمة الزهراء تزور قبر حمزة وترمه وتصلحه وقد تعلمته بحجر^(١) فدل على أن إصلاح القبر وتعاذه كي لا تندرس آثاره معروف في زمن الشارع المقدس وإلا لما فعلت ذلك سيدة نساء العالمين والوحي ينزل في بيتها وإصلاح القبر يختلف باختلاف الأوقات والأزمنة فقد تقتضي الحالة والوقت إصلاح القبر بجمع ترابه ووضع الحجر عليه وقد تقتضي بناء قبة عليه أو وضع جدار حوله .

ومن أجل ذلك دفنوا النبي ﷺ في حجرة عائشة وكانت مسقفة بجريد النخل وأول من بناها باللبن عمر بن الخطاب^(٢) .

ثم إن عبدالله بن الزبير شيد جدران قبر النبي وجعلها مرتفعة وفي سنة ١٩٣ أمر الرشيد واليه على المدينة أبا البخترى أن يبني سقف الحجرة ثم المتوكل أمر واليه على الحرمين اسحق بن سلمة أن يشيد حجرة النبي بحجارة الرخام ففعل ذلك سنة ٢٤٢ .

وفي الأوراق البغدادية للسيد ابراهيم الراوي أن المسلمين لما فتحوا بلاد الشام وبيت المقدس ورأوا على قبور الأنبياء

(١) وفاء الوفاء: ج ٢، ص ١١٢ .

(٢) المصدر: ج ١، ص ٣٨٣ .

٣٤٠العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المباني لم يهدموها ومن أشهرها البناء الذي على قبر ابراهيم الخليل عليه السلام وقد رأى ذلك عمر بن الخطاب فلم يهدمه ولم يأمر بهدمه .

وغير خفي أن تقرير الصحابة وفيهم الخلفاء ذلك العمل دليل قوي على تعارف البناء على القبور وجوازه لديهم .

وحدث محمد بن الحنفية المتوفى سنة ٨١ أن رسول الله دفن فاطمة بنت أسد في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة وفيه دلالة كما عند السمهودي على أن قبرها كان عليه مسجد يعرف به ذلك الزمان^(١) وهو في المائة الأولى من الهجرة كما كان على قبر حمزة بن عبد المطلب مسجد يومئذ^(٢) .

وكما بني على قبر العباس بن عبد المطلب قبة دفن فيها الحسن والسجاد^(٣) والباقر^(٤) والصادق^(٥) عليه السلام ففي المائة الأولى والثانية كانت القبة على قبر العباس موجودة .

وإن الخطيب البغدادي المولود سنة ٣٩٢ حكى في ترجمة

(١) تاريخ المدينة: ج ٢، ص ٨٨ .

(٢) المصدر: ص ١٠٥ .

(٣) تاريخ ابن خلكان في ترجمة السجاد .

(٤) الصواعق: ص ١٢٠ .

(٥) ابن خلكان بترجمته .

عمارة المشهد ٣٤١

الإمام الكاظم أنه دفن في مقام الشونيزيه (مقابر قريش) خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار الخ فدل على أنه كان يوم وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قبة في مقابر قريش .

وعليه يكون وضع القباب على القبور متعارف بين المسلمين لم تنكره علماء تلك العصور مع تبصرهم بأحاديث الرسول ﷺ ومن هنا لم يمتنع الخلفاء من وضع القباب على قبور أسلافهم فهذا الرشيد بنى قبة على قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ^(١) وبنى المأمون على قبر الرشيد قبة ^(٢) مع أن عصره كان حافلاً بالعلماء كالشافعي وابن حنبل وسفيان بن عيينة وغيرهم فلم ينكر عليه أحد .

ولما توفي المعز البويهى سنة ٣٥٦ هـ دفن في داره ثم نقل إلى مشهد بني له في مقابر قريش وابن وكيع الشاعر المتوفى ٣٩٣ هـ دفن في المقبرة الكبرى في القبة التي بنيت له بها وأبو تمام المتوفى سنة ٢٧١ بنى على قبره نهشل بن حميد الطوسي قبة .

فما قيل من أن هذه القباب حدثت منذ القرن الخامس فهي من البدع غير المعروفة في زمن الشارع المقدس وما بعده، من الأكاذيب الفاضحة .

(١) عمدة الطالب وحبیب السیر .

(٢) روضة الصفا .

٣٤٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

فتحصل من جميع ما ذكرناه أن البناء على القبور وعمارتها وتجديدها وتعاهدها أمر راجح وعليه الأمة الإسلامية من دون نكير بينها ويتأكد في قبور الأولياء المقربين والشهداء الصديقين والعلماء الصالحين وذوي المآثر والفضائل لأن فيه تعريفاً بالميت وتنويهاً بمقامه ليزوره الزائر ويستريح إليه المتعبد لكونه من الأمكنة المحبوب لله تعالى فيها الذكر والطاعة وتحصيل المصالح الدينية.

وبذلك اتفقت كلمة العلماء الذين هم أعرف الأمة بموارد الأمر والنهي بل زادوا على البناء والعمارة تزيينها بالمعلقات والفرش والستائر وكل ما فيه احترامهم وتعظيمهم.

مدعين على ذلك بعد الإجماع والاتفاق أنه من الشعائر وعدم إنكار الأئمة في عهود كانوا ظاهرين فيها والأخبار الكثيرة الدالة على ميلهم له ورضاهم به وقد أمرت بالوقوف على باب الروضة أو القبة أو الناحية المقدسة والاستئذان وتقيل العتبة والدعاء عند ترائي القبة الشريفة وغيرها مما يتوقف على وجود الباب والقبة والعتبة المتوقف كله على البناء فلولا البناء أين تكون القبة وأين الباب وأين العتبة وأين الاستئذان عندها؟

مع صراحة خبر أبي عامر واعظ أهل الحجاز عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وفيه: إن الله سبحانه جعل قلوب

نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم وتحتمل الأذى والمذلة فيزورون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله تعالى ومودة منهم لرسوله أولئك المخصوصون بشفاعتي الواردون حوضي وهم زواري غداً في الجنة .

يا علي من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان على بناء بيت المقدس إلى أن قال: ولكن حثالة من الناس يعيرون زواركم كما تعير الزانية بزناها أولئك شرار أمتي لا نالتهم شفاعتي^(١) .

وحينئذ فلا ريب في تخصيص العمومات المانعة من تخصيص القبر وتجديده بل دعا صاحب الجواهر أعلى الله مقامه (أن البناء على قبور الأئمة والصلحاء من ضروري المذهب بل الدين).

على أن النهي عن التخصيص معارض بما هو أقوى منه سنداً ودلالة وأكثر عدداً ومنه حديث صفوان: زار الصادق عليه السلام قبر جده أمير المؤمنين وذكر فضل زيارته واستئذانه لإخبار أصحابه من الشيعة بهذا الفضل، فقال: نعم، وأعطاني دراهم فأصلحت القبر^(٢) .

ويحدث يونس بن يعقوب أن الإمام الكاظم عند رجوعه من بغداد ماتت ابنة له (بفيد) فدفنها وأمر بعض مواليه أن يجصص

(١) فرحة الغري: ص ٣١ .

(٢) المصدر: ص ٤١ .

٣٤٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

قبرها ويكتب على لوح اسمها ويجعله في القبر^(١).

وماتت أم الإمام الحجة صاحب الزمان عجل الله فرجه في أيام أبي محمد الحسن العسكري فدفنت في الدار وكتب على لوح هذا قبر أم محمد عليه السلام ووضع في القبر^(٢).

وليس هو من خصائص أولادهم وإنما جرى الأمر على العادة المألوفة من التعريف بالميت والتنويه بذكره فيكون الفعل في غيره من الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعلماء الصالحين أولى وأرجح وأكد.

والمراد من البناء المكروه كما نص عليه الأردبيلي وكاشف الغطاء هو ما كان فوق القبر بحيث يصير القبر تحت الحائط فإنه غير مناسب لحرمة الميت وأما البناء المتعارف المتداول بحيث يكون القبر تحت القبة فلا يشمل النهي كما لا يشمل عمارة القبة وتجسيصها وتزيينها ولا وضع الصناديق المزينة والأقمشة النفيسة على القبور والوقف لها.

وإليك أسماء من تعرض لهذا الحكم من علمائنا عند مسألة تجسيص القبور من أحكام الأموات وغيرها مرتبين على سنة الوفاة:

(١) الكافي والتهذيب والاستبصار.

(٢) اكمال الدين للصدوق: ص ١٤٠، وقد تقدم عن النجاشي أنها بقيت بعد الحسن العسكري.

عمارة المشهد ٣٤٥

السيد عبد الكريم بن طاووس في الفرحة المتوفى سنة
٦٩٣هـجـ.

الشهيد الأول في الذكرى والدروس المتوفى سنة ٧٨٦هـجـ.

المحقق الكركي في جامع المقاصد المتوفى سنة ٩٣٣هـجـ.

الشهيد الثاني في روض الجنان المتوفى سنة ٩٦٦هـجـ.

الأردبيلي في شرح الإرشاد المتوفى سنة ٩٩٣هـجـ.

السبزواري في الذخيرة المتوفى سنة ١٠٩٠هـجـ.

الحر العاملي في الوسائل المتوفى سنة ١١٠٤هـجـ.

المجلسي في مزار البحار ومرآة العقول المتوفى سنة
١١١٠هـجـ.

السيد جواد العاملي في مفتاح الكرامة المتوفى سنة
١٢٢٦هـجـ.

كاشف الغطاء في نهج الرشاد ص ٧١ المتوفى سنة
١٢٢٨هـجـ.

السيد علي في الرياض المتوفى سنة ١٢٣١هـجـ.

الميرزا القمي في الغنائم المتوفى سنة ١٢٣١هـجـ.

النراقي في المستند المتوفى سنة ١٢٤٤هـجـ.

٣٤٦العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الكرباسي في منهاج الهداية المتوفى سنة ١٢٦٢هـ ج.

صاحب الجواهر فيها المتوفى سنة ١٢٦٦هـ ج.

النوري في المستدرك المتوفى سنة ١٣٣٠هـ ج.

عمارة مرقد العباس

إذا تمهد ما ذكرناه فمشهد سيدنا أبي الفضل عليه السلام من أظهر مصاديق تلك البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه كما أنه في الرعيل الأول من أولئك الصديقين والشهداء الصالحين وفي تشييد قبته السامية إبقاء لما أوعزنا إليه من السر في انحياز قبره عن مجتمع الشهداء.

وإذا أعلمنا الإمام الصادق عليه السلام في زيارته بما له من المقام الرفيع في ملاء القدس وعند مجتمع الأنبياء والرسل وقد حاز بذلك إكباراً منهم وتبجيلاً حتى غبطه على ما حباه الله جميع الشهداء والصديقين لتفرده بتلك المنعة والخطر كان الاحتفاء بمشهده القدسي من العمارة والتعاهد من أوليات فرائض عالم الشهود.

ثم إنه سبحانه قيض لعمارة هذا المشهد الكريم أناساً قدر لهم الخير والسعادة وأجرى على أيديهم المبرات ففازوا بالباقيات الصالحات وكانت لهم الذكرى الخالدة في الدارين والسعادة في

٣٤٨العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

النشأتين من ملوك وأمراء وعلماء ووجهاء فتعاقب عليه العمران وفي كل يوم يزداد بهجة وبهاءً حتى تجلى كما هو اليوم في أبهج المناظر بقبته التي تحكي السماء رفعة وشأت النجوم بهجة وذلك الحرم المنيع المضاهي للعرش عظمة وأروقتة المغشاة بالقوارير التي تفوق الأفلاك بذخاً وذلك الصحن الذي هو ساحة القدس وباحة الجلال والبهو الكبير الذهبي الذي دونه عرش الملك ومناط الأبهة فحاكى غرف الجنان وصروحها .

ويتحدث المؤرخون أنّ الشاه طهماسب في سنة ١٠٣٢هـ زين القبة السامية بالكاشاني وبني شباكاً على الصندوق ونظم الرواق والصحن وبني البهو أمام الباب الأول للحرم وأرسل الفرش الثمينة من صنع (إيران).

وفي سنة ١١٥٥هـ أهدى نادر شاه إلى الحرم المطهر تحفاً كثيرة وزين بعض تلك المباني بالقوارير وفي سنة ١١٥٧هـ زار الحسين وزيره الشهم فجدد صندوق القبر وعمر الرواق وأهدى ثريا يوضع فيها الشمع لإنارة الحرم الشريف .

وبعد حادثة الوهابية بكر بلا سنة ١٢١٦ ونهب ما في الحرم من الأغلاق النفيسة والذخائر المثلثة نهض الشاه (فتح علي) وجدد ما نهب من الحسين وأخيه أبي الفضل وعمر قبة العباس بالكاشاني كما أنه ذهب قبة سيد الشهداء وصدر الإيوان الذي

عمارة مرقد العباس ٣٤٩

أمام الباب الأول للحرم من جهة القبلة وأنشأ صندوق ساج على قبر أبيّ الضيم أبي عبدالله عليه السلام وفضّض الشباك المطهرّ.

وفي كتاب طاقة ريحان ص ٩١ للعلامة الحاج ميرزا عبد الكريم المقدس الأرومي أن خال جدته لأمه الحاج شكر الله بن بدل بك الأفشاري ذهب الإيوان الذي هو أمام حرم أبي الفضل وأنفق على ذلك كل ماله وذلك بإيعاز زين الفقهاء والمجتهدين الشيخ زين العابدين المازندراني المتوفى ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هـ وكتب اسمه في الجانب الغربي من جدار الإيوان على صفائح الذهب بخط ذهبي موجود إلى الآن وتاريخ الكتابة سنة ١٣٠٩ هـ.

وفي الكتاب المذكور أن نصير الدولة ذهب منارة أبي الفضل وكان الصائغ يغش في تغطية الطاقات الصفرية بالذهب فعرف منه ذلك وجيء به من بغداد إلى كربلا فلما دخل الصحن اضطرب واسود وجهه سواداً شديداً ومات من الغد.

وحدثني العلامة الحجة السيد حسن مؤلف كتاب (فدك) وغيره من المؤلفات القيمة أن الإيوان الصغير الذهبي الذي هو أمام الباب الأول أنشأه ملك لکنهو محمد شاه الهندي وأما الطارمة المسقفة بالخشب فبأمر السلطان عبد الحميد خان وجدد بناء القبة بالكاشاني محمد صادق الاصفهاني الشيرازي الأصل وهو الذي اشترى الدور الملاصقة للصحن الشريف وزادها في الصحن وبناه بما هو المشاهد وكانت الزيادة من جهة القبلة أكثر

٣٥٠العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

من سائر الجهات قدر ايوانين أو ثلاث ودفن في حجرة عند باب
القبلة تعرف باسمه وبنى الصحن بالكاشاني رحمة الله عليه وجزاه
لخدمته لأبي الفضل أفضل جزاء المحسنين .

وجدد السيد المبجل سادن الروضة المقدسة السيد مرتضى
الباب الفضي الذي هو في الإيوان الذهبي أمام حضرة
العباس عليه السلام سنة ١٣٥٥ هـ وكتب على المصراعين قصيدة
الخطيب الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي وتفضل حفظه الله
بها ولطروس الإنشاء الذي ذكرناه في ما تقدم وهذه القصيدة:

لذ بأعتاب مرقد قد تمت أن تكون النجوم من حصاه
وانتشق من ثرى أبي الفضل نشرأ ليس يحكي العبيرُ نفع شذاه
غاب فيه من هاشم أي بدر فيه ليل الضلال يمحي دجاه
هو يوم الطفوف ساقى العطاشي فاسقٍ من فيض مقلتيك ثراه
وأطل عنده البكاء ففيه قد أطال الحسين شجواً بكاه
لا يضاهيه ذو الجناحين لَمَّا قطعت في شبا الحسام يداه
هو باب الحسين ما خاب يوماً وافد جاء لائذاً في حماه
قام دون الهدى يناضل عنه وكفاه ذاك المقام كفاه
فادياً سبط أحمد كأبيه حيدر مذ فدى النبي أخاه
جدد المرتضى له باب قدس من لجين يغشي العيون سناه
إنه باب حطة ليس يخشى كل هول مستمسك في عراه
قف به داعياً وفيه توسل فبه المرء يستجاب دعاه

السدانة

السدانة هي خدمة المعبد والقيام بشؤونه ولوازمه وتحري كلاءته من أي عادية وقد اتخذت العرب بيوتاً تعظمها كتعظيم الكعبة وجعلوا لها حجّاباً وسدنة وكانوا يهدون إليها كما يهدون إلى الكعبة ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة وينحرون بها مثلها . كل ذلك مع معرفتهم فضل البيت الحرام والكعبة المشرفة لأنها بناء الخليل^(١) .

فالبيت المعظم الذي يتخذ معبداً ومأوى للوفود والزائرين ومحلاً للدعاء والابتهاال لا بد وأن يجعل له حجة وسدنة يرعون حرمة فنصب السادن من لوازم جلاله المحل ووجود المثلثات فيه فلن تجد محلاً له شأن إلا ورأيت له خدمة .

وبمناسبة منعة المحل لا يقيض له من سوقة الناس ومن لا كفاءة له بالقيام بالخدمة لأن فيه خطأ من كرامته وتحطيماً لمكانته

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج٢، ص ١٩٢ .

٣٥٢العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

فمن حق المقام أن يكون السادن شريف قومه وكريم بيته لا يسبق
بمجد ولا يلحق بشرف.

ومن هنا نشاهد السدانة في حرم أبي الفضل عليه السلام يتولاها
شريف بعد شريف حتى انتهى الأمر إلى الهاشمي المبجل السيد
مصطفى ومنه إلى خلفه الشهم الهمام السيد مرتضى الذي لا تعد
مآثره ولا آثاره وأياديه الجميلة ومساعيه المشكورة حول خدمة
الحرم وعمارته وتنويره وتزيينه وكان كما يهواه السؤدد والخطر
وتختاره طهارة العنصر ونزاهة الأعراق ويرتئيه المجد الهاشمي
والمولد العلوي.

وقام نجله الزكي (السيد محمد حسن) بكل ما يستطيعه من
خدمة الحرم.

حامي الجوار

لقد عرف العلماء مكانة أبي الفضل عند الله سبحانه وتعالى وما جاء به وأعدده له من جزيل الفضل تقديراً لأعماله وما قاساه من فوادم وآلام فكان ملجأ الخائف ولهف اللاجئ وغوث الصريخ وحمى المستجير فلاذوا بجنابه عند الممات وجاوروا مرقد الأظهر والتجأوا إلى كهفه المنيع ليمنحهم الشفاعة فيفوزوا بالخلد ويتقلبوا على أسرة النعيم الدائم وحاشا أبو الفضل أن يخفر الجوار ويتباعد عن عقل ناقتة بفنائه .

ومن هؤلاء الأعلام ما في الذريعة إلى مصنفات الشيعة ج ٣ ص ١٩٩ أنّ الحاج السيد محمد بن محسن الزنجاني توفي بزنجان سنة ١٣٥٥ وحمل إلى جوار أبي الفضل العباس بوصية منه .

وفيه ص ٣٢٣ أنّ الشيخ علي بن زين العابدين البارجيني اليزدي الحائري صاحب كتاب إلزام الناصب في أحوال الحجة الغائب دفن في صحن العباس عليه السلام .

٣٥٤العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

والعلامة الشيخ علي اليزدي البفروئي من أجلاء تلامذة الأردكاني دفن في البهو أمام حضرة العباس .

والسيد كاظم البهبهاني من تلامذة المرحوم آية الله السيد هاشم القزويني دفن في الرواق .

والعلامة السيد عبدالله الكشميري من تلامذة الأردكاني دفن في الحجرة الرابعة من الشرق الجنوبي .

والشيخ ملا عباس المعروف باليزدي المشهور بسبويه وأخوه ملا علي المعروف بالأخفش لهما مكانة عالية في التدريس دفنا في الحجرة المختصة بهما الملاصقة للباب المعروف بباب صاحب الزمان .

والشيخ كاظم الهر له فضل في العلم والأدب تلمذ على الشيخ صادق بن العلامة الشيخ خلف عسكر دفن في الحجرة الأخيرة من الشرق الشمالي .

المديح والثناء

من الواضح الذي لا يرتاب فيه أن نظم الشعر في أي رجل تعريف به وإحياء لذكره وإقامة لأمره فإن آثار الرجال مهما كبرت في النفوس وعظم أمرها قد يخمل ذكرها بمرور الزمن وتباعد العهد فيغفل عن تلك المآثر ويتناسى ما لها من أهمية كبرى ولما كان القول المنظوم أسرع تأثيراً في الإصاححة لرغبة الطباع إليه فتسير به الركبان وتلوكه الأشداق وتتحفظ به القلوب وتتلقاه جيلاً بعد جيل وتأخذه أمة بعد أمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها فتلفت إلى ذلك الفضل المتقادم وقد حفظ لنا الأدب العربي كثيراً من قضايا الأمم وسيرها وحروبها في الجاهلية والإسلام.

وبما أن ذكرى أهل البيت قوام الدين وروح الإصلاح وبها تدرس تعاليمهم وتقتفى آثارهم طفقت هذه الأمة يذكرون ما لهم من فضل كثار وما جرى عليهم من المصائب ولاقوا في سبيل إحياء الدين من كوارث ومحن لأن في ذلك إحياء أمرهم (ورحم الله من أحيى أمرهم ودعا إلى ذكرهم) وقد تواتر الحث من الأئمة المعصومين

على نظم الشعر فيهم مدحاً ورتاءً بحيث عد من أفضل الطاعات .

ولم يعهد من الأئمة الطاهرين مع تحفظهم على التقية وإلزام شيعتهم بها تشييط الشعراء عن المكاشفة في حقهم وإظهار باطل المناوئين مع أن في الشعراء من لا يقر له قرار ولا يأويه مكان فرقاً من أعداء أهل البيت لمحض مجاهرتهم بالولاء والدعوة إلى طريقة أبناء الرسول صلوات الله عليه كالكميت ودعل الخزاعي ونظرائهما بل كان الأئمة يؤكدون ذلك بالتحبيذ وإدراك المال عليهم وإجزال الهبات لهم وذكر المثوبات وليس ذلك إلا لأن المكاشفة أدخل في توطيد أسس الولاية وعامل قوي لنشر الخلافة الحقة حتى لا يبقى سمع إلا وقد طرقة الحق الصراح ثم تتلقاه الأجيال الآتية كل ذلك حفظاً للدين عن الاندراس ولئلا تذهب تضحية آل الله في سبيله أدرج التموهيات .

ولولا نهضة أولئك الأفاذ من رجالات الشيعة للذب عن قدس الشريعة بتعريض أنفسهم للقتل كحجر بن عدي وعمرو بن الحمق ورشيد وميثم التمار وأمثالهم ومجاهرة الشعراء بما قدم به الأظهار من أهل البيت النبوي لما عرفت الأجيال المتعاقبة صراح الحق .

ومما ورد من الحث على نظم الشعر مدحاً ورتاءً قولهم عليهم السلام من قال فينا بيتاً من الشعر بنى الله له بيتاً في الجنة ، وفي آخره : حتى يؤيد بروح القدس .

وفي ثالث: ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا إلا بنى الله له في الجنة مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات يزوره فيها كل ملك مقرب ونبي مرسل .

وقال أبو جعفر الباقر للكميت لما أنشده (من لقلب متيم مستهام) القصيدة: لا تزال مؤيداً بروح القدس ما دمت تقول فينا .

وأذن الإمام الجواد عليه السلام لعبد الله بن الصلت أن يندبه ويندب أباه الرضا عليه السلام .

وكتب إليه أبو طالب أبياتاً يستأذنه فيها في رثاء أبيه الرضا فقطع أبو جعفر الأبيات وكتب إليه (أحسنت وجزاك الله خيراً) .

وتقدم في ص ٢٧٩ مدح الصادق لمن يرثي لهم ويمدحهم .

وحسب الشاعر أن يترتب على عمله البار هاتيك المثوبات الجزيلة التي تشفّ عن أنّ ما يصفه بعين الله سبحانه حتى يبوّئه الجليل عز شأنه من الخلد حيث يشاء وتزدان به غرف الجنان ولا بدع فإنه بهتافه ذلك معدود من أهل الدعوة الإلهية المعلنين لكلمة الحق وتأييد الدين فهو بقوله الحق يرفع دعامة الإصلاح ويشيّد مبانيه ويطأ نزع الباطل بأخمص الهدى ويقمّ أشواكه المتكدسة أمام سير المذهب ويلحّب طريقه الواضح فحياهم الله من دعاة إلى مرضيه .

وبما أن أبا الفضل العباس من أولئك الأَطهار الذين بهم تمت الدعوة الإلهية وعلت كلمة الله العليا بإزهاق نفوسهم المقدسة حتى قضوا كراماً طيبين مضافاً إلى ما حواه من صفات الجلال والجمال مما أوجب أن يغبطه الصديقون على ما منحه الباري سبحانه عوض شهادته .

بادر من كهربه الولاء الخالص طلباً لذلك الأجر الجزيل بنظم مديحه وورثائه وأول من رثاه أمه أم البنين كما في مقاتل الطالبين فإنها كانت تخرج إلى البقيع تندب أولادها أشجى ندبة وأحرقها فيجتمع الناس لسماع ندبتها وكان مروان يجيء لذلك فلا يزال يبكي فممن رثائها فيهم :

لا تدعوني ويك أم البنين تذكروني بليوث العرين
كانت بنون لي أدعى بهم واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربى قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان أشلاءهم فكلهم أمسى صريعاً طعين
يا ليت شعري أكما أخبروا بأن عباساً قطع الوتين
وقولها الآخر :

يا من رأى العباس كر على جماهير النقد
ووراه من أبناء حيدر كل ليث ذي لب
نبئت أن ابني أصيب برأسه مقطوع يد

ويلي على شبلي أما ل برأسه ضرب العمد
لو كان سيفك في يد يك لما دنا منك أحد

ورثاه حفيده الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد
الله بن العباس بن أمير المؤمنين علي ما في (المجدي):

إني لأذكر للعباس موقفه بكربلاء وهام القوم يختطف
يحمي الحسين ويحميه على ظمأ ولا يولي ولا يثني فمختلف
ولا أرى مشهداً يوماً كمشهده مع الحسين عليه الفضل والشرف
أكرم به مشهداً بانت فضيلته وما أضع له أفعاله خلف

وحكى الشيخ الجليل العلامة ميرزا عبد الحسين الأميني في
كتاب (الغدير) ج ٣، ص ٥، عن روض الجنان في نيل مشتهى
الجنان المطبوع للمؤرخ الهندي أشرف علي أن الفضل بن الحسن
المذكور قال في جده العباس عليه السلام:

أحق الناس أن يبكى عليه فتى أبكى الحسين بكربلاء
أخوه وابن والده علي أبو الفضل المخرج بالدماء
ومن واساه لا يثنيه شيء وجاد له على عطش بماء

وهذه الأبيات نسبها أبو الفرج في المقاتل إلى الشاعر ونسبها
السيد الحجة المتبع السيد عبدالله شبر قدس سره في جلاء العيون
إلى الحسين عليه السلام.

وقد رثى أبا الفضل العباس جماعة كثيرة من الفضلاء الأدباء

٣٦٠.....العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

والعلماء البارعين لو جمعت لكانت مجلداً ضخماً ولعل فيض أبي الفضل يشملنا فنخرجها إلى القراء بالقرب العاجل وفي هذا الكتاب نذكر ما يتحمله منها .

ومن جيد ما رثي به قصيدة الشاعر الشهير الحاج هاشم بن حردان الكعبي الدروقي المتوفى سنة ١٢٣١هـ وهي مثبتة في ديوانه المطبوع في النجف وفي كشكول الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق في الفقه ج ٢، ص ٣٩٢ وفي الدر النضيد للعلامة السيد محسن الأمين ومطلعها :

هل أم طوق كذات الطوق في السلم تحن شوقاً إلى أيامنا القدم
إلى أن يقول :

يوم أبو الفضل تدعو الظاميات به
والماء تحت شبا الهندية الخدم
والخيل تصطك والزعف الدلاص على
فرسانها قد غدت ناراً على علم
وأقبل الليث لا يلويه خوف ردى

بادي البشاشة كالمدعو للنعم
يدو فيغدو صميم الجمع منصدعاً نصفين ما بين مطروح ومنهزم

ورثاه العلامة الشيخ محسن آل الشيخ خضر المتوفى حوالي

سنة ١٣٠٣ :

المديح والرتاء ٣٦١

فلله زينب إذ تستغيث أبا الفضل يا كهف عزي المهابا
ويا ليث قومي إذا الخطب ناب وكشرت الحرب سناً ونابا
أتركني نصب عين العدو تنتهب القوم رحلي انتهابا
ولله مقولها إذ تقول ينشعب القلب منه انشعابا
عذرتك يا بن أبي فالحميم بكفيه يحمي إذا الخطب نابا
فشلت أكف علوج برت يمينك إذ يسلبوني النقابا
وفلت صفاح بها قطعوك وفلت رماح غدت لك غابا
وذاب عمود حديد رماك وأخطأ سهم حشاك أصابا

ورثاه شاعر أهل البيت في عصره السيد حيدر الحلبي المتوفى
سنة ١٣٠٤ وهي مثبتة في ديوانه مطلعها:

حلولك في محل الضيم داما وحدّ السيف يأبى أن تضاماما
ورثاه العلامة السيد جعفر الحلبي المتوفى سنة ١٣١٥هـ
وقد أبدع فيها وهي مثبتة في ديوانه المطبوع في صيدا وفي مثير
الأحزان والدر النضيد مطلعها:

وجه الصباح عليّ ليل مظلم وربيع أيامي عليّ محرّم
وفي ص ١٥٨ وص ٢٤٦ وص ٢٥٧ ذكرنا أبياتاً منها

ورثاه الحاج محمد رضا الأزري بقصيدة ومطلعها:

أوما أتاك حديث وقعة كربلا أنى وقد بلغ السماء قتامها

٣٦٢ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

طبعت في مثير الأحزان للعلامة الشيخ شريف الجواهري
وفي الدر النضيد.

ورثاه الإمام الحجة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء أدام
الله ظله ^(١):

أبا صالح إن العزا لمحرم
لكم بين أضلاعي مواعد لوعة
تراحم في فكري إذا رمت عدّها
وما أنس من شيء فلا أنس وقعة
وقد جددت حزني ولم يك مخلقاً
أصاب بها من كربلا قلب أحمد
غداة بنوه الغر في نصر دينه
بفتيان صدق في الحفيظة يمت
تطالع أقماراً بهم وأهله
وإن صرّت الهيحاء ناباً تراهم
وإن فل حد السيف أمضاه عزمهم
وتهوي المنايا للهوان كأنما
ميامين يوم السلم لكن يومهم
ومنكم بنو الزهرا استحل به الدم
بذكر رزاياكم تشب وتضرم
رزاياكم الجلى فأبكي وأوجم
تهدّ لها السبع الطباق وتهدم
غداة استهلّت أدمعي والمحرم
وقلب علي والبتولة أسهم
سرت ونهار العدل بالجور مظلم
ركاب العلى في ظعنهم حيث يمموا
إذا أسفروا في موكب وتلثموا
أسوداً بأفياء الضبا تتأجم
بأمضى شياً منهم فلا يتكهم
المنايا لها دون الدنية مغنم
على من دنا بالشؤم منهم لأشأم

(١) نقلتها من كتاب سوانح الأفكار في منتخب الأشعار تأليف الفاضل

المهذب الخطيب السيد محمد جواد شبر.

قد ادرعوا درعاً حديداً وأخروا
 وما راع جيش الكفر إلا عصابة
 حجازية نحو العراق ومنجد
 بأجسامها في عرصة الطف عرّست
 تضاحك بشراً بالمنون كأنما
 وترقص شوقاً للقاء قلوبها
 وإن بزغ النور الإلهي بينها
 لقد ثبتوا للذب عنه بموقف
 وتذهل أملاك السماء لوقعه
 ولما قضوا في حلبة المجد حقها
 تهاووا فقل زهر النجوم تهافتت
 بحرب على أعوان حرب قد انكفى
 تعثر فيه بالجماجم خيلهم
 وتعبس من خوف وجوه أمية
 أبو الفضل تآبى غيره الفضل والإبا
 عليم بتأويل المنية سيفه
 ويمضي إلى الهيجاء مستقبل العدى
 وإن عاد ليل الحرب بالنقع أليلاً
 وإن سمع الأطفال تصرخ للظما
 وصال عليهم صولة الليث مغضباً
 من الصبر أقوى منه نسجاً وأحكم
 حداها من الإيمان جيش عرمرم
 ثناها بأجواز الفيافي ومنتهم
 وأرواحها في عالم القدس عؤم
 الحياة عذاب والمنون تنعم
 إذا أخذت في ذكرها تترنم
 ترى البدر حفت فيه بالسعد أنجم
 يشيب به طفل القضاء ويهرم
 ويذبل منه يذبل ويللمم
 وحق لها نحو الجنان التقدم
 وأهواوا فقل شم الرواسي تهدم
 صواعق من قرع الأسنة تضرم
 وأجسامها للطير والوحش مطعم
 إذا كر عباس الوغى يتبسم
 أباً فهو إما عنه أو فيه يرسم
 نزول على من بالكريهة معلم
 بماضٍ به أمر المنية مبرم
 فيوم عداه منه بالشر أيوم
 تصارخ منه الجحفل المتضمم
 يحمحم من طول الطوى ويدمدم

وراح لورد المستقى حامل السقا وأصدر عنه وهو بالماء مفعم
ومذ خاض نهر العلقميّ تذكراً الحسين فولى عنه والريق علقم
وأضحى ابن ساقى الحوض سقا ابن أحمد

يروى عطاشا المصطفى الطهر إن ظموا

أبا الفضل تهنيك الوراثة من أب ويهني أباك الفضل أنك له اسم
ولما أبى منك الإباء تأخراً وأن أبا الفضل الذي يتقدم
بهم حسمت يمناك ظلماً ولم أخل يمين القضا في صارم الشرك تحسم
وأن عمود الفضل يخسف هامه عمود حديد للضلالة يدعم
وحين هوى أهوى إليه شقيقه يشق صفوف الملحدين ويحطم
فألفاه مقطوع اليدين معفراً يفور من مخسوف هامته الدم
فقال أخي قد كنت كبش كتيبي وجنة بأس حين أدهى وأدهم
فمن ناقع حر القلوب من الظما ومن دافع شر العدى يوم تهجم
ومن يكشف البلوى ومن يحمل اللوا ومن يدفع اللأوى ومن يتقحم
رحلت وقد خلفتني يابن والدي أغاز بأيدي الظالمين وأهضم
أحاطت بي الأعداء من كل جانب ولا ناصر إلا سنان ولهزم
فما زال ينعاه ويندب عنده إلى أن أفاض البقعة الدمع والدم
وأقبل محنيّ الضلوع إلى النسا يكفكف عنها الدمع والدمع يسجم
ولاحت عليه للرزايا دلائل تبين لها لكنه يتكتم
وأقدم فرداً للكريهة ليثها وسبعون ألفاً عنه في الكر أحجموا
فتحسب عزرائيل صاح بسيفه عليهم ففروا من يديه وأهزموا

وقل غضب الجبار دمدم صاعقاً
ولما أعاد البر بحراً جواده
فتّ عزمه البقيا عليه فما انثنوا
وقام لسان الله يخطب واعظاً
وقال انسبوني من أنا اليوم وانظروا
فما وجدوا إلا السهام بنحره
ومذ أيقن السبط انمحي دين جده
فدى نفسه في نصرة الدين خائضاً
وقال خذي يا حتوف وهاك يا
وهيهات أن أغدو على الضيم جاثماً

ولولي على جمر الأسننة مجثم
وكرّ وقد ضاق الفضا وجرى القضا
ومذ خر بالتعظيم لله ساجداً
وجاء إليه الشمر يرفع رأسه
وزعزع عرش الله وانحط نوره
ومذ مال قطب الكون مال وأوشك ان
وحين ثوى في الأرض قر قرارها
فلهفي له فرداً عليه تزا حمت
فلهفي له ظام يجود وحوله
ولهفي له ملقى وللخيل حافر

وسال بوادي الكفر سيل عرمم
له كبروا بين السيوف وعظموا
فقام به عنه السنان المقوم
فأشرق وجه الأرض والكون مظلم
قلاباً يميل الكائنات ويعدم
وعادت ومن أوج السما وهي أعظم
جموع العدى تزداد جهلاً فيحلم
الفرات جرى طام وعنه يحرم
يجول على تلك الضلوع وينسم

٣٦٦العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ولهفي على أعضاك يا بن محمد توزع في أسيافهم وتسهم
فجسمك ما بين السيوف موزع ورحلك ما بين الأعادي مقسم
فلهفي على ريحانة الظهر جسمه لكل رجيم بالحجارة يرجم

وللعلامة الحجة الشيخ محمد حسين الأصفهاني قدس الله
سره المتوفى سنة ١٣٦١ هـ ٥ ذي الحجة:

أبو الإباء وابن بجده اللقا رقى من العلياء خير مرتقى
ذاك أبو الفضل أخو المعالي سلالة الجلال والجمال
شبل عليّ ليث غابة القدم ومن يشابهه أبه فما ظلم
صنو الكريمين سليلي الهدى علماً وحلماً شرفاً وسؤددا
هو الزكي في مدارج الكرم هو الشهيد في معارج الهمم
وارث من حاز مواريث الرسل أبو العقول والنفوس والمثل
وكيف لا وذاته القدسيه مجموعة الفضائل النفسيه
عليه أفلاك المعالي دائره فإنه قطب محيط الدائره
له من العلياء والمآثر ما جلّ أن يخطر في الخواطر
وكيف وهو في علو المنزله كالروح من نقطة باء البسمله
وهو قوام مصحف الشهادة تمت به دائرة السعادة
وهو لكل شدة ملمة فإنه عنقاء قاف الهممة
وهو حليف الحق والحقيقه والفرد في الخلقة والخليقة
وقد تجلى بالجمال الباهر حتى بدا سر الوجود الزاهر
غرته الغراء في الظهور تكاد أن تغلب نور الطور

رقى سماء المجد والفخار بل في سماء عالم الأسماء
 بل عالم التكوين من شعاعه بل عالم التكوين من شعاعه
 سر أبيه وهو سر البارئ سر أبيه وهو سر البارئ
 أبوه عين الله وهو نورها أبوه عين الله وهو نورها
 فإنه إنسان عين المعرفة فإنه إنسان عين المعرفة
 ليس يد الله سوى أبيه ليس يد الله سوى أبيه
 فهو يد الله وهذا ساعده فهو يد الله وهذا ساعده
 فلا سوى أبيه لله يد فلا سوى أبيه لله يد
 له اليد البيضاء في الكفاح له اليد البيضاء في الكفاح
 يمثل الكرار في كراته يمثل الكرار في كراته
 صولته عند النزال صولته صولته عند النزال صولته
 هو المحيط في تجولاته هو المحيط في تجولاته
 سطوته لولا القضاء الجاري سطوته لولا القضاء الجاري
 وواسم المنون حد مفرده وواسم المنون حد مفرده
 بارقة صاعقة العذاب بارقة صاعقة العذاب
 بارقة تحصد في الرؤوس بارقة تحصد في الرؤوس
 واسى أخاه حين لا مواسي واسى أخاه حين لا مواسي
 بعزيمة تكاد تسبق القضا بعزيمة تكاد تسبق القضا
 دافع عن سبط نبي الرحمه دافع عن سبط نبي الرحمه

بالحق يدعى قمر الأقمار بالحق يدعى قمر الأقمار
 كالقمر البازغ في السماء كالقمر البازغ في السماء
 جل جلال الله في إبداعه جل جلال الله في إبداعه
 ملك عرش عالم الأسرار ملك عرش عالم الأسرار
 به الهداية استنار طورها به الهداية استنار طورها
 مرآتها لكل اسم وصفة مرآتها لكل اسم وصفة
 وقدرة الله تجلت فيه وقدرة الله تجلت فيه
 تغنيك عن إثباته مشاهده تغنيك عن إثباته مشاهده
 ولا سواه لأبيه عضد ولا سواه لأبيه عضد
 وكيف لا وهو مالك الأرواح وكيف لا وهو مالك الأرواح
 بل في المعاني الغر من صفاته بل في المعاني الغر من صفاته
 لولا الغلو قلت جلت قدرته لولا الغلو قلت جلت قدرته
 ونقطة المركز في ثباته ونقطة المركز في ثباته
 تقضي على العالم بالبوارج تقضي على العالم بالبوارج
 والفرق بين الجمع من ضرب يده والفرق بين الجمع من ضرب يده
 بارقة تذهب بالألباب بارقة تذهب بالألباب
 تزهب بالأرواح والنفوس تزهب بالأرواح والنفوس
 في موقف يزلزل الرواسي في موقف يزلزل الرواسي
 وسطوة تملأ بالرعب الفضا وسطوة تملأ بالرعب الفضا
 بهمة ما فوقها من هممه بهمة ما فوقها من هممه

بهمة من فوق هامة الفلك
واستعرض الصفوف واستطالا
لفَّ جيوش البغي والفساد
كرَّ عليهم كرة الكرار
آثر بالماء أخاه الظامي
ولا يهमे السهام حاشا
فجاد باليمين والشمال
قام بحمل راية التوحيد
والدين لما قطعت يده
وانطمست من بعده أعلامه
وانصدعت مهجة سيد البشر
وبان الانكسار في جبينه
وكيف لا وهو جمال بهجته
كافل أهله وساقى صبيته
واحد له لكنه كل القوى
ناح على أخيه نوح الثكلى
وانشقت السما وأمطرت دما
بكاه كالهطال حزناً والده
بكاه صنوه الزكي المجتبي
ناحت بنات الوحي والتنزيل
ولا ينالها نبي أو ملك
على العدا ونكس الأبطالا
بنشر روح العدل والرشاد
أوردهم بالسيف ورد النار
حتى غدا معترض السهام
من همه سقاية العطاشي
لنصرة الدين وحفظ الآل
حتى هوى من عمد الحديد
تقطعت من بعده عراه
مذ فقدت عميدها قوامه
لقتله وظهر سبطه انكسر
فاندگت الجبال من حنينه
وفي محياه سرور مهجته
وحامل اللوا بعالي همته
وليث غابه بطف نينوى
بل النبي في الرفيق الأعلى
فما أجلّ رزؤه وأعظما
وكيف لا وبان منه ساعده
وكيف لا ونور عينه خبا
عليه مذ أمست بلا كفيل

ناحت عليه الحور في قصورها لناحت آل البيت في خدورها
ناحت عليه زمر الأملاكي مذ لناحت العقائل الزواكي
فمن لتلك الخفرات الطاهرة مذ سبيت حسرى القناع سافرة
أين ربيب المجد أمماً وأباً عن أخواته وهن في السبا
وأين عن ودائع النبوة ممثل الغيرة والفتوة
وأين عنها رب أرباب الإبا إذ هجم الخيل عنهن الخبا
فأصبحت نهياً لكل مارق مسودة المتون والعواتق
فيها اشتفى العدو من ضغائنه فأين حامي الظعن عن ظعائنه
أين فتى الفتيان يوم الملحمة عن فتياته بأيدي الظلمه
فليته يرى بعين الباري عزائز الله على الأكوار
يهدى بها من بلد إلى بلد وهن في أعظم كرب وكمد

وللعلامة الشيخ حسن ابن الشيخ محسن مصبح الحلبي^(١) من

قصيدة في الحسين عليه السلام :

(١) آل مصبح أسرة في الحلة اشتهرت بالعلم والأدب منهم الشيخ حسين جد المترجم وابنه الشيخ محسن والد المترجم كان من العلماء الأفاضل رثاه السيد حيدر في قصيدة مثبتة في ديوانه ومنهم المترجم ولد في الحلة وهاجر إلى النجف لطلب العلم ولما يبلغ العشرين من عمره ورجع بعد استكمال الفضيلة وحج مكة المكرمة خمساً وعشرين مرة تطوعاً تارة ونائباً ومعلماً أخرى جمع ديوانه في حياته وهو حسن جداً يناهز العشرة آلاف بيت وجل شعره في أهل البيت مدحاً وثناءً توفي عن عمر تجاوز السبعين في سنة ١٣١٧ وحمل إلى النجف (البابليات للخطيب الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي).

فهنالك هبَّ ابن الوصي إلى الوغى
أبو الفضل حامي ثغرة الدين جامع
نضى لقراع الشوس عضباً بحده
عليه انطوت في حلبة الطعن فانطوى
وخاض بها بحرأ يرفّ عبابه
فحلأها عن جانب النهر عنوة
ودمدم ليث الغاب يعطو بسالة
ثنى رجله عن صهوة المهر وامتطى
وهبَّ إلى نحو الخيام مشمرأ
ألّمت به سوداء يخطف برقها
جلاها بمشحوذ الغرارين أبلج
فلولا قضاء الله لم يبقَ منهم
بماضية الأقدار جذّت يساره
وفي عمد حتم القضا شج رأسه
به انتظمت سمر القنا وتشاكلت
دعا يا حمى الإسلام يابن الذي به
جرى نافذ الأقدار في من تحبه
فشدّ مجيباً دعوة الليث طالباً
طواها ضرباً سلّ فيه نفوسها
وأحنى عليه قائلاً هتك العدى

بهمة ليث لم يرعه قتامها
فرائده أن سل منها نظامها
ليوم التنادي يستكنّ حمامها
عليه الفضا منه وضاق مقامها
ظبأ ويد الأقدار جالت سهامها
وولّت عواديها يصلّ لجامها
إلى الماء لم يكبر عليه ازدحامها
قرى النهر واحتلّ السقاء همامها
لريّ عطاشى قد طواها أوامها
البصائر من رعب ويعلو قتامها
يدبّ به للدار عين حمامها
حسيس ولم يكبر عليه اعتصامها
وثنت بيمنى منه طاب الثامها
ترجل وانثالت عليه لئامها
وكم فيه يوم الروع حل نظامها
دعائم دين الله شد قوامها
سراعاً فإن النفس حان حمامها
تراب به الأعداء طال اجترامها
وحلق فيها للبووار اخترامها
حجاب المعالي واستحلّ حرامها

أخي بمن أسطو وإنك ساعدي وعضبي إذا ما ضاق يوماً مقامها
أخي فمن يعطي المكارم حقها ومن فيه إعزازاً تطاول هامها
أخي فمن للمحصنات إذا غدت بملساء يذكي الحائمت رغامها
أخي لمن أعطي اللواء ومن به يشق عباب الحرب إن جاش سامها
أخي فمن يحمي الذمار حفيظة إذا ما كبا بالضاريات اعتزامها
كفى أسفاً أني فقدت حشاشتي بفقدك والأرزاء جدّ احتدامها
فوا لهفتا والدهر غدر صروفه عليك وعفواً ناضلتنى سهامها
إلى الله أشكو لوعة لو أبثها على شامخات الأرض ساخ شمامها
على أنني والحكم لله لاحق بإثرك والدنيا قليل دوامها
فقام وقد أحنى الضلوع على جوى يئنّ كما في الدوح أنّ حمامها
حسبتك للأيتام تبقى ولم أخل تجرّ عليّ الداهيات طغامها

للعامة الحجة الشيخ عبد الحسين صادق العاملي^(١):

بكر الردى فاجتاح في نكبائه نور الهدى ومحا سنا سيمائه
ودهي الرشاد بناسف لأشمه وبخاسف لأتم بدر سمائه
ورمى فأصمى الدين في نفاذه وا رحمتاه لمنتهى أحشائه
يوماً به قمر الغطارف هاشم صكّت يد الجلىّ جبين بهائه

(١) ولد في النجف الأشرف في شهر صفر سنة ١٢٧٩ هـ وتوفي ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٦١ ودفن في مقبرة بجنب الحسينية التي أسسها في (النبطية).

سيم الهوان بكربلاء فطار للعز الرفيع به جناح إبائه
أنى يلين إلى الدنيّة ملمساً أو تنحت الأقدار من ملسائه
هو ذلك البسام في الهيجاء والعباس نازلة على أعدائه
من حيدر هو بضعة وظيفحة من عزمه مشحودة بمضائه
واسى أخاه بموقف العز الذي وقفت سوارى الشهب دون علائه
ملك الفرات على ظمائه وأسوة بأخيه مات ولم يذق من مائه
لم أنسه مذكر منعطفاً وقد عطف الوكاء على معين سقائه
ولوى عنان جواده سرعان نح ومخيم يظفي أوار ظمائه
فاعتاقه السدان من بيض ومن سمر وكل سد رحب فضائه
فانصاع يخترق الصوارم والقنا لا يرعوي كالسهم في غلوائه
يفري الطلا ويخيظ أفلاذ الكلى بشبابة أبيضه وفي سمرائه
ويجول جولة حيدر بكتائب ملاً الفضا كالليل في ظلمائه
حتى إذا ما حان حين شهادة رقمت له في لوح فصل قضائه
حسنت مذبذبة الحسام مقلة لسقائه ومجيلة للوائه
أمن العدى فتكاته فدنا له من كان هيّاباً مهيب لقائه
وعلاه في عمد فخر لوجهه ويمينه ويساره بإزائه
نادى أخاه فكان عند ندائه كالكوكب المنقض في جوزائه
وافى عليه مفرقاً عنه العدى ومجمّعاً ما انبت من أشلائه
وهوى يقبله وما من موضع للثم إلا غارق بدمائه
ويميط عن حر المحيا حمرة علقية صبغت لجين صفائه

يا مبكياً عين الإمام عليك فلتبك الأنام تأسياً بكائه
ومقوساً منه القوام وحانياً منه الضلوع على جوى برحائه
فلننحني حزناً عليك تأسياً بالسبط في تقويسه وحنائه
أنت الحريّ بأن تقيم بنو الورى طرى ليوم الحشر سوق عزائه
هذا آخر ما وقفنا عليه من حياة قمر الهاشميين والله وليّ
التوفيق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله
الهداة الميامين ونسأله سبحانه الهداية لما يرضيه والزلفى لديه
تعال آلاؤه.

٣٧٤ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المحتويات

٧	مقدمة
١٧	سلسلة الآباء
٤٩	الأعمام
٥٥	طالب
٥٧	عقيل
٦٢	السفر إلى الشام
٦٩	الحديدة
٧٠	افتراء
٧٢	الخلف عن عقيل
٧٤	الطيّار
٨١	إخوته
٨٤	ابن الحنفية
٩١	الأطرف
٩٧	أخواته

٣٧٥	المحتويات
٩٨	العقيلة
١٠٧	أم البنين
١١٣	الزواج
١١٥	الولادة
١١٩	صفاته
١٢٧	كنيته
١٢٩	اللقب
١٣٥	السقاء
١٤٥	نشأته
١٥٥	اليقين
١٥٩	الأصحاب
١٦٩	الأمان
١٧٣	المواساة
١٧٩	عشرة التاريخ
١٨٥	حديث الصادق
١٩٩	العباس في نظر الأئمة
٢٠٩	العصمة
٢١٥	الكرامات
٢٣٥	اللواء
٢٤٧	موقفه قبل الطف
٢٥٣	موقفه في الطف

٣٧٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الشهادة ٢٦١

المشهد المطهر ٢٦٧

ملاحظة ٢٧١

الحائر ٢٧٣

نهر العلقمي ٢٨١

مشهد الرأس ٢٨٥

مشهد الكفّين ٣٠١

الزيارة ٣٠٣

صلاة الزيارة ٣٠٧

تقبيل القبر ٣١٣

أولاده وأحفاده ٣١٥

الحمزة ٣٢٤

عمارة المشهد ٣٣٣

تمهيد ٣٣٣

عمارة مرقد العباس ٣٤٧

السدانة ٣٥١

حامي الجوار ٣٥٣

المديح والرثاء ٣٥٥